

الدَّعوةُ الإسلاميَّةُ في الهند

(العصر الذهبى للدولة المغوليَّة)

د. محمد عبد الله الجندي

اسم الكتاب: الدَّعوة الإسلاميَّة في الهند

(العصر الذهبيّ للدولة المغوليَّة)

اسم المؤلّف: د. محمد عبد الله الجندي

الترقيم الدولي: 978-9933-567-74-3

سنة الإنتاج: 2025

جميع الحقوق محفوظة

يطلب هذا الكتاب على العنوان التالي:



دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

واتساب وتلغرام: 00963 932 832010

aklpublishing@gmail.com

دمشق



موزع معتمد: الثقافة الروسية للنشر - القاهرة

russianculture.egypt@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[فصلت: آية 33].

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

لقد أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ، وأنزل عليه الكتاب الحكيم هدى للناس، فقام بالمهمة التي أمر الله بها من دعوة الناس إلى الحق خير قيام، واقتدى به أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكذلك التابعون ومن تبعهم، انطلاقاً من كون الدعوة الإسلامية من أفضل الأعمال أجراً، والقائمين بها خير الناس وأحسنهم، فإن أحلى كلمة تقال وتصدق إلى الله مع الكلم الطيب هي كلمة الدعوة؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾. فأشرف وظيفة على الأرض يشرف بها المسلم هي وظيفة الدعوة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾⁽²⁾.

إذ بين الله تعالى أن سبب خيرية أمة النبي ﷺ اشتغالها بتبليغ رسالة الله ودلالة الناس على الحق، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽³⁾.

وظيفة هذه الأمة - طبقاً لهذه الآية - الدعوة إلى الله تعالى، فكل الوظائف على وجه الأرض تصدر عن تنظيم بشري أو قرار من سلطة الأرض إلا وظيفة

(1) سورة فصلت الآية 33.

(2) سورة فاطر من الآية 32.

(3) سورة آل عمران الآية 110.

الدعوة، فإنها تصدر عن بيان قرآني وعمل نبوي؛ لهذا استحققت هذا الشرف المجيد واستحق المشتغلون بها تكريماً خاصاً، وكان عليهم تجاهها واجب يثابون عليه أداءً، ويعاقبون عليه إهمالاً.

ومن موضوعات الدعوة الإسلامية الاشتغال بدراسة تاريخها؛ فهو من أجل العلوم قدراً، وأرفعها منزلة وذكرًا، وأنفعها عائداً وذخراً، وقد استمدت تلك الأهمية من القرآن الكريم؛ حيث وردت فيه إشارات كثيرة تدعو المسلمين إلى أهمية دراسة سير الأولين والتأمل فيها وأخذ العبرة منها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾، وقال جل شأنه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽²⁾.

وعملًا بهذه الآيات وغيرها كان النبي ﷺ - فضلاً عما حدث به القرآن الكريم - يحدث صحابته بتاريخ من سبقه من الأمم؛ ليكون ذلك عوناً لهم في تحمل تبعات طريق الدعوة، وقام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان بهذه المهمة الجليلة بعد رسولهم ﷺ فجابوا الأرض شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، ولم يتركوا مكاناً يستطيعون الوصول إليه إلا ودخلوه داعين لدين الله تعالى، ومن البلاد التي اهتم المسلمون بفتحها شبه القارة الهندية.

ويعتبر التاريخ مرآة الأمم فيعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، فيكون نبراساً وهادياً لهم في حاضريهم ومستقبلهم، فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها؛ إذ به قوام الأمم تحيا بوجوده وتموت بانعدامه؛ ولذلك فهو يعين على فهم الواقع؛ ففهم الحاضر لا يتم إلا عن طريق دراسة الماضي.

(1) سورة يوسف الآية 111.

(2) سورة آل عمران الآية 137.

ودراسة التاريخ الدعوي على الخصوص لها دور كبير في ميدان حشد الطاقات، فالتراث الإسلامي تراث مؤثر في تدعيم وحدة الأمة وإيقاظها من سباتها. وتعين دراسة التاريخ الدعوي على معرفة الجوانب المشرقة فتقنفي الأمة أثرها، وتقف على الجوانب السلبية فيه فتحاول تجنبها والابتعاد عنها. كما يعتبر القرن الحادي عشر الهجري الخط الفاصل بين عصرين في تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية، عصر الممالك التي حكمت الهند قبل الدولة المغولية، وعصر الاحتلال البريطاني للهند، وكيف أن الدولة المغولية قامت بدور كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية وسط هذا الصراع.

فمتى دخل الإسلام في هذه البقعة من أرض الله؟ وكيف كانت أحوال الدعوة الإسلامية إجمالاً طوال الفترة من دخول الإسلام إلى قيام الدولة المغولية في الهند؟ وما الدور الذي قامت به الدولة المغولية في نشر الدعوة الإسلامية في القرن الحادي عشر الهجري؟ وما الأحوال العامة المؤثرة على الدعوة الإسلامية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري؟ وكيف كانت الأحوال السياسية والاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، وكيف أثرت على مسيرة الدعوة الإسلامية؟ وما وسائل الدعوة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري؟ وما ملامح الدور الدعوي الذي لعبته المساجد في الدعوة الإسلامية في القرن الحادي عشر الهجري؟ وما الدور الثقافي والدعوي الذي لعبته المدارس والمكتبات في القرن الحادي عشر الهجري، وكيف كان أثرها على الدعوة الإسلامية؟ ومن هم أبرز الشخصيات ورجال الدعوة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، وكيف كانت جهودهم الدعوية في مجال نشر الدعوة الإسلامية؟

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً : التعريف بمصطلحات الكتاب.

ثانياً : نبذة عن تاريخ الإسلام في الهند قبل قيام الدولة المغولية.

ثالثاً : التعريف بالدولة المغولية.

أولاً : التعريف بمصطلحات الكتاب

1- تعريف «الدعوة» لغة واصطلاحاً :

أ- الدعوة في اللغة :

مصدر للفعل الثلاثي: (دعا) تقول: دعوت زيدا دعاء ودعوة، أي: ناديته، وبالنظر إلى المعاجم اللغوية يتضح أن لكلمة الدعوة معان متعددة، منها⁽¹⁾:

- الدعوة: الصيحة والنداء، تقول دعوت فلاناً، أي: صحت به واستدعيته وناديته، أو طلبت حضوره، وهذا هو الأصل في معنى (دعا)، ولو من الأعلى للأدنى⁽²⁾، يقال: دعاه بمعنى: ناداه، وسأقه، وسماه وطلبه، وسأله، واستغاثه وندبه، واسم الفاعل منه: داع أو داعية، والجميع دعاء، وهم قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة⁽³⁾.
- الدعوة: الأذان أو الإقامة⁽⁴⁾، وفي الحديث: «.. والدَّعْوَةُ فِي الْحَبَشَةِ»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية 320/20، من

1- 23: ط2: الكويت: دار السلاسل، من 24 - 38: ط1، القاهرة: دار الصفوة، من

39- 45: ط2، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1404- 1427هـ.

(2) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور

الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ) 258/14، بيروت: دار إحياء التراث

العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1419هـ/1999م.

(3) المرجع السابق 258/14.

(4) المرجع السابق 259/14.

(5) جزء من حديث، أخرجه: أحمد في مسنده 200/29، ح رقم 17654 (المسند: أبو عبد

الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، =

● الدعوة: الدِّين أو المذهب، حقاً كان أم باطلاً، وسمي بذلك: لأن صاحبه يدعو إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾، «يقال: دعاه إلى الدين وإلى المذهب، أي: حثه على اعتقاده، وساقه إليه»⁽²⁾.

وكون الدعوة بمعنى الحث أمر يهدف إليه الكتاب؛ لأنه لا تخلو دعوة أحد لآخر، إلا ويكون فيها حث من أحد الطرفين أو منهما معاً، فناسب الكتاب هذا المعنى، فـ«الدعوة» تأتي بمعنى: الطلب والنداء، والتسمية، والحث على الشيء، فالمشتقات اللغوية عامة، والاصطلاح هو الذي يحدد المعنى المراد منها.

ب- الدعوة في الاصطلاح:

«الدعوة»: لفظ مشترك يطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إirاده هو الذي يحدد المعنى المراد⁽³⁾، فالعلاقة وثيقة بين المعنيين، فالدعوة بمعنى «الدين» لا غنى لها عن الدعوة بمعنى «النشر والبلاغ»؛ حيث إن «الدعوة إلى الله نشرًا وتبليغًا حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان، ولا انتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة»⁽⁴⁾، فـ«الدعوة بالنسبة للدين أو للمبدأ عملية إبراز لوجوده، وتنفيذه في

= مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ك الأحكام، باب في القضاء 192/4، ح رقم 6982، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

- (1) سورة الرعد من الآية 14.
- (2) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1/286، تحقيق: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الإسكندرية: دار الدعوة، د.ت.
- (3) ينظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة: د/حمد ناصر عبد الرحمن العمار ص 20، 21، ط3، الرياض: دار إشبيليا، 1418هـ/1998م.
- (4) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة: الشيخ/علي محفوظ ص 14، ط5، القاهرة: دار الاعتصام، 1371هـ/1952م.

الواقع الحي الملموس»⁽¹⁾، وقد تعددت تعريفات الدعوة في الاصطلاح تنوعاً لا تضاداً، تبعاً لتعدد رؤى الباحثين، وكلها لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة:

المفهوم الأول: الدعوة بمعنى (الدين) :

فلا يراد به إلا الدين الإسلامي بتعاليمه⁽²⁾، ويزداد تأكيداً إذا لحقها الوصف «الإسلامي»، فقول: «الدعوة الإسلامية»، وبهذا المفهوم وردت تعريفات كثيرة، منها:

1- «الدين الذي ارتضاه الله عز وجل للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية»⁽³⁾ وهو التعريف المختار.

2- «برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس؛ ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين»⁽⁴⁾.

3- «دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، وتحدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً، وافياً، شاملاً لصالح الدنيا والآخرة»⁽⁵⁾.

(1) الدعوة الإسلامية في عهد المكي مناهجها وغاياتها: د/رؤوف شلبي ص25، القاهرة: مطبعة الفجر الجديد، د.ت.

(2) ينظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة: د/حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ص21، بتصرف.

(3) الدعوة الإسلامية «أصولها - وسائلها - أساليبها في القرآن الكريم»: د/أحمد غلوش ص33 وما بعدها، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م.

(4) مع الله «دراسات في الدعوة والدعاة»: الشيخ/محمد الغزالي ص17، ط3، دمشق: دار القلم، 1419هـ/1998م.

(5) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: د/محمد الراوي ص39، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، د.ت.

وعلى هذا، فالدعوة الإسلامية تعني الدين الإسلامي كله، بعمومه وشموله، وإحاطته بكافة شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

المفهوم الثاني: الدعوة بمعنى (النشر والبلاغ):

عندما يطلق لفظ «الدعوة» فإنه ينصرف عرفاً إلى هذا المعنى الذي تواردت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ⁽¹⁾، فـ«الدعوة» بمعنى «النشر والبلاغ» صارت علماً مستقلاً له موضوعه، وخصائصه، وأهدافه، وأساليبه، ووسائله، وبذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية، يفيدها ويفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيع⁽²⁾، ومنها:

- 1- «الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا»⁽³⁾.
- 2- «فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يُحافظ على دينهم بواسطتها»⁽⁴⁾.
- 3- «تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى ما فيه من عقيدة التوحيد الخالص، والإيمان النقي بكل ما جاء من عند الله في كتابه الكريم وفي سنة رسوله محمد ﷺ، والعمل به في جميع شؤون الحياة: دينية

(1) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة: د/محمد أبو الفتح البيانوني صـ 18 بتصرف، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415هـ/1995م.

(2) ينظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة: د/حمد العمار صـ 21، بتصرف.

(3) مجموع الفتاوى: نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ) 15/157، 158، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م.

(4) الدعوة والإنسان: د/عبد الله الشاذلي صـ 39، طنطا: المكتبة القومية الحديثة، د.ت.

كانت، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو غير ذلك»⁽¹⁾
وهو التعريف المختار.

وعلى هذا، فالدعوة الإسلامية بهذا المفهوم تعني: تبليغ ما جاء به الإسلام من عقائد، وأخلاق، وشرائع ومعاملات وأحكام وحدود، ونشر لهذا الدين الحنيف في ربوع الدنيا، وإخراج الناس من عبادة العباد بكل صورها، إلى عبادة رب العباد، ومن ظلم البشر إلى عدل الإسلام ورحمته، وهو المفهوم المراد في هذا الكتاب.

2- تعريف «الإسلامية» لغة واصطلاحاً:

أ- الإسلام لغة:

مادة سلم: الصحة والعافية⁽²⁾، والإسلام والاستسلام: الانقياد، وإظهار الخضوع وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يُحقن الدم ويُستدفع المكروه... وفيه قولان: أحدهما: المُستسلمُ لأمر الله تعالى، والثاني: المُخلصُ لله تعالى العبادة من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم له الشيء أي خلص له، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا⁽³⁾ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ

(1) الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينا: د/عبد الخالق إبراهيم إسماعيل ص10، الزقازيق: مؤسسة النجوم الهاشمية، 1417هـ/1997م.

(2) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ) 90/3 بتصرف، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ/1979م.

(3) عبد الله بن عمرو بن العاص، ولد قبل الهجرة بسبع سنين، كان يكتب في الجاهلية، كثير العبادة، شهد الحروب والغزوات، شهد صفين مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، وعمي في آخر حياته حتى مات سنة 65هـ، له 700 حديث.

ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ) 373/2، 261/4 - 268، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر، 1968م، أسد الغابة في معرفة =

من لسانه ويده» (1)، (2).

فالإسلام في اللغة يطلق على: التسليم والخضوع والاستسلام، والانقياد لله عز وجل، وامتنال أو امره واجتتاب نواهيه دون إبداء رأى فيها أو توجيه.

ب- الإسلام شرعاً: له عدة تعريفات منها:

- «الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ» (3).

= الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ) 3/345، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م، سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ) 3/79-94، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م.

(1) جزء من حديث، أخرجه: البخاري في صحيحه ك الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده 11/1، ح رقم 10، (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، السعودية: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ)، ومسلم في صحيحه ك الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل 1/165، ح رقم 65 (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

(2) ينظر: العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت170هـ) 7/266، تحقيق: د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت، مختار الصحاح: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت666هـ) ص178، القاهرة: دار الحديث، 1425هـ/2004م، لسان العرب: ابن منظور 12/293، 294.

(3) التعريفات: الجرجاني ص 23.

- «دعوة التوحيد الكبرى التي بُعثَ بها رسول الله ﷺ لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان ومكان»⁽¹⁾ وهو التعريف المختار.

فالمقصود من كلمة «إسلامية»، كل ما يتصل بالإسلام من عقائد.. إلخ، والحالة التي كان عليها الإسلام في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، وهل كان مزدهراً أم كان غير ذلك؟

3- تعريف كلمة «الهند» و«القرن الحادي عشر الهجري»:

أ- أصل كلمة «هند»:

تستمد الهند اسمها من كلمة «سندهو»، وهو الاسم الهندي لنهر «الأندوس»، وهو نهر السند⁽²⁾، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمتا: «إند» و«هند»، ومعناهما الأرض التي تقع فيما وراء نهر الأندوس»، وأصبح سكان هذا الإقليم يسمون الهنود، كما أصبحت بلادهم تعرف بالهندوستان»⁽³⁾.

ب- جغرافية الهند:

الهند: «شبه جزيرة تشبه في منظرها قارة أفريقية بوجه عام، فهي عبارة عن مثلث غير منتظم الأضلاع، قاعدته إلى أعلى، ورأسه إلى أسفل، وقاعدته جبال الهمالايا الشامخة، ورأسه رأس كوماري»⁽⁴⁾.

(1) تذكرة الدعاة: البهي الخولي ص14، ط9، القاهرة: مكتبة التراث، 1424هـ/2004م.

(2) السند: مقاطعة في جنوب باكستان، عاصمتها حيدر آباد.

ينظر: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين 1/367، ط29، بيروت: دار المشرق، 2008م.

(3) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص2، ط1، القاهرة: دار العهد الجديد، 1378هـ/1909م

(4) أديان الهند الكبرى «الهندوسية - الجينية - البوذية»: د/أحمد شلبي ص18، ط11، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2000م.

وتصل مساحتها إلى مليوني ميل، أي ما يزيد على نصف مساحة القارة الأوربية⁽¹⁾؛ ولذلك فإنها تعتبر قارة مستقلة في حد ذاتها لكبر مساحتها، وكثرة سكانها، وأنواع معادنها الطبيعية، فإذا قيل بلاد الهند يتبادر إلى الذهن «الهند» التي تحيط بها سلسلة من جبال «هماليا» من الشمال، ممتدة إلى بلاد «كشمير»⁽²⁾ وإلى «بوتان»⁽³⁾، وفي الجنوب «كانيا كماري»، وفي الغرب بلاد السند، وفي الشرق «بورما»⁽⁴⁾.

فيسمى البلد الذي يقع في هذه الأراضي الواسعة الهند⁽⁵⁾، ويحتضنها نهران عظيمان، أحدهما نهر الإندوس «السند»، وينبع من جبال الهملايا، ويصب في خليج العرب بعد أن يتصل بأنهار البنجاب «الأنهار الخمسة»، والآخر نهر كنكا

(1) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: أحمد محمود الساداتي 4/1، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت.

(2) كشمير: تحدها سلسلة الجبال من جهاتها الأربع، من الشرق: تنتهي إلى حدود التبت الصغير، ومن الغرب: تنتهي إلى مساكن الأفغانيين، ومن الشمال: تنتهي إلى خراسان، ومن الجنوب: تنتهي إلى بنجاب، وأرضها سهل مستو، ولها شهرة في كثرة الفواكه.

ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ) ص 113، 114، مراجعة وتقديم: أبو الحسن على الحسني الندوي، الهند: دار عرفات، 1422هـ/2001م.

(3) مملكة في آسيا بسفوح هماليا الشرقية جنوب التبت بين ولايتي آسام وسيكيم الهنديتين عاصمتها تيمبو.

ينظر: المنجد في الأعلام واللغة: مجموعة من الباحثين 140/1.

(4) بورما: جمهورية في جنوب شرق آسيا، تقع على خليج البنغال بين تايلاند والصين وآسام، عاصمتها: رانغون، وديانتها البوذية.

ينظر: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين 150/1.

(5) ينظر: فصول في أديان الهند «الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية» وعلاقة التصوف بها: د/محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص 5، ط 1، المدينة المنورة: دار البخاري للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م.

أو نهر الكنج، وهو ينبع - أيضاً - من جبال الهملايا، ويصب في خليج البنغال⁽¹⁾ بعد أن يتصل بنهر براهما بوترا المقدس - عندهم -، ويشق الهند عند منتصفها تقريبا سلسلة من الجبال والأدغال تبدأ من الغرب، وتسير حتى قرب الساحل الشرقي، وهذه السلسلة تقسم الهند قسمين يختلف أحدهما عن الآخر في طبيعته وفي سكانه وحضارته⁽²⁾.

ويمكن تقسيم الهند إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، لكل منها مميزاتا الخاصة

وهي:

1- الحائط الجبلي العظيم في الشمال:

مركز هذا القسم «عقدة البامير» في أقصى الشمال الغربي، ومنها تتجه سلاسل الهملايا نحو الشرق والجنوب، وتمتد لمسافة 1500 ميل بدون انقطاع، وقد أدت هذه الجبال المنيعة إلى انعزال الهند عن باقي القارة إلا في بعض المواضع، حيث تتخللها بعض الممرات، التي ساعدت على دخول سيول المهاجرين والغزاة، حاملين معهم حضارتهم، وأهم هذه الممرات ما يقع منها في الشمال الغربي في جبال هندكوش، وجبال سليمان على الحدود بين الهند، وأفغانستان، والتي عن طريقها دخلت جيوش الغزنويين⁽³⁾ فنشروا الإسلام في

(1) البنغال: منطقة في آسيا الجنوبية بين الهملايا وخليج البنغال، وتنقسم إلى قسمين: البنغال الغربية، وتتبع الهند، وعاصمتها: كلكتا، والبنغال الشرقية، وتتبع بنغلاديش، وعاصمتها: دكا. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين ص144.

(2) ينظر: أديان الهند الكبرى: د/أحمد شلبي ص 18.

(3) الدولة الغزنوية [351-582هـ=962-1186 م]: دولة تركية حكمت بلاد ما وراء النهر، عاصمتها «غزنة» وإليها تنسب، وتقع اليوم داخل أفغانستان، ويعد ألب تكين المؤسس لها، فكان من قادة الجيش الساماني، لكنها لم تحكم وتستقل إلا في عهد أبو منصور سبكتكين وهو من مملوكي ألب تكين فجعل غزنة عاصمة لها، واستطاع محمود الغزنوي أن يستولى على أراضي البويهيين حتى وصل إلى وسط الهند واعترفت به =

الشمال الهندي، وفي مقدمة هذه الممرات «ممر خيبر» الذي كان دائماً من أهم المداخل البرية إلى الهند، ومنه كانت معظم الغزوات التي وصلت إلى الهند، ولم يفقد الممر أهميته العسكرية، وبجانبه عدد آخر من المنافذ، ولكنها أقل منه مكانة، وأهمها «ممر بولان»، و«ممر جومال»، ثم الطريق الذي يسير في محاذة ساحل «مكران»، وقد سلك هذه الممرات، واخترق هذه الطرق الطبيعية، أولئك الذين جاءوا الهند تجاراً مسالمين، أو غزاة محاربين في العصور القديمة والوسطى، ولما غزا الإسكندر الأكبر الهند دخل عن طريق «ممر خيبر»، وخرج منها عن طريق «ممر بولان»⁽¹⁾.

2- سهول الهند الشمالية:

يقع داخل القوس الجبلي العظيم، وتمتد من البحر العربي حتى خليج بنغال في الشرق، وتعتبر من أهم الأقاليم السهلية، وأوسعها في العالم جميعاً، ويزيد امتدادها الغربي الشرقي على الألفي ميل، ويتراوح اتساعها بين 150-200 ميل، وتمتاز هذه السهول بانبساط السطح، واستوائه، وقلة تموج المظهر العام للسطح، وكذلك عظم سمك الطبقات الرسوبية المكونة لها، والتي حملتها أنهار: السند، والكنج، وبراهما بوترا وروافدها العديدة، وتسمى قديماً: سهول هندوستان⁽²⁾.

= الخلافة العباسية سلطاناً ولقب بـ«يمين الدولة»، فأسس بذلك دولة سنية قوية، وفي عهد ابنه مسعود بن محمود فقدت الدولة مساحة كبيرة من أراضيها، فسيطرت الدولة السلجوقية على المناطق الجنوبية لها.

ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص111 وما بعدها.

(1) ينظر: ملامح الهند والباكستان: د/محمد عبد المنعم الشرقاوي بك، د/محمد محمود

الصياد ص12-14، القاهرة: دار المعارف، 1371هـ/1952م.

(2) المرجع السابق ص 15، 16.

3- هضبة الدكن:

يشمل جميع جنوبي الهند، وكثيراً ما يطلق عليه اسم «هضبة الدكن»، ويعلو فوق سطح الهضبة خط من المرتفعات يكاد يكون الاتجاه الغالب عليه من الغرب نحو الشرق، ويعرف باسم «نطاق سانتبورا»، وتشققها عدة مجارى مائية تصب في البحر العربي، وخليج البنغال، وقد لعبت هذه المرتفعات دوراً هاماً في تاريخ الهند بصفة عامة، إذ أنها كانت بمثابة حجر عثرة ضد تقدم الآريين وتوغلهم، وانتشارهم نحو الجنوب، لذا جرى العرف عند الجغرافيين على اعتبار «خط سانتبورا» حداً طبيعياً فاصلاً بين الهند الشمالية من جهة، وشبه جزيرة الهند أو هضبة الدكن من جهة أخرى⁽¹⁾.

فالهند بلاد محصنة تحيطها الجبال من الشمال، والبحار من الجنوب والشرق والغرب، وتشمل الهند المعاصرة وباكستان إضافة إلى كشمير وبنغلادش، ونيبال، والتبت، وأفغانستان، والدراسة محل البحث ستختص بالهند قبل التقسيم الذي حدث سنة 1947م. والذي بمقتضاه ظهرت باكستان وبنغلادش، باعتبارهما كيانين إسلاميين خالصين.

وعلى هذا، فحدود الهند من ناحية الشمال: سلسلة جبال الهملايا، ومن الغرب: جبال هندكوش وسليمان، حيث تقع أفغانستان وإيران، ثم تمتد الهند في شبه جزيرة يقع بحر العرب في غربها، وخليج البنغال في شرقها، وسيلان⁽²⁾ في طرفها الجنوبي، وينتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال آسام⁽³⁾.

(1) ينظر: ملامح الهند والباكستان: د/محمد عبد المنعم الشرقاوي بك، د/محمد محمود الصياد ص 17.

(2) سيلان: جزيرة تقع جنوب شرقي الهند، تعرف منذ 1972م باسم جمهورية «سري لنكا»، عاصمتها «كولمبو».

ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي 298/3، المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين ص 377.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 2.

ج- مناخ الهند:

يسودها مناخ موسمي حار يمتاز بشتاء جاف، وصيف مطير، وينقسم إلى ثلاث فصول مناخية هي:

- 1- فصل بارد جاف في شهري يناير وفبراير، ويسود الهند عدا إقليم البنجاب؛ حيث يسقط بعض المطر.
- 2- فصل حار من أوائل شهر مارس إلى أواسط يونية.
- 3- فصل مطير من يونية إلى ديسمبر، وتسقط فيه بعض الأمطار، وتهب فيه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المحملة بالمطر الغزير المصحوب بالرعد والبرق⁽¹⁾.

د- القرن الحادي عشر الهجري:

ويبدأ هذا القرن من الأول من شهر الله المحرم سنة 1001هـ، وينتهي في الثلاثين من شهر ذي الحجة 1100 من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ثانياً: نبذة عن تاريخ الإسلام في الهند قبل قيام الدولة المغولية

فيما يلي نبذة سريعة عن تاريخ الإسلام في هذه البقعة الجغرافية، وكيف وصل إليها الإسلام في فترة زمنية متقدمة من التاريخ الإسلامي وأوضاع الناس هناك إلى فترة الدولة المغولية.

1- زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين:

كان العرب قبل الإسلام أهل تجارة، ولما دخلوا في الإسلام ظلوا يمارسون هذا النوع من العمل، ويحملون دعوتهم معهم، في حلهم وترحالهم، وعن طريق

(1) ينظر: ملامح الهند والباكستان د/محمد عبد المنعم الشرقاوي، د/محمد محمود الصياد ص33، 37.

التجارة وصل الإسلام إلى بلاد جنوب شرق آسيا ومنها الهند⁽¹⁾؛ لأن «العلاقات التجارية كانت قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند، فلما سمع سكان هذه المناطق بالإسلام أسلم بعضهم في زمن النبي ﷺ، وأخذت هذه الجاليات تلعب دوراً كمراكز تبليغ الدعوة الإسلامية بطريقة غير مباشرة، فوصل الإسلام بذلك سواحل مالابار⁽²⁾ وسواحل إقليم السند مبكراً⁽³⁾.

أما عن توجه الفتوحات نحو الهند فقد بدأ التفكير فيه بعدما فرغ المسلمون من حروبهم في بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حينما فكر عامله على البحرين وعمان: عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة 15هـ⁽⁴⁾، فوجه أخاه الحكم بن أبي العاص⁽⁵⁾ إلى «تانه»، فأرسل إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما

(1) ينظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي: إعداد/فريق البحوث والدراسات الإسلامية 97/2 بتصرف، إشراف ومراجعة: قاسم عبد الله إبراهيم، محمد عبد الله صالح، القاهرة: مؤسسة اقرأ.

(2) مالابار: جزء من الساحل الجنوبي الغربي في الهند. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين ص629.

(3) ينظر: حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: د/جميل عبد الله محمد المصري 323/1 بتصرف، السعودية: الجامعة الإسلامية، 1406هـ/1986م.

(4) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف: صحابي، من أهل الطائف، أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي ﷺ على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. ثم ولاه عمر عمان والبحرين، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي سنة 51هـ.

ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: الذهبي 374/2، 375، الأعلام: الزركلي 207/4.

(5) الحكم بن أبي العاص بن بشر بن وهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار الثقفي، أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي، له صحبة، كان أميراً على البحرين، وسبب ذلك أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعمل عثمان أخاه على عمان والبحرين، فوجه أخاه الحكم على البحرين، وافتتح الحكم فتوحاً كثيرة بالعراق سنة تسع عشرة أو سنة عشرين. =

عاد الجيش يعلمه بذلك، فكتب إليه عمر محذراً إياه، حرصاً منه على دماء المسلمين، قائلاً: «يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم»، ولما هدأت الأمور واطمأن الوالي على الدعاة المبعوثين وجه أخاه الحكم إلى «بروص»⁽¹⁾، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص⁽²⁾ إلى «خور الديبل»، فلقي العدو فظفر⁽³⁾.

إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من سياسته الخشية على المسلمين من الإنسيح في بلاد فارس وما والاها من البلدان الكبيرة، حتى لا يتفرق المسلمون في أماكن تضر بهم، وأيضاً كان يخاف عليهم من المجازفة بركوب البحر، ولا شيء على الخليفة في خوفه على المسلمين، فالأمر لا يعدو احتياطاً من ناحيته لأمر المسلمين، الذين يرعاهم، ويسأل عن سياستهم، ولا يريد أن يزوج بهم في طريق يخاف عليهم منه⁽⁴⁾.

= ينظر ترجمته في: الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام المسمى «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»: العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ/31/1، 32، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1420هـ/1999م.

(1) بروص: تسمى أيضاً «بروج» بفتح الواو وجيم، أشهر مدن الهند البحرية وأهمها وأكبرها وأطيبها، يجلب منها النيل واللك.
ينظر: معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) 404/1، ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.

(2) المغيرة بن أبي العاص بن بشر بن دهمان الثقفي، المجاهد، وجهه أخوه عثمان بن أبي العاص أمير البحرين وعمان في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى «خور الديبل» فلقي العدو فظفر.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 37/1.
(3) ينظر: فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلْأَزِي (ت 279هـ) ص 608 بتصرف، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988م.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 72.

ولما تولى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة، أمر والي العراق: عبد الله بن عامر أن يوجه إلى ثغر الهند من يخبره بخبر هذه البلاد، فوجه عامل العراق: حكيم بن جبلة العبدي⁽¹⁾، فلما رجع أرسله إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن حال البلاد، فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتُها، قال: فصفها لي؟ قال: ماؤها وشل، وثمرها دقل⁽²⁾، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فلما سمع ذلك منه عدل عن غزوها، فلم يغزها أحد في زمانه⁽³⁾.

وظل حال المسلمين معها هكذا حتى كان زمن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽⁴⁾، حيث قام عامله الحارث بن مرة العبدي⁽¹⁾ بإذن منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(1) حكيم بن جبلة العبدي، صحابي، ولاه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السند، اشترك في الفتنة أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقطعت رجله فضرب بها الذي قطعها فقتله بها، فجلس على المقتول الذي قطع رجله، فمر به فارس فقال: من قطع رجلك؟ قال: وسادي، وقتل سنة 36هـ. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: الذهبي 531/3، 532، 33، الأعلام: الزركلي 269/2.

(2) وشل: قليل. (ينظر: لسان العرب: ابن منظور 313/9، 314)، دقل: رديء. (المرجع السابق 387/3).

(3) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 607.

(4) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي ﷺ وصهره، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، ولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة 35هـ، حدثت فتن عظيمة بعد توليته، قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة في 17 رمضان سنة 40هـ.

ينظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) 172/5-179، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ/1992م، سير أعلام النبلاء: =

بغزو تلك البلاد، وأصاب مغنماً وسبياً، وانتهت بمقتله بأرض القيقان من بلاد السند، مما يلي خراسان⁽²⁾.

وخلاصة القول:

أن الإسلام بدأ يطرق أبواب الهند مبكراً، سواء أكان ذلك عن طريق التجار، أو عن طريق بعض المحاولات التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين، والتي كانت بتوجيهاتهم وتحت رعايتهم.

2- زمن الدولة الأموية:

بدأت الفتوح الفعلية لهذه المنطقة في عصر الأمويين، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽³⁾ تمكن المهلب بن أبي صفرة⁽¹⁾ من فتح إقليم قيقان السندي،

= الذهبي سير الخلفاء الراشدين ص223-290، العبر في خبر من غبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ) 33/1، 34، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، دت، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت 874هـ) 155/1، 156، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، دت، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد ابن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ) 221/1-227، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ/1986م، الأعلام: الزركلي 256/4.

(1) الحارث بن مرة العبدي، قائد له ذكر في فتوح السند أوغل في السند فاتحاً، وظفر بمغانم سنة 39-42هـ، حتى بلغ أرض القيقان مما يلي خراسان، فقتل فيها هو وأكثر من معه سنة 42هـ. ينظر ترجمته في: الأعلام: الزركلي 157/2.

(2) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص607.

(3) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد قبل الهجرة بعشرين سنة، مؤسس الدولة الأموية، أسلم يوم فتح مكة سنة 8هـ، كان من كتاب الوحي، له 130 حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة، =

ثم غزا «بنّة»⁽²⁾ و«لاهور»، وهما بين «الملتان» و«كابل»، وتمكن من الاستيطان في مناطق كثيرة من الهند⁽³⁾.

لكن نشاط المسلمين في الهند ظل مقصوراً في بعض الثغر من الهند، بعد معاوية بن أبي سفيان، وبدأ نطاق الفتوحات في زمن الوليد بن عبد الملك⁽⁴⁾، على يد الحجاج بن يوسف الثقفي⁽⁵⁾ الذي كان والياً على العراق، ووجه الفاتحين

= أول مسلم ركب البحر، وضربت في أيامه دنائير عليها صورة أعرابي متقلداً سيفاً، توفي سنة 60هـ.

ينظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 332/5-334، سير أعلام النبلاء: الذهبي 119/3-162، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 261/7، الأعلام: الزركلي 261/7، 262.

(1) المهلب بن أبي صفرة، ولد عام الفتح، حدث عن: عبد الله بن عمرو، وابن عمر، روى عنه: سماك بن حرب، وعمر بن سيف، غزا الهند، ثم ولي خراسان، ولقد بالغ الحجاج في احترامه، توفي المهلب غازياً بمرور الروذ سنة 82هـ.

ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ) 350/5-359، حققه د/إحسان عباس، بيروت: دار صادر 1414هـ/1994م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 235/6، سير أعلام النبلاء: الذهبي 383/4-385، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغرى بردي 265/1.

(2) بنّة: بالفتح ثم التشديد، مدينة بكابل. ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي 394/2.

(3) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 608.

(4) ينظر: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي: د/حسن أحمد محمود ص 178، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م.

(5) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد في الطائف بالحجاز سنة 40هـ، وانتقل إلى الشام، عمل في شرطة عبد الملك بن مروان، ثم ما زال يظهر حتى قله عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فقتله، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، والثورة قائمة فيها، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وبنى مدينة واسط بالعراق، كان سفاحاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين، مات بواسط سنة 95هـ، وأجرى على قبره الماء فاندثر.

إلى الهند⁽¹⁾.

وقد ذكر البلاذري⁽²⁾ سبب ذلك «أنه كان في «سيلان» أو «جزيرة ياقوت» - كما يسميها البلاذري -، نسوة من العرب مات عنهن آباؤهن، فأراد ملك الجزيرة أن يهديهن إلى الحجاج تقريباً منه، فأركبهن سفينة إلى البلاد العربية، فعرض للسفينة قوم من «ميد الديبل» في بوارج، فأخذوا السفينة بمن فيها فنادت امرأة منهن - وكانت من «بنى يربوع» - : يا حجاج، وبلغ الحجاج ذلك، فقال: لبيك، فأرسل إلى «داهر»⁽³⁾ يسأله تخلية النسوة، فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهن، فحمل الحجاج على غزو السند مملكة «داهر»⁽⁴⁾، فرأى أن يوجه حملة أخرى، وقد جعل على رأس هذه الحملة ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن القاسم الثقفي⁽⁵⁾، وذلك في

= ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان 29/2-54، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 6/336-343، العبر في خبر من عبر: الذهبي 1/84، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي 1/294-295، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 1/377-386، الأعلام: الزركلي 2/168.

- (1) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 611.
- (2) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، مؤرخ جغرافي نسابة، وأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون، فشد بالبيمارستان إلى أن توفي، نسبته إلى حب البلاذر، قيل: إنه أكل منه فكان سبب علته، من كتبه فتوح البلدان، توفي سنة 279هـ.
- ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: الذهبي 13/162، 163، معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) 2/530-535، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م، الأعلام: الزركلي 1/267.
- (3) داهر: أحد ملوك الهند البراهمة الذي استطاع أن ينتزع إقليم السند من قبائل «السكا» وظل يحكمه حتى غزاه المسلمون.

ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: الساداتي 1/37.

- (4) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 612.
- (5) محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ولد سنة 62هـ، فاتح السند وواليتها، وولى الحجاج محمداً ثغر السند في أيام الوليد بن عبد الملك، فزحف إلى السند، ففتحها، وانسبط يده في البلاد فتحاً وتنظيماً، توفي نحو سنة 98هـ.
- ينظر ترجمته في: الأعلام: الزركلي 6/333، 334.

سنة (92هـ/711م)، وكان عمره إذ ذاك نحواً من عشرين سنة، ولكنه عرف بالصلابّة والشجاعة، وقد أمره أن يسير إلى «الري»، وجهزه الحجاج بجيش قوي حشد له فيه كل ما يحتاج إليه حتى الخيوط والمسال، وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج، فنُقِعَ في «الخل الأحمر الحاذق»، ثم جفف في الظل، وقال لهم: إذا صرتم إلى السند، فإن الخل بها ضيق (أي قليل)، فانقعوا هذا القطن في الماء، ثم اطبخوا به.

وسار محمد بجيشه من جنوب فارس قريباً من الساحل، حيث كانت سفن الحملة تحمل ما تحتاج إليه من العدة والمؤن، حتى وصل «الديبل» يوم جمعة، ووافته سفنه التي كانت تحمل العتاد، فخذق، وركز الرماح تجاه المدينة، ونشر الأعلام، وأنزل الناس على راياتهم، ونصب منجنيقاً تعرف «بالعروس»، وكان بـ«الديبل» «بد» عظيم «والبدّ» فيما ذكروا: منارة عظيمة في بناء لهم فيه أصنامهم (أي معبد)، وكل شيء عظموه من طريق العبادة، فهو «بدّ»⁽¹⁾، وكان قد انضم إلى جيش المسلمين عند «الديبل» جموع كثيرة من رجال «الميد»، و«الجات أو الزط»، وهما قبيلتان من بلاد السند هاجر كثير من رجالها إلى خارج بلادهم، لفرط ما كانوا يعانونه من سوء معاملة الحكومة البرهمية، إذ كانوا في عداد المنبوذين الذين يحرم عليهم امتطاء الدواب، أو ارتداء غالي الثياب، ولم يكن يباح لهم من المهن والحرف إلا أدناها، وقد أفاد المسلمون الفاتحون من رجال «الميد»، و«الزط» إلى جانب شجاعتهم في الحرب، وشدة جلدتهم فيها لمعرفتهم بمسالك السند ودروبها⁽²⁾، ثم دار قتال انتهى باستيلاء المسلمين على «الديبل»، وهرب عامل «داهر» عنها، واختط محمد بن القاسم

(1) ينظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: مصطفى عبد الكريم الخطيب ص 70، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م.

(2) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 59/1.

للمسلمين بها منازل يقيمون فيها، وترك بها حامية قوامها أربعة آلاف، وبنى فيها مسجداً، فكان أول مسجد بهذه المنطقة⁽¹⁾.

وظل محمد بن القاسم يتابع حملاته حتى بلغ مدينة «النيرون»⁽²⁾ على الضفة الغربية للسند، وكانوا قد صالحوا الحجاج، وحصلوا على الأمان، ثم سار إلى «سهبان»، ففتحها، ثم سار إلى «مهران»، وهناك تقابل مع «داهر»، حتى تمكن من قتله، فلما قتل هذا الملك غلب محمد بن القاسم على بلاد السند، وفتح «المُلتان»، فغنم المسلمون منها أموالاً كثيرة، وسموها «فرج بيت الذهب»، و«الفرج» هو: الثغر⁽³⁾.

وفي الوقت الذي كان فيه قائد الحجاج ينتقل من نصر إلى نصر؛ مؤملاً أن يضم إلى المملكة الإسلامية مملكة الهند الشمالية، وعاصمتها «قنوج»، كتب إلى الحجاج يستأذنه في فتحها، فأجابه إلى طلبه، فأرسل محمد ابن القاسم وفداً من رجاله إلى صاحب «قنوج» يدعوهُ إلى الإسلام، أو الجزية، ولكن رفض ملكها هذه الدعوة، بأن رد الوفد رداً غير كريم، فأخذ الفاتح العربي يعد العدة لغزوها، فجهز جيشاً فيه عشرة آلاف من الفرسان، وعليه قائده أبو الحكم⁽⁴⁾، على أنه لم يكد يفرغ من إعداد حملته، جاءه خبر وفاة عمه الحجاج سنة 95هـ، وبعد قليل جاءه خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك - وكان سنده، وسند عمه الحجاج -

(1) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 612-613-614.

(2) النيرون: تقع هذه المدينة على مسافة 75 ميلاً من «مكران»، وتعرف باسم «نيرانكوت»، وموقعها «حيدر أباد» السند الحالية، ولقد سماها البلاذري: البيرون، وهذا خطأ؛ لأن مدينة «بيرون» مسقط العلامة البيروني، وهي بإقليم خوارزم.

ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 60/1.

(3) ينظر: فتوح البلدان البلاذري ص 614-615-616-617.

(4) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 65/1.

وتولى الخلافة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ=716-717م)⁽¹⁾، فولى صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق، وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكى⁽²⁾ السند⁽³⁾.

واستمر الخلفاء الأمويون على هذه السياسة من الفتوحات في الهند، وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ=717-720م)⁽⁴⁾، كتب إليهم

(1) سليمان بن عبد الملك بن مروان، ولد في دمشق سنة 54هـ، وولى الخلافة سنة 96هـ، فلم يتخلف من مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، كان طموحاً إلى الفتح، جهز جيشاً كبيراً وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، توفي بـ«دابق» سنة 99هـ، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً.

ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان 420/2-427، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 49/7، 50، سير أعلام النبلاء: الذهبي 111/5-113، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي 307/1، 308، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 398/1-402، الأعلام: الزركلي 130/3.

(2) يزيد بن كبشة السكسكى، كان من قواد الدولة الأموية، استخلفه الحجاج عند موته على الحرب والصلاة بالمصريين البصرة والكوفة، فأقره الوليد، وقيل بل الوليد هو الذي ولاه ولما مات وقام بالملك سليمان بن عبد الملك استعمله على السند فحمل محمد بن القاسم الثقفي مقيداً مع معاوية بن المهلب ومات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً سنة 96هـ.

ينظر ترجمته في: نزهة النواظر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 37/1.

(3) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 618-619.

(4) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، ولد ونشأ بالمدينة سنة 61هـ، وولى إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولى الخلافة بعهد من سليمان سنة 99هـ، فبوع في مسجد دمشق، وسكن الناس في أيامه، ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به سنة 101هـ، مدة خلافته سنتان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، كان يدعى أشج بنى أمية؛ لأنه دابة رمحته وهو غلام فشجت. =

يدعوهم إلى الإسلام، والطاعة، على أن يملكهم ما بيدهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وقد كانت سيرته، ومذهبه بلغتهم، فأسلم كثير من ملوك الهند، وتسموا بأسماء عربية، وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبد العزيز على السند، فغزا بعض الهند، فظفر⁽¹⁾، ولكن ارتد كثير منهم؛ لأنهم أسلموا ظاهراً.

وفي عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ=724-743م)⁽²⁾، تولى الحكم بن عوانه الكلبي، وقد ارتد بعض أهل الهند، فلم ير «الحكم» للمسلمين ملجأً يلجؤون إليه، فبنى مدينة سماها «المحفوظة»، وجعلها مأوى وملاذاً، ثم بنى مدينة أخرى سماها «المنصورة»، وتمكن من استرداد ما غلب عليه من ملوك الهند⁽³⁾. وظل الخلفاء الأمويون يرسلون الولاة على هذه البلاد، ويوجهون الحملات المتتالية لفتح بلاد الهند، ودخل في ضمن الدولة الإسلامية الكثير من بلاد السند والهند، ورسخت الإسلام هناك.

3- زمن الخلافة العباسية:

خلف العباسيون الأمويين في الحكم، ولم تكن الفتوحات في زمنهم بحجم

= ينظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 7/69-72، سير أعلام النبلاء: الذهبي 5/114-148، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 5/2-10، الأعلام: الزركلي 5/50.

- (1) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص620.
- (2) هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد في دمشق سنة 71هـ، ببيع سنة 105هـ، وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة 120هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة، فوجه إليه من قتله وفل جمعه، واجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع لغيره، وكان حسن السياسة، يقطاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه، توفي سنة 125هـ.
- ينظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 7/246، سير أعلام النبلاء: الذهبي 5/351-353، العبر في خبر من عبر: الذهبي 1/122، 123، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 2/102-106، الأعلام: الزركلي 8/86.
- (3) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص623.

ما تم في زمن الدولة الأموية، إلا ما كان عهد الخليفة العباسي المنصور (136-158هـ=754-775م)⁽¹⁾، فقد تولى هشام بن عمرو التغلبي⁽²⁾ السند، ففتح ما استغلق على السابقين، ثم توجه إلى ناحية الهند، فافتتح «كشمير»، و«الملتان»، و«القندھار»، وأخصبت البلاد في ولايته فاستبشر الناس به وبحكمه⁽³⁾.

ولم يزل الأمر مستقراً في إقليم السند حتى وليه بشر بن داود في خلافة المأمون (198-218هـ = 813 - 833م)⁽⁴⁾، وأراد الاستقلال عن الدولة

(1) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر المنصور، ولد سنة 95هـ، أول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، محباً للعلماء، ولي الخلافة سنة 136هـ، وهو باني مدينة بغداد، زاد في المسجد الحرام، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً، توفي ببئر ميمون من أرض مكة محرماً بالحج سنة 158هـ، ومدة خلافته اثنان وعشرون عاماً، يؤخذ عليه قتله لأبي مسلم الخراساني سنة 137هـ.

ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ) 11/244-253، تحقيق: د/بشار عواد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ/2002م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 8/219-222، سير أعلام النبلاء: الذهبي 7/83-89، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي 2/41-43، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 2/262، الأعلام: الزركلي 4/117.

(2) هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي، وجه الغزاة إلى نواحي الهند، فافتتح كشمير، الملتان، القندھار، وبنى في هذه مسجداً، وأخصبت البلاد في ولايته، واستمرت ست سنوات، وعاد إلى بغداد سنة 157هـ معزولاً، توفي بعد سنة 157هـ.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 1/51، الأعلام: الزركلي 8/87.

(3) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص624.

(4) المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ولد سنة 170هـ، سابع الخلفاء العباسيين، ولي الخلافة بعد خلع الأمين سنة 198هـ، وأطلق حرية الكلام للفلاسفة، لولا المحنة بخلق القرآن في السنة الأخيرة من حياته، توفي سنة 218هـ.

العباسية، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، واستمر الفاتحون المسلمون في تأسيس قواعد لهم في بلاد الهند، فأسس عمران بن موسى⁽¹⁾ مدينة سماها «البيضاء» بالسند في عهد المعتصم بالله (218-227هـ=833-842م)⁽²⁾.

وهناك حادثة ذكرها البلاذري تبين ما يتميز به الإسلام بأنه منهج حياة، فكان للتجار المسلمين دور كبير في نشر الدعوة، فيقول: «أن بلداً يدعى «العسيفان» بين «كشمير»، و«الملتان»، و«كابل»، وكان عليها ملك عاقل، وكان أهل ذلك البلد يعبدون صنماً، وبنوا عليه بيتاً، فمرض ابن الملك، فدعى سدة ذلك البيت، فقال لهم: ادعوا الصنم أن يبرئ ابني، فغابوا عنه ساعة، ثم أتوه، فقالوا قد دعونا، وأجابنا إلى ما سألناه، فلم يلبث الغلام أن مات، فوثب الملك على البيت فهدمه، وعلى الصنم فكسره، وعلى السدة فقتلهم، ثم دعا قوماً من تجار المسلمين، فعرضوا عليه التوحيد، فأسلم ووجد، وكان ذلك في خلافة المعتصم بالله»⁽³⁾.

وبضعف الدولة العباسية بدأ الضعف يدب في البلاد التابعة لها، فقد أخذ الوجود الإسلامي في الهند يضعف حتى تمكن الهنود من استرداد كثير من بلادهم، ولكنهم كانوا يسمحون بوجود المسلمين فيها، وتركوا لهم في مدينة «سندان» مسجداً يجتمعون فيه، ويدعون فيه للخليفة⁽⁴⁾.

= ينظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 49/10، سير أعلام النبلاء: الذهبي 272/10، الأعلام: الزركلي 142/4.

(1) عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، استخلفه أبوه على السند، فتولاه بعد وفاته سنة 221هـ، وكتب إليه المعتصم بالله العباسي بالولاية، فخرج إلى القيقان فتغلب عليهم، وبنى مدينة سماها «البيضاء» ثم افتتح قنابيل وهي مدينة على الجبل، وغزا الميد وظل يغزو ويفتح إلى أن وقعت فتنة بين النزارية واليمانية، فمال إلى اليمانية، فسار إليه عمر الهباري، فقتله نحو سنة 266هـ.

ينظر ترجمته في: الأعلام: الزركلي 71/5.

(2) ينظر: فتوح البلدان: البلاذري ص 626.

(3) المرجع السابق ص 626 - 627.

(4) المرجع السابق ص 626.

واستمر الأمر حتى ضعف سلطان الخليفة العباسي، وبدأت الأطراف تتفصل عن الخلافة في بغداد، فانفصلت السند، وقامت فيها حينئذ ولايتان، أو إمارتان للمسلمين، إمارة في الجنوب وعاصمتها «المنصورة»، وإمارة في الشمال وعاصمتها «مُلتان»، وقد أُتيح الاستقرار لهاتين الإمارتين بما توفر لهما من خيرات البلاد، ومن التجارة الواسعة التي كانت بين الشرق والغرب، وكان من الطبيعي أن تزدهر العلوم، والحضارة العباسية في هذه البلاد، وتصبح ملجأً للفرارين من بطش الحكام في بغداد حيث يجدون الأمن والسلام⁽¹⁾.

4- الغزنويون والهند:

ظل الحال هكذا في الهند، حتى طرق بابها طارق قوى، وكان هذا الطارق هو الفاتح المسلم الشجاع السلطان محمود الغزنوي⁽²⁾، فقد كانت الدولة الإسلامية في الهند آخذة في الانحسار، حتى آل أمر الهند إلى استيلاء الغزنويين عليها، حين أقبلوا على الهندستان فاتحين أواخر القرن الرابع الهجري، فكانت فتوحاتهم بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية كلها، الذي تولى شئون الدولة الغزنوية بعد وفاة أبيه، ونذر نفسه للجهاد ولإعلاء كلمة الإسلام وذلك في عام (392هـ)، فقاد تسع عشرة حملة إلى الهند، فوطد حكم الغزنويين في

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص78.

(2) أبو القاسم محمود بن سبكتكين، صاحب بلاد غزنة، فتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله، وفتح في بلاد الهند فتوحات هائلة، لم يتفق لغيره من الملوك، وكسر من أصنامهم شيئاً كثيراً، ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقال له سومنات، وكسر ملك الهند الأكبر الذي يقال له جيبال، وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له إيلك الخان، وأباد ملك السامانية، توفي في ربيع الأول سنة 421هـ.

ينظر ترجمته في: البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) 35/12 وما بعدها، تحقيق: علي شيري، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

«البنجاب» و«دهلي»⁽¹⁾ و«لاهور»، كما ضم «كشمير» إلى ملكه عام (407هـ)، وكان يرسل بأخبار انتصاراته إلى الخليفة العباسي القادر بالله⁽²⁾ في بغداد فتعمها الأفراح، وقد أنعم عليه الخليفة بلقب «يمين الدولة»⁽³⁾، فكان أول مسلم فاتح دخل الهند عن طريق الجبال الشمالية الغربية، وفتح ما امتنع على غيره، وعبد طريقاً سلكه كثيرون من بعده من الذين تولوا الحكم في الهند وأقاموا الدولة لهم.

5- الأحوال بعد الغزنويين:

خلف الغوريون⁽⁴⁾ الغزنويين في حكم الهند، فبعد حوالي مائتي عام من حكم

(1) مدينة هندية كبرى بالبنجاب، كانت عاصمة الهند إبان الدولة المغولية الإسلامية، وفي عام 1912م أصبحت عاصمة للهند الحديثة، ومن أهم معالمها قصر السلطان شاه جهان، والمسجد الجامع الذي يقع بوسط المدينة ويعد أشهر وأكبر مساجد الهند.

ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص 233 - 234، ط1، بيروت: دار أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م.

(2) القادر بالله: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن المعتضد العباسي، ولد سنة 336هـ، ولى الخلافة سنة 381هـ، وطالت أيامه، كان حازماً مطاعاً، وأحبه الناس فأطاعوه، جدد ناموس الخلافة ودامت 41 سنة، وفي أيامه ظهرت العرب وملكت الجزيرة والشام، وفتحت السند والهند، وهو آخر خليفة من بنى العباس، كان يتخفى ويخرج في بغداد متفقداً أمور أهلها، وتوفي سنة 422هـ.

ينظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 220/15، 221، سير أعلام النبلاء: الذهبي 127/15-137، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد 110/5-112، الأعلام: الزركلي 1/95، 96.

(3) ينظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية: محمد بن يوسف الجزامي ص115، ط1، بيروت: دار الفكر، 1399م.

(4) الدولة الغورية [543-612هـ/1148-1215م]: تأسست الدولة الغورية على يد شهاب الدين الغوري وهم الذين حكموا بلاد الهند بعد زوال الدولة الغزنوية، وقد بدأ حكم الغوريين في الهند في عام 582هـ/1186م ولم يستمروا طويلاً فقد انتهت دولتهم بعد=

الغزنويين انتهت دولتهم، وخلفهم على ما كان بيدهم من بلاد الهند الغوريون، فقد تمكن محمد الغوري من الاستيلاء على السند، ودهلي، والبنغال، وبهار بين سنة 588-597هـ، واتخذ دهلي قاعدة لحكومته في الهند، وقد تم اغتياله سنة 602هـ، وتولى الحكم مكانه غلامه قطب الدين أيبك⁽¹⁾. فتتابع على حكم بلاد الهند: الخلجية⁽²⁾، والتغلقيّة⁽³⁾، واللوهية⁽¹⁾، إلى آخرها واحدة بعد أخرى، واتخذت «دهلي» عاصمة

= حوالي عقدين من الزمان. ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 98 - 104.

(1) ينظر: حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: د/جميل عبد الله محمد المصري 326/1.

(2) الدولة الخلجية (613هـ/1215م) قامت في الهند على أنقاض الدولة الغورية، حكامها من ترك الأفغان، ظهر أمرها أيام الغزنويين، واعتنقوا الإسلام في عهد الدولة الغزنوية، وضم الجيش الغزنوي فرقاً منهم أسهمت في فتح الهند. وظهر أمرهم أيام الدولة الغورية، وازداد نفوذهم في عهد المماليك، وتولوا حكم إقليم البنغال، وسقطت عندما قام خسرو خان بالاستيلاء على سلطنة دهلي بعد أن قام بقتل السلطان الخلجي الأخير قطب الدين الخلجي في سنة 720 هـ/1321م وأنهى بهذا حكم الأسرة الخلجية. وقد كان خسرو هندوسي يدعى الإسلام. فاستغاث أشراف دهلي بغياث الدين تغلق فقدم الأخير إلى دهلي وقتل خسرو خان في شهر شعبان سنة 721 هـ/1321م بعد أن حكم أكثر من خمسة أشهر. وبذلك انتقلت سلطنة دهلي إلى حكم آل تغلق.

ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 155 وما بعدها، بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري: د/عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ص 72 وما بعدها، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي ص 148 وما بعدها.

(3) الدولة التغلقية: أسسها غياث الدين تغلق، وهو تركي الأصل بدأ حياته جندياً بسيطاً فظل يرتقي حتى وصل إلى أمير الخيل، ثم بلغ مرتبة القيادة ولمع نجمه إبان حكم السلطان علاء الدين الخلجي، ثم أسس لنفسه إمارة مستقلة في مدينة تغلق، وفي سنة (721هـ - 1321م) ارتقى غياث الدين تغلق عرش دهلي بعد أن أنقذ المدينة من سيطرة الهنادكة الذين عاثوا فيها فساداً، وجهد تغلق في تدعيم حكمه والعمل على استعادة دهلي لطابعها =

لها، حتى جاءت الدولة التيمورية⁽²⁾، ويطلق عليها الدولة المغولية سنة 932هـ—1525م على يد «بابر المغولي»⁽³⁾، فكان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامي للهند، وبلغت من القوة والانتساع حداً لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند⁽⁴⁾.

= الإسلامي وهيبته ونفوذها، فبدأ بإحياء تعاليم الإسلام في حكومته، واستعادة بعض الأقاليم التي قد ضاعت من حوزة مملكة دلهي. وأنشأ غياث الدين نظاماً محكماً للبريد فأمن الطرق وعبدها مما جعل البريديون يقومون بمهمتهم في دقة وسرعة لم تشهد الهند لها مثيلاً وشجع تغلق الناس على تعمير الأرض وإصلاحها فشق الترع والقنوات وخفض من خراج الأرض. وفي سنة (799هـ - 1397م) زحف حفيد زعيم المغول تيمورلنك على الهند وتمكن من هزيمة السلطان ناصر الدين محمود تغلق، واستولى على سلطنة دلهي وبذلك سقطت الدولة التغلقية في الهند وبدأ العصر المغولي.

ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص126-147.

(1) بدأ حكم اللوديين سنة 855هـ/1451م وظلت إلى سنة 932هـ/1526م، ومن أشهر

حكامها بهلول لودی «المؤسس» وإبراهيم اللودی. المرجع السابق ص 148 - 150.

(2) يطلق المؤرخون الأوروبيون على الدولة التيمورية اسم دولة المغول باعتبار أن نسب «بابر» يمتد من ناحية أمه إلى جنكيزخان، وأن نصف دمائه مغولية وأنه حظي بمساعدتهم في فتوحاته، لكن «بابر» يؤكد أنه تركي من التيموريين، ولا يبدى حباً للمغول.

ينظر: تاريخ بابر «بابر نامه» وقائع «فرغانة - كابل - الهند»: ظهير الدين محمد بابر ص46، ترجمة وتعليق: ماجدة مخلوف، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2014م.

(3) الملك المؤيد: بابر بن عمر بن أبي سعيد بن ميران شاه بن تيمور التيموري، السلطان ظهير الدين محمد بابر شاه سلطان الهند، ولد في السادس من شهر المحرم سنة 888هـ، سماه الشيخ الكبير عبيد الله الأحرار بظهير الدين محمد، ولكنه اشتهر في الأتراك باسمه المشهور بابر شاه، نشأ في مهد السلطة، وتلقى الفنون الحربية، وكان ذكياً فطناً، حاد الذهن، سريع الإدراك، قوي الحفظ، تبحر في كثير من الفنون، اشتغل بتوطيد ملكه في الهند حتى وافته المنية وله 49 أو 50، ودفن بكابل بناء على وصيته، وذلك في سنة 937هـ.

ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 314/4، 315.

(4) ينظر: كفاح المسلمين في تحرير الهند: د/عبد المنعم النمر ص192، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير 1995م.

وهكذا فقد توالى على حكم الهند - منذ أن أقام المسلمون دولة لهم فيها - دول كثيرة حتى جاء القرن الحادي عشر الهجري، وكانت أمور الحكم في الهند في قبضة دولة المغول الإسلامية.

ثالثاً: نشأة الدولة المغولية في القرن العاشر الهجري

مرت دولة المغول بمرحلتين، لكل مرحلة منهما مؤسس، ففي مرحلتها الأولى تأسست على يد السلطان ظهير الدين محمد، والذي اشتهر في الأتراك باسم (بابرشاه)، والبداية كانت في بلاد أندجان في بلاد ما وراء النهر، حيث تولى بابر حكم هذه المنطقة سنة 899هـ، وقد واجه في بداية حكمه كثيراً من الصعاب والشدائد، لكنه تغلب عليها، ثم زحف بعد ذلك إلى كابل وملكها، ثم زحف بعدها إلى بلاد الهند ليوافه في معركة فاصلة السلطان إبراهيم بن إسكندر، وكانت تلك المعركة بكل المقاييس الحربية ليست في صالح بابرشاه، الذي كان في جند لا يتجاوزون اثني عشر ألفاً، بينما خصمه كان معه من الجند حوالي مائة ألف، لكنه استطاع أن ينتصر عليه ويقتله ومعه ستة آلاف من فرسانه، ويدخل العاصمة دهلي، سنة 932هـ، ويجلس على سرير الملك، وبعد تلك المعركة واجه بابرشاه مع جيشه عدواً آخر من الهنود ومن اتفق معهم من الأفغان، فكانوا حوالي مائتي ألف محارب في مواجهة اثني عشر ألف مقاتل، وكاد الوهن يدب في جيش بابر فقام خطيباً في جيشه، واستحلف قادة الجيش على الصمود حتى يقضي الله في شأنهم، وحميت المعركة وكان الفتح للجيش الإسلامي، وقتل من الجيش المنافس ما لا حصر له، وكان فتحاً حاسماً، انتهى بقيام حكومة مسلمة على رأسها الأسرة المغولية بقيادة بابرشاه وأبنائه وأحفاده من بعده، وقد دامت أكثر من ثلاثة قرون، حتى انتزعها منه الإنجليز في سنة 1273هـ، وكانت تلك البداية الفعلية لقيام دولة المغول المسلمين في الهند⁽¹⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 314/4، 315.

ويأتي الحديث عن المرحلة الثانية والتي كانت على يد السلطان همايون⁽¹⁾، والذي عرف في حياة أبيه قائداً منتصراً ساعد أباه في فتح بلاد الهند، ولما استقرت لهم ومرض السلطان بابر شاه عهد بالملك لابنه همايون؛ لأنه كان أكبر اخوته، وقد واجه في بداية حكمه لبلاد الهند كثيراً من المشاكل والمتاعب، ودخل في عدة معارك، كان أكبرها مع شيرخان⁽²⁾، والذي استغل انشغال همايون في قمع بعض الثورات وخرج عليه واستولى على كثير من بلاده، فأسرع همايون إليه والتقى الجيشان وانتهت تلك المعركة بهزيمة همايون، وقتل كثير من جنده، حتى أشرف هو نفسه على الغرق، في نهر كنكا، ولكنه نجا ورجع إلى أكرا وأعد جيشاً، وخرج ليواجه شيرخان مرة ثانية، والتقى الجيشان قريباً من مدينة قنوج ولكنه أصيب أيضاً بهزيمة منكرة، وذلك في سنة 947هـ/1540م، وفر

(1) همايون شاه التيموري: الملك الفاضل نصير الدين همايون بن بابر بن عمر، ولد ليلة الثلاثاء لأربع خلون من ذي القعدة سنة 913هـ بقلعة كابل، ونشأ في مهد السلطة وأخذ من الفنون الحربية والسياسة ما يليق بأبناء الملوك، وأضاف إلى ذلك معرفة اللغة التركية والفارسية، وكان دائم الاشتغال بمطالعة الكتب ومذاكرتها، قام بالملك بعد أبيه في تاسع جمادي الأولى سنة 937هـ بمدينة آكره، واسترد ملك الهند وأراد أن يتتبع أعداءه ومنافسيه ولكنه فوجئ بالوقوع من مكتبته التي كان يطالع فيها وقد سمع الأذان، ومات بعد بضعة أيام وكان ذلك في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 963هـ. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 444/4.

(2) شير شاه بن حسن خان بن إبراهيم السوري، اسمه فريد خان، وسور قبيلة من الأفغان وهم ينتسبون إلى الملوك الغورية، انتقل جده إبراهيم من جبال روه - بالراء والواو المهملتين - إلى الهند، ثم سافر إلى جونبور وأقام بها زماناً، ثم سافر إلى آكره ونقرب إلى دولت خان وأقام عنده زماناً، وخرج من بلاده فتقرب إلى جنيد برلاس الذي كان والياً على مدينة كزه وما والاها من قبل بابر شاه التيموري، ثم دخل في خواص بابر شاه التيموري، ولازمه مدة، ثم تغلب على همايون وملك الهند مدة من الزمن حتى وفاته في ثاني عشر من ربيع الأول سنة 952هـ. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 353/4 وما بعدها.

جيشه ولاذ هو بالفرار وتعقبه شيرخان إلى أكرا ثم إلى لاهور، ولم يجد الملك الفار من يعاونه حتى أخوته خذلوه وشمثوا فيه، وعاونوا عدوه عليه، وانتهى به المطاف إلى إيران حيث وجد هناك حسن الكرم والضيافة من ملكها⁽¹⁾.

وقد وقف الملك الإيراني بجانب همايون وساعده في استرداد ملكه، فأمدّه بألف وأربعمائة مقاتل، رجع همايون إلى الهند وأخضع إخوته الثلاثة وصفح عنهم، وكان شيرشاه السوري (شيرخان) قد توفي في هذه المدة، فاستطاع همايون السيطرة على البنجاب، وانتزع من اسكندر شاه السوري مدينة أكرا ودهلي واسترد ملك الهند⁽²⁾ بعد حوالي خمسة عشر عاماً من حين خرج من الهند ناجياً بنفسه سنة 947هـ/1540م، ثم عاد منتصراً إلى العاصمة سنة 962هـ/1555م...، وقد أخذ همايون في تنظيم أمور دولته من جديد، لكن القدر لم يمهل طويلاً، كأنه أراد أن يسترجع الملك الذي تسلمه من أبيه ليسلمه إلى ابنه من بعده...، وإذا كان بابر يعد مؤسس الدولة المغولية في الهند فإن همايون يعد المؤسس الثاني لها بعد أن استعاد ملكه فيها⁽³⁾.



(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص240-243.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 4/444.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص260-262.

الباب الأول

الأحوال العامة المؤثرة على الدعوة في الهند

في القرن الحادي عشر الهجري

ويشتمل على فصلين :

◆ الفصل الأول : الأحوال السياسية في الهند في القرن الحادي

عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة.

◆ الفصل الثاني : الأحوال الاجتماعية في الهند في القرن الحادي

عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة.

الفصل الأول

الأحوال السياسية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة

ويشتمل على مبحثين :

- ◆ المبحث الأول : الأحوال السياسية الداخلية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة.
- ◆ المبحث الثاني : الأحوال السياسية الخارجية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة.

مما لا شك فيه أن الحياة السياسية لها أثر كبير على مسيرة الدعوة، فإذا كان هناك استقرار في الحالة السياسية أثر إيجاباً على مسيرة الدعوة؛ والعكس بالعكس؛ ولذا لزم الحديث في هذا الباب عن الحالة السياسية في القرن الحادي عشر الهجري، والذي شهد نوعاً من الاستقرار السياسي، مقارنة بما شهده القرن العاشر الهجري، فقد كان قرن تأسيس الدولة المغولية في الهند، وقد أولت الدولة المغولية للسياسة اهتماماً كبيراً، فكانت هناك خطوات متعددة اتخذها السلاطين لرسم سياسية الدولة، وقد جاءت هذه الخطوات متفقة مع الدول السابقة تارة ومختلفة معها تارة أخرى، ومن الأهمية بمكان إعطاء نظرة عن السياسية التي اتبعت لدى دولة المغول في الهند لمعرفة مدى قربهم أو بعدهم عن أصول النظام السياسي الإسلامي، أكانت مبادئ الشريعة الإسلامية والسياسية الشرعية هي المنطلق لهم في تدبير شؤون البلاد؟ أم التركيز على مراعاة المصلحة دون التقيد بالشريعة؟



المبحث الأول

الأحوال السياسية الداخلية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة

أولاً: نظام الحكم في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

اشتمل نظام الحكم الذي اتبعته الدولة المغولية في الهند في هذا القرن على خطط متعددة، لكل خطة منها دور تختص به وصلاحيات تنفرد بها، وتتدرج هذه الوظائف ابتداءً من السلطان حتى الفرد من الجنود والشرطة، ويمكن ذكر هذه الخطط السياسية وبيان الأعمال المنوطة بها من خلال ما يلي:

أولاً: السلطان:

كان السلطان المغولي على رأس السلطة، وهو يتمتع بالاستقلال والسيادة داخل الأراضي الواقعة تحت سلطانه، وقد اتخذ «بابر» مؤسس دولة المغول في الهند لقب «بادشاه»⁽¹⁾ ثم تلقب أولاده من بعده بلقب «السلطان»⁽²⁾، وقد ظل هذا اللقب لسلطين دولة المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري. وقد تمتع السلطان المغولي - بالإضافة - إلى سلطته السياسية بسلطة دينية بما وصفه به أهل زمانه من أنه «أمير المؤمنين»، وقد أكسبته هذه الصفة مكانة عالية لدى أهل الهند⁽³⁾.

(1) بادشاه: لقب ملكي من اللغة الفارسية مكون من كلمة بادي (السيد) وشاه (الملك)، هذه التسمية هي على الأرجح استمرار للتسمية الملكية الأخمينية، لقب البادشاه يعادل لقب الإمبراطور لدى الرومان، والشاهنشاه لدى الفرس.

ينظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: مصطفى عبد الكريم الخطيب ص ٦٣.

(2) ينظر: كفاح المسلمين في تحرير الهند: د/عبد المنعم النمر ص 239.

(3) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم (٩2-1366هـ/1947-711م) «صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية»: =

ولم تكن هناك قاعدة ثابتة لتولي السلطان الحكم، فمثلاً لم تطبق قاعدة الوراثة فيخلف الابن الأكبر أباه، ولكن كان الصراع على الحكم هو السائد في تلك الفترة، كما فعل «شاه جهان» الذي حارب إخوته وفاز دونهم بالعرش، ولما مرض «أكبر»، حاول حفيده «خسرو» الحصول على العرش متخطياً الابن الأكبر لهذا السلطان - وهو أبوه سليم - ولكن محاولته باءت بالفشل، وولى سليم - جهانكير - العرش خلفاً لأبيه⁽¹⁾.

وقد اعتاد سلاطين دولة المغول عند الوصول إلى الحكم أن يحتفلوا بهذه المناسبة، فعندما تولى السلطان «أورنك زيب» «أقيمت احتفالات التنصيب التي استمرت مدة شهرين، حرص خلالها السلطان الجديد على إدخال البهجة إلى قلوب شعبه، وأقبل السفراء من مختلف البلاد الإسلامية لتقديم التهئة»⁽²⁾.

السلاطين الذين حكموا الهند في هذا القرن ومدة حكمهم:

1- أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري الكوركاني، وقد نودي به سلطاناً على عرش الهند سنة 963هـ/1556م حتى سنة 1014هـ، فحكم أربع عشرة سنة⁽³⁾.

= د/عصام الدين عبد الرؤوف ص305 بتصرف، ط2، القاهرة: دار الفكر العربي، 1432هـ/2011م.

(1) المرجع السابق ص304.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص297، ط1، بيروت: دار النفائس، 1428هـ/2007م.

(3) ولد في قلعة «أمركوت» من أرض السند في 12 ربيع الأول سنة 949هـ، والده السلطان همايون بن بابر التيموري، وأمه حميدة بانو، تولى الحكم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد قام بالأمر أحد قواد والده وهو بيرم خان فأخذ عنان السلطنة فقام بها أحسن قيام، ولما بلغ أكبر أشده استقل بالملك، وأمره أن يسافر إلى الحرمين الشريفين، وكان يذهب إلى بيت الشيخ عبد النبي بن أحمد الكنكوهي ليستمع الحديث، وكان يتبرك بالشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروي، وبنى مدينة بأرضه، وجعلها عاصمة بلاده، وبنى بها =

- 2- نور الدين محمد جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر الكوركاني، وقد نودي به سلطاناً لبلاد الهند بعد وفاة والده سنة أربع عشرة وألف (1014هـ)، وظل يحكم بلاد الهند إلى أن توفي سنة ست وثلاثين وألف (1036هـ)، وكانت مدة حكمه إحدى وعشرين سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً⁽¹⁾.
- 3- السلطان شهاب الدين محمد شاه جهان بن جهانكير بن أكبر شاه الكوركاني، وقد قام بالملك بعد وفاة والده سنة ست وثلاثين وألف (1036هـ)، وظل في الحكم حتى سنة (1068هـ) ثم نُحى عنه بسبب مرضه وتنازع أبنائه على حكم بلاد الهند⁽²⁾.

= قصراً وسماه «عبادت خانه» وقسمه على أربعة منازل ليجتمع فيه علماء البراهمة والنصارى والمجوس وأهل الإسلام، يتباحثون في الخلافات بحضرة السلطان، وقد ابتلى ببعض علماء السوء فزينوا له أنه إمام عادل وأنه مستحق لهذه المنزلة، ثم تطور الأمر حتى اخترع ديناً جديداً وسماه الدين الإلهي، وقد اندرس كل هذا بموته سنة 1014هـ، ودفن في سكندر آباد قريب آكره.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 496/5-499، تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص200.

- (1) ولد يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقين من ربيع الأول سنة 977هـ بأكر آباد، وتولى حكم بلاد الهند بعد وفاة والده يوم الخميس لأربع عشرة خلون من جمادى الآخرة سنة 1014هـ، وكان صحيح العقيدة خلافاً لوالده، وقد سمع الحديث من الشيخ محمد سعيد الهروي المشهور بميركلان، وقرأ عليه شيئاً من العلم بأمر والده، وسمع أيضاً من المفتي صدر جهان البهانوى، له يد بيضاء في التحرير والتحبير، صنف كتاباً في أخباره وسماه «ترك جهانكيرى» وهو مقبول متداول في أيدي الناس، وصنف في أخباره معتمد خان كتابه «إقبال نامه»، ومرزا كامكار الملقب بعزت خان كتابه «مآثر جهانكيرى»، توفي لثلاث بقين من صفر سنة 1036هـ.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 516/5، 517.

- (2) ولد غرة ربيع الأول سنة 1000هـ بمدينة لاهور، تولى السلطنة سنة 1036هـ، كان اسمه خُرم - بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة - معناه مسرور، سماه به جده =

4- السلطان أبو المظفر محي الدين محمد أورنگ زيب عالمكير بن شاه جهان: تولى حكم بلاد الهند في (1068هـ/1658م)، وظل يحكم حوالي اثنتين وثلاثين سنة⁽¹⁾.

وقد بدأ القرن الحادي عشر الهجري وعلى رأس السلطة في الهند السلطان «جلال الدين محمد أكبر»، وبالرجوع إلى الوراء قليلاً للحديث عن نزعات «أكبر» الدينية، يتضح أنها مرت بمرحلتين متميزتين ومتناقضتين:

المرحلة الأولى: استمرت مدة عشرين عاماً أي حتي عام (982هـ/1574م)، واتصفت بسلوكه المحافظ علي أصول الدين، يؤدي الصلوات الخمس في المسجد في أوقاتها، ويقوم أحياناً مقام المؤذن يدعو الناس إلي

= أكبر شاه، ولقبه والده شاهجهان، ولما تولى السلطنة رفع سجدته التحية التي اخترعها جده أكبر شاه، وأزال المظالم، أخمّد الفتنة والبدعة، وأسس المساجد، ومن آثاره مدينة شاهجهان آباد، والقلعة الحمراء، والجامع الكبير، والمسجد الكبير بأكبر آباد، وروضة تاج كنج، وهي المعروفة بـ«تاج محل»، وقصده الشعراء فمدحوه، وكان له أربعة أبناء: داراشكوه، وشجاع، وأورنگ زيب، ومراد بخشي، فأعطى كلا منهم أقطاعاً كبيرة من الهند، مات بقلعة أكبر آباد سنة 1075هـ.

ينظر ترجمته في: نزّهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/536. (1) ولد ليلة الأحد لخمس عشرة خلون من ذي القعدة سنة 1028هـ بقرية «دوحد»، وقرأ العلم: عبد اللطيف السلطانپوری، محمد هاشم الكيلاني، والشيخ محبي الدين بن عبد الله البهاري، وأخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن الشيخ محمد معصوم بن الشيخ أحمد السرهندي، عظم قدره في حياة والده، فولاه أرض الدكن فأحسن، تولى الملك سنة 1068هـ، وأسر غالب ملوك الهند، وصارت بلادهم تحت طاعته، كان كثير الجهاد، وكان يصلي الصلوات المفروضة في أوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد مهما أمكن ويقيم السنن والنوافل كلها ويصلي صلاة الجمعة في الجامع الكبير، توفي بدكن في شهر ذي القعدة الحرام سنة 1118هـ.

ينظر ترجمته في: نزّهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 6/737-743، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص297.

الصلاة، يحترم علماء الدين والمتصوفة الزاهدين، ويجلّهم ويؤثر صحتهم ويقضي معهم الساعات الطوال⁽¹⁾ حتي كان يذهب بنفسه إلي بيت الشيخ عبد النبي أحمد الكنكوهي⁽²⁾ لاستماع الحديث ويسوي نعله ويضعها قدامه، وكان يرحل إلى «أجمير» لزيارة قبر الشيخ «معين الدين حسن السجزي الجشتي»⁽³⁾ راجلاً في كل سنة، وكان يتبرك بالشيخ «سليم بن بهاء الدين السيكروي» وزاد اعتقاده فيه لما بشره بثلاثة بنين، فرزق بهم بعد أن كان محروماً منهم؛ ولذلك سمي ابنه باسم هذا الشيخ «سليم» علي غير عادة المغول في تسمية أبنائهم، وبني مدينته بالمكان الفقير الذي كان يقيم فيه الشيخ قريباً من «أكرا» وجعلها عاصمة بلاده مبالغة منه في تكريمه، وسميت هذه المدينة «فتح بور سيكري»⁽⁴⁾، وكان

(1) المرجع السابق ص 251.

(2) الشيخ العالم المحدث عبد النبي بن أحمد بن عبد القدوس الحنفي الكنكوهي، أحد العلماء المشهورين في أرض الهند، ولد بكنكوه، وقرأ القرآن والفقه والعربية وسائر العلوم في بلاده، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين وسمع الحديث بها، ولما قبض الله له صدارة الهند طلبه أكبر شاه التيموري سلطان الهند وولاه الصدارة في أرض الهند، وكان أكبر شاه يذهب إلى بيته لاستماع الحديث الشريف ويضع نعليه قدامه بيده ويتلقى إشاراته بالقبول، ومن مصنفاته: وظائف النبي في الأدعية المأثورة، وله سنن الهدى في متابعة المصطفى وله رسالة في حرمة السماع، توفي سنة إحدى وتسعين وتسعمائة من الهجرة.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 380/4.

(3) الشيخ معين الدين حسن بن الحسن السجزي الأجميري، كان مولده سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ببلدة سجستان، وتوفي أبوه وهو في الخامسة عشرة من سنه، وسافر إلى سمرقند فحفظ القرآن وقرأ العلم حيثما أمكن له، ثم سافر إلى بلاد أخرى، ثم قدم الهند وأقام بمدينة لاهور واعتكف على قبر الهجويري والزنجاني، ثم قدم دهلي ثم سار إلى أجمير وسكن بها وكانت تحت سلطة الهنود في ذلك الزمان فأسلم على يده خلق كثير، توفي يوم الاثنين سادس رجب سنة سبع وعشرين وقيل اثنين وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين وستمائة وله خمس وتسعون. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 91/1.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 217، 218، 219.

«أكبر» لا يبدأ عملاً أو قولاً إلا بدأه بقوله (ياهادي يا معين)⁽¹⁾، ولم ينقطع دقيقة عن ذكر الله، وكان لسانه رطباً به، يحنوا علي الفقراء، يزور زوايا المتصوفة حافي القدمين غالباً، وقد دفعته هذه الروح الدينية إلى الإقبال علي دراسة القرآن الكريم والحديث، وساعدته حافظته القوية علي استيعاب كل ما كان يلقي إليه من جانب أساتذته، وعين القضاة والمفتيين في كل جزء من أجزاء مملكته ليحكموا بين الناس بالعدل تبعاً لأصول الشريعة الإسلامية⁽²⁾.

المرحلة الثانية: اختراعه للدين الإلهي:

يتبين من الشواهد السابقة أن الركن الأساسي في تدين السلطان أكبر قائم على زيارة القبور والضرائح، وتجسم مشاق السفر إليها من مسافات بعيدة مشياً علي الأقدام، وإبداء عواطف الحب والإجلال للمتربعين علي دسست المشيخة والشعور بالسعادة في خدمة الكناسة للتكايا والزوايا، وحضور مجالس الذكر والغناء، وتبجيل علماء البلاط ومشايخه وتوقيرهم⁽³⁾. ونتيجة لهذا فلا عجب من تحوله فجأة من مسلم متدين بدينه إلي رجل يفكر في دين جديد، ولنتبحر قليلاً في الأسباب التي أدت به إلي ذلك، تبوأ السلطان «أكبر» السلطنة وهو حدث لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره فناب عنه أمير شيعي اسمه (بيرم خان ت 968هـ) بضع سنين، ثم لما بلغ أشده واستوي، أخذ زمام الأمر بيده واستقل بالملك وكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، نشأ علي حب الاستطلاع، فجمع جملة من المشايخ وجعل يناقشهم في مسائل الدين، فبدأ يجنح إلي أن الأديان كلها حق، ولا مزية للإسلام من

(1) ينظر: تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال ص 109، ط1، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ/2001م.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 251، 252.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي 89/3، 90، تعريب: أ/سلمان الحسيني الندوي، ط4، سوريا: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م.

بينها ولا فضل له علي غيره، وكانت هذه النزعة الجديدة توطئة لما أعلن من بعد من تأسيس دين جديد واعتزاه القضاة علي الإسلام، ثم تقدم خطوة أخرى بتزويج الأميرات الوثنيات من بيوتات الشرف والمجد في الهند وإباحته لهن الاستمساك بعقائدهن وعبادة الأوثان في داخل القصر الملكي، وكان هذا الزواج من أكبر الدواعي التي أفسدت عليه عقله في أمور الدين، فإن أزواجه الوثنيات ما ادخرن جهداً في تهنيده وصرفه عن وجه الحق ومنهج الصواب، فبنيت المعابد ونصبت الأصنام والتمائيل في القصر الملكي، وجعل «أكبر» من دينه أن يقوم تكريماً للشموع والقناديل حينما تضاء مساء إلي غيرها من الأعمال التي أصبح بالعمل بها أقرب إلي الوثنية منه إلي الإسلام وما شجعه علي ذلك، هو تشاجر علماء السوء فيما بينهم وتهافتهم على حطام الدنيا وجهودهم علي ما وجدوا عليه شيوخهم وآبائهم، والسلطان «أكبر» كان أمياً، ودعته أميته إلي حب الاستطلاع والاستماع إلي العلماء، فعقد مجلساً سماه بيت العبادة (عبادت خانه) ودعا إليها العلماء من كل طائفة من السنة والشيعة والبراهمة واليهود والنصارى والمجوس⁽¹⁾.

يقول جهانكير - وليست شهادة علي «أكبر» أقوي من شهادته - في كتابه «توزك»: «كان والذي يقابل كثيراً من الأحيان - علماء كل ملة ودين، لا سيما فضلاء الهند وعلماء الديانة الهندوكية، ولم يكن يُشعر جلساءه - رغم أميته - بأنه لم يقرأ ولم يكتب؛ لكثرة مجالسة العلماء ومصاحبة الفضلاء، والمباحثة معهم، وكان يفهم دقائق الشعر والنثر ولطائفهما، بما لا مزيد عليه»⁽²⁾.

ونتيجة لهذه المقابلات، ظهر له أن علماء المسلمين جامدون على ما ورثوه من مشايخهم من مسائل الفروع، منقسمون فيما بينهم، لا يكادون يتفقهون على

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص 92 نقلاً عن: توزك جهانكيري ص 15.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص 92، نقلاً عن: توزك جهانكيري ص 15.

شيء، يقول الشيخ عبد القادر في كتابه «منتخب التواريخ»: «بدؤوا يثيرون الشكوك والشبهات، ويضحكون ويستهزئون بكل فريضة من فرائض الإسلام وكل عقيدة من عقائد الدين، سواء كانت تتعلق بالأصول أو الفروع، كعقيدة النبوة والرسالة، ومسألة كلام الله ورؤيته، وتكليف الإنسان، وتكوين العالم، والحشر والنشر، وغير ذلك من المسائل العقيدية»⁽¹⁾.

وفي إحدى الأمسيات اشتد النقاش بين الفقهاء حتى لقد وصم بعضهم البعض الآخر بالكفر في حضرة السلطان، عند ذلك ألقى «أكبر» سؤالاً على الحاضرين (من يكون صاحب الحق في إصدار الفتاوى والأمر الدينية الواجب اتباعها إذا اشتد الخلاف بين الفقهاء؟) فتقدم الشيخ مبارك وقال: «السلطان يكون صاحب هذا الحق» وتنفيذاً لهذا الاقتراح كتب محضر تضمن: «أكبر» (إمامي عادل) أي إماماً عادلاً، ووقعه العلماء والفقهاء، وذلك في رجب 987هـ/أيلول 1579م)، كان من بينهم مخدم الملك، وعبدوني نبي، وقد وضعت هذه الوثيقة السلطة الدينية كلها في يد «أكبر» ورفعته إلى مرتبة الإمام العادل وهي مرتبة فوق الإمام المجتهد، فأضحى بذلك السلطان الروحي علي رعاياه إلى جانب سلطاته الزمنية، وبالتالي فإنه سلب العلماء هذا الحق ولم يعد لهم أن يتدخلوا في شئون الحكم⁽²⁾.

لقد سمى «أكبر» هذا الدين الجديد (دين إلهي) وهو قائم في أصوله على توحيد الله، حجر الزاوية في الإسلام، وفي طقوسه، على أسس من الصوفية المعتمدة من الديانتين الهندوسية والزرادشتية، إنه توحيد إلهي مع شيء من الحلولية، يمتزج فيه التصوف والفلسفة بالعبادات، السلطان فيه هو الإمام العادل وظل الله على الأرض، والمجتهد الأكبر من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه خسر الدنيا والآخرة⁽³⁾. وتلا ذلك ظهور ما يلي:

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص 95 نقلاً عن منتخب التواريخ ج 2، ص 307.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 252، 253.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 253، 254.

- 1- ألغى الجزية على المشركين سنة 1564م فكأنه أراد أن يجعل المسلمين والهنادك من رعيته سواء في التمتع بالحقوق المدنية.
- 2- ألغى الضرائب على الهنادك، وأذن لهم في بناء معابد جديدة إذا شاءوا وقد كان ذلك محظوراً في زمن من تقدمه من ملوك المسلمين.
- 3- أباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دينهم، ويرجعوا إلى أديانهم الأولى.
- 4- أصدر مرسوماً عاماً يمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين إياها وعبادتهم لها، كذلك منع ذبح غيرها من الماشية في أيام مخصوصة، وحظر على الناس أكل لحوم الثيران والشيء والماعز والخيول والجمال، وأصدر أمراً ملكياً سنة 1000هـ / 1593م.
- 5- شارك في أعياد الهنادك، بل ضرب بسهم في العبادات، والشعائر الخاصة بمن ينتمي إلى مذاهبهم.
- 6- منع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة والخال والخالة، وكذلك منعهم من الختان.
- 7- حلل الخمر، وأباح بيعها على مرأى من الناس ومسمع.
- 8- أباح للبغايا والعواهر أن يتعاطين أشغالهن تحت رقابة الحكومة.
- 9- أباح لرعاياه أن يتعاملوا فيما بينهم بالربا، كما أباح المقامرة وعقد مجلساً خاصاً للمقامرين في القصر الملكي.
- 10- أسقط الاغتسال عن الجنابة، وشجع السفور والخلاعة.
- 11- أفتى بجواز نكاح المتعة.
- 12- أصدر أمراً ملكياً بمنع تعلم اللغة العربية، وطهر الفارسية من الكلمات العربية الموجودة بها.
- 13- أمر العلماء والمشايخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم بأن يخروا لهم سجداً، كلما دخلوا عليه الباب، وتم تسميتها في عصره «سجدة التحية» والإفتاء بجوازها.

- 14- أوجب على خاصته ورجال حاشيته أن يرتدوا الملابس الحريرية أثناء الصلوات.
- 15- ألغى بعض أركان الإسلام، فمنع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية، ومنع الناس من أداء فريضة الحج، وحظر عليهم أن يصوموا في شهر رمضان.
- 16- تعطلت أعياد المسلمين وانقطع الاحتفال بها في عصره.
- 17- غيّر أسماء النبي ﷺ والصحابة (رضوان الله عليهم) التي يتسمى بها المسلمون عامة واستبدل بها أسماء أخرى غيرها.
- 18- تحولت المساجد إلى مرابط للخيول (اصطبلات) واستولت الهنادك على كثير منها.
- 19- رغب الملك رجال مملكته - بل أمرهم في بعض الأحوال - بحلق اللحية، وكانوا يستهزئون بها.
- 20- أباح للناس أن يأكلوا لحوم النمر والخنازير والضواري.
- وقد كان لهذه الضجة التي أثارها «أكبر» بدينه الجديد آثار بالغة المدي في دولته؛ فقد خرجت عليه بعض الولايات وحاربتة، كما ناصبه كثير من العلماء وهاجموه، وهاجموا آراءه ومؤيديه، فشتتهم ونفي بعضهم إلى الحجاز، مثل: الشيخ عبد الله السلطانبوري، والشيخ عبد النبي السكنكوهي الذي كان يتبرك به من قبل، وذلك بعد أن امتنعوا عن التوقيع على بيان حرره الشيخ مبارك بن خضر الناكوري وولده، وفيه يشهد العلماء بأن «أكبر» ظل الله في أرضه، وأن له أن يشرع، ووقع عليه نحو ثمانية عشر عالماً بعضهم بالرضا، وبعضهم بالإكراه، ومما لاشك فيه بعد ذلك كله أن «أكبر» قد انسلخ عن الإسلام، وأصبح تائهاً، شريداً بين الأديان لا يستقر على دين، ولا أدري كيف برر بعض العلماء الذين وقفوا بجانبه سلوكه المخالف للإسلام، وعلى أي أساس إسلامي أزروه وعاونوه؟!⁽¹⁾.

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 222.

هكذا كانت بداية القرن الحادي عشر الهجري في الهند، ألفية مضت على ظهور الإسلام، وألفية جديدة، تبدأ بدين جديد اخترعه حاكم سمح لنفسه أن يشرع وأن يأمر وأن ينهي، ووجد من يساندته من علماء وحاشية القصر، ولكن الجُل الأكبر من الشعب الهندي المسلم، وعلماء الإسلام المخلصين ناصبوه العدا، ووقفوا ضده، وفي النهاية يموت الملك «أكبر» سنة 1014هـ/1602م ليخلفه من بعده ولده «سليم» الذي لقب (بنور الدين جهان كير)، فرزق برجلين من أعمدة الإصلاح هما: الإمام السرهندي والإمام عبد الحق الدهلوي، فبدأ التحول في اتجاه الدولة شيئاً فشيئاً من أواخر عهد السلطان (جهانكير)، وامتدت ظلاله الوارفة إلى عهد السلطان (شاهجان)⁽¹⁾ فأصلح كثيراً من المفاصد التي تسربت إلى داخل المملكة وتغلغلت في عروقها، وحصلت للمسلمين في عصره حرية لا بأس بها في أداء واجباتهم والدعوة إلى دينهم، وتطورت الثقافة أيما تطور وتطهرت الأبنية والملابس وطرق المعيشة وأزيائها من طابع الوثنية واطرحت الصبغة الهندوكية إطراحاً تاماً⁽²⁾. ومما قام به السلطان شاهجهان:

- 1- المنع التام عن بيع الخمر وشرائها.
- 2- منع الهنادكة وغير المسلمين من اتخاذ الملابس المشابهة للمسلمين، للحفاظ على الشخصية الإسلامية.
- 3- أمر الهنادكة أن لا يمنعوا من أراد اعتناق الإسلام من أقاربهم عن تنفيذ إرادته، وكان الهنادكة في الماضي يحولون دون بني قومهم واعتناقهم الإسلام.
- 4- أمر الهنادكة أن لا يحرقوا جثث موتاهم قرب مقابر المسلمين، وألا يسبوا مسلماً ولا يسترقوه.

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 326/3.

(2) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص 119.

5- منع الهنادكة من تعمير معابد جديدة، ولهم أن يحتفظوا بمعابدهم القديمة التي كانت لهم قبل أن تصبح البلاد دار الإسلام⁽¹⁾.

وقد اتخذ السلطان أورنگ زيب عدة قرارات عقب توليه السلطنة كانت خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين، ومن تلك القرارات:

1- تغيير التقويم الشمسي (الذي اختاره «أكبر») امتثالاً وتقليداً لعبدة الشمس، واتخذ مكانه نظام التقويم الهجري الإسلامي⁽²⁾.

2- ألغى منصب ملك الشعراء الذي كان سائداً في شبه القارة، وكثيراً من الحكومات الإسلامية الفارسية والآسيوية الوسطية، وألغى تقاليد المنح والعطاء للشعراء الذين كانوا يبالغون في مدائح الملوك والسلطين، ويأتون فيها بالأقاول والأكاذيب⁽³⁾.

3- ألغى الاحتفال بالنيروز⁽⁴⁾.

4- كان السلطين المسلمون في الهند - حسب معتقدات الهنادك وعاداتهم القديمة - يثقون كثيراً بالتنجيم والمنجمين، ويعينون الأيام والشهور لأعمالهم الخاصة، حسب ما يقرر المنجمون في ضوء علم التنجيم، فقضى السلطان «عالمكير» على هذه العقيدة والعادة المتبعة، وأهم من ذلك أن الأحكام القضائية كانت تقتصر على محاكم الحكام والأمراء وأحكامها

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية «دراسة تاريخية تحليلية لحياة الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني وعمله الإصلاحي التجديدي الذي قام به في شبه القارة مع ترجمة لبعض رسائله وكتابات المختارة»: محمود أحمد غازي ص ١٣٤، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/336، تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 208.

(3) لم يكن السلطان أورنگ زيب ضد الشعر والشعراء، وإنما كان ضد الأكاذيب التي يحملها الشعراء في شعرهم.

(4) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 208، 209.

- المطلقة فيما يتعلق بالقوانين الشرعية، فعين السلطان «عالمكير» قضاة شرعيين وأعطاهم السلطة⁽¹⁾.
- 5- كذلك أمر الحكام أن لا يراعوا عند المثل أمامه تشريفات وعادات غير إسلامية ويقرأوا عليه السلام حسب تعاليم السنة النبوية.
- 6- وكذلك ألغى عادة «درشف» التي قد أصبحت بمثابة العبادة لبعض الهندوكيين، وكان جلال الدين أكبر هو الذي قد بدأ هذه العادة، وكلمة «درشف» معناها اللغوي: النظر والرؤية، والمراد هنا: النظر إلى وجه السلطان بنية العبادة، وكانت الهنادكة تعتقد أن النظر إلى وجه السلطان عبادة، فكان السلطان يجلس في نافذة خاصة لهذا الغرض في قصره والناس كانوا يحتشدون تحتها في الفناء منذ الصباح الباكر؛ حتى يظهر لهم وجه السلطان ويريههم إياه⁽²⁾.
- 7- ألغى ثمانين نوعاً من المكوس، والتي كانت تتحصل الدولة المغولية منها على ثلاثين لكا (ثلاثة ملايين) في كل سنة⁽³⁾.
- 8- جدد نظام المساجد والأوقاف الإسلامية، وخصص لها أراضي واسعة خصبة؛ لينفق عليها من دخلها، وأقام دور الأيتام والفقراء والمكفوفين والمحتاجين على حساب الدولة، وأنشأ الاستراحات للمسافرين ومطاعم مجانية لأبناء السبيل على الشارع الرئيسي الذي يوصل كابل بأورنغ آباد في جنوب الهند⁽⁴⁾.
- إلى غير ذلك مما قام به السلطان أورنك زيب في بداية حكمه، والذي انعكس خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين، وقد قرضه الشاعر العالم محمد إقبال في

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/338.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص209.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 6/741.

(4) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص210.

قصيدة مثيرة رائعة جاء في مقدمتها: «ذاك السلطان أورنك زيب، ذو المجد السامق الذري الذي تتباهى به الأسرة الكوركانية، وتعتز به، علا به نجم المسلمين، وارتفعت مكانتهم، ونالت به الشريعة الإسلامية عزها وكرامتها...»⁽¹⁾.

يظهر من هذا مدى التحول الكبير الذي أصبحت فيه بلاد الهند بعد تولي السلطان أورنك زيب الحكم. أما عن عدل السلاطين ورحمتهم بالرعية، فقد كان سلاطين دولة المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري يتسمون بالكثير من الصفات الإنسانية من الرحمة والعدل والكرم والتواضع والتمسك بالحق وحب العلماء، يتحدث صاحب كتاب نزهة الخواطر عن هؤلاء السلاطين الأربعة: يقول عن السلطان جلال الدين محمد: «افتتح أمره بالعدل والسخاء، وقرب إليه أهل العلم والصالح»⁽²⁾.

ويقول عن السلطان جهانكير: «افتتح أمره بالعدل والسخاء وقرب إليه العلماء...، وكان جهانكير رحيماً حليماً كريماً شاعراً لطيف الطبع حسن المعاشرة ظريف المحاضرة حسن الصورة سليم الذهن باهر الذكاء فصيح العبارة»⁽³⁾. ويقول عن السلطان شاهجهان: «كان أشهر ملوك الهند وأبذلهم، افتتح حكمه بالعدل والسخاء، ورفع سجده التحية التي اخترعها جده أكبر شاه، وأزال المظالم من البلاد وعمرها، أخدم الفتنة والبدعة، وأسس المساجد، وكان كثير الإحسان إلى العلماء، قصده الناس من جميع البلدان فغمرهم بإحسانه»⁽⁴⁾.

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/341، نقلاً عن: ديوان محمد إقبال في الديوان الثاني المعنون بـ«الأسرار والرموز» 1/200، 201، ط: دار ابن كثير بدمشق 1422هـ.

(2) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/496.

(3) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/517.

(4) المرجع السابق 5/536.

وختام الحديث عن السلطان عالمكير الذي قال عنه: «افتتح أمره بالعدل والإحسان ورفع المظالم والمكوس... وكان عالماً ديناً تقياً متورعاً، يتدين بالمذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل»⁽¹⁾.

ومن المواقف التي تدل على حب هؤلاء السلاطين للعلم والعلماء والتي تمثلت في لقاءهم ومشورتهم، ومدارسهم للعلوم الشرعية، ومناقشتهم في بعض أمور الحكم، التي يحتاجون إليهم فيها، فكان مجلس السلطان جلال الدين محمد «يحفل دائماً بالمفكرين والفقهاء والشعراء والأدباء والفنانين الذين تجاوز عددهم الثلاثمائة، حيث أتاح لهم حرية البحث مهما كانت النتيجة، والواقع أن الهند لم تعرف من قبل أكبر سلطاناً اجتمع حوله هذا العدد الكبير من رجال العلم والأدب ولقوا منه كل تقدير واحترام، وبلغ من احترامه لشيخه عبد النبي صدر الصدور أنه كان يقدم إليه نعليه بنفسه حين يغادر مجلسه»⁽²⁾.

وجرى السلطان شاه جهان على عادة جده، فكان «محباً للعلم، مشجعاً على التأليف، وقد ألف العلامة عبد الحكيم السيالكوتى بأمره كتباً كثيرة، وكان يعطيه في العام مائة ألف روبية»⁽³⁾.

أما السلطان أورنگ زيب فقد كان حريصاً على «اللقاء بالعلماء والأدباء في كل مناسبة، فكان يجلس للمذاكرة في الكتب الدينية مثل: إحياء علوم الدين، والكيمياء، والفتاوى الهندية، وغير ذلك من العلوم ثلاثة أيام من كل أسبوع وذلك بحضور العلماء والأدباء»⁽⁴⁾.

وقد انفرد السلطان أورنگ زيب عن غيره من سلاطين دولة المغول في الهند بعدة أمور ساعدت في مجملها على انتشار العدل بين الرعية في عهده:

(1) المرجع السابق 738/6.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص259.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص262.

(4) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص499، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2014م.

- فقد زاد في جلوسه للفصل بين الناس، حيث كان يجلس كل يوم بعد الإشراف، فيرفع إليه ناظر العدلية الأفضية فيحكم بما يلقي الله سبحانه في روعه⁽¹⁾.
 - وفي تنظيماته المالية قلل الضرائب التي تنقل كاهل الناس؛ هادفاً منها إلى تحقيق العدالة والرحمة بالرعية.
 - ومنها: أنه عين في كل ولاية نائباً له وأعلن في الناس: من كان له حق على السلطان فليرفعه إلى النائب، وأمر النائب أن يؤدي كل ما يثبت على السلطان (أي الحكومة) من حقوق.
 - ومنها: أنه خصص موظفين يكتبون كل ما يقع من أحوال رعاياه، ويرفعها إليه، فكان بذلك يقف على أحوال رعاياه أولاً بأول، وكان لا يكتفي بذلك، بل يختبره ويفتش عنه؛ حتى لا يخدعه الموظفون، وكان يعلن للناس دائماً أنه ينصفهم ولو من نفسه، وأنهم جميعاً عنده سواء⁽²⁾.
 - ومنها: أنه هو أول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء، فولى رجالاً من أهل الدين والأمانة في دار القضاء بكل بلدة وعماله ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية⁽³⁾.
- هذه المواقف وغيرها من سياسة حكام الدولة المغولية كان لها أثر واضح في نشر الإسلام بين أهل الهند من غير المسلمين، واستقرار الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري.
- أما عن عاصمة الدولة المغولية في الهند في هذا القرن، والتي منها كانوا يحكمون دولتهم، فقد كانت مدينة آكرا، في عصور السلاطين الثلاثة (جلال الدين محمد، جهانكير، شاهجهان)، وقد ازدهرت تلك المدينة ازدهاراً كبيراً في عصر

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 301 بتصرف.

(2) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 364.

(3) الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 301، 302.

دولة المغول، وبها الكثير من المعالم الإسلامية الباقية آثارها حتى اليوم⁽¹⁾، وفي عهد السلطان عالمكير فقد اتخذ مدينة دهلي عاصمة لدولته، «وقد كانت مدينة عظيمة الشأن، فخيمة، جامعة بين الحسن والحصانة»⁽²⁾، «تتخللها الحدائق الفخمة، وتتضمن الأشجار الوارفة الظلال والزروع المتنوعة والزهور البديعة»⁽³⁾.

هذا، ولم تكن هناك قاعدة ثابتة في تقلد السلطنة أو الإمارة في هذا القرن، وكان السلاطين مستقلين في حكمهم، فلم يخضعوا لأحد، كما كان لهم السيادة والسلطة المطلقة في إدارة شئون دولتهم.

ثانياً: ولاية العهد⁽⁴⁾؛

كان السائد في الهند في هذا القرن هو الوصول إلى الحكم بعد الصراع عليه من قبل أبناء السلطان المستحقين له، فعلى سبيل المثال «فقد توفي جهانكير دون أن يستقر الأمر على خليفته من بعده، وقد ترك ولدين يتنازعان الملك (شهریار) الذي كانت تؤيده نور جهان⁽⁵⁾؛ لأنه زوج بنتها، وشاهجهان الذي كان الجيش

(1) ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص31، 32.

(2) الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص90.

(3) بلاد الهند في العصر الإسلامي: عصام الدين عبد الرؤوف ص494.

(4) ولي العهد: «أن ينظر لهم - الحاكم - بعد مماته من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاهما، ويتقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل».

تاريخ ابن خلدون «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ) 262/1، تحقيق: أ/خليل شحادة، مراجعة: د/سهيل زكار، ط1، بيروت: دار الفكر، 1401هـ/1981م.

(5) نورجهان بيكم: مهر النساء بنت اعتماد الدولة غياث الدين بن محمد شريف الطهراني، انتقل والدها من طهران إلى بلاد الهند 984هـ، فلما وصل إلى قندهار ولدت مهر النساء وجاءت مع والديها إلى فتحبور في أيام أكبر شاه التيموري ونشأت في مهد العفة والطهارة، =

وأكثر الأمراء يؤيدونه، وعلى رأسهم آصف خان⁽¹⁾ أخو نور جهان ووالد زوجته)، وكان هناك عدا هذين الأميرين بعض الأمراء، كابن الأمير خسرو وابن الأمير دانيال⁽²⁾. وفي «أثناء حياة السلطان شاهجهان تنازع أبناؤه على العرش حين عين ولياً لعهدده، وهو ابنه دارا شكوه⁽³⁾، وانتهى الحال بهم بعد صراع طويل إلى تولي السلطان عالمكير مقاليد الحكم»⁽⁴⁾.

= وتعلمت الخط والحساب وفنوناً أخرى، ولما قتل زوجها سنة 1016هـ تزوج بها جهانكير، توفيت سنة 1055هـ ببلدة لاهور. ينظر ترجمتها في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 661/5، 662.

(1) أبو الحسن بن غياث الدين بن محمد شريف، الطهراني يمين الدولة آصف جاه خانخانان سبه سالار الوكيل المطلق، ولد ونشأ في بلاد الفرس، وانتقل إلى الهند مع والده بعد وفاة جده سنة 984هـ في أيام السلطان أكبر، واشتغل بالعلم مدة من الزمان، ولما توفي السلطان أكبر وتولى جهانكير وتزوج بأخته نور جهان بيكم لقبه اعتقاد خان وولاه على جونبور، وكانت وفاته بالاستسقاء سنة 1051هـ بمدينة لاهور فدفن بها. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 467/5، 468.

(2) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص316.

(3) دارا شكوه بن شاهجهان بن جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر التيموري الكوركاني، ولد سنة 1024هـ، وقرأ العلم على ميرك شيخ بن فصيح الدين الهروي وغيره، وكان أكبر أولاد أبيه، فعهد له الملك بعده، فحكم في حياته لمرضه، ولقبه شاه بلند إقبال، فسخط عليه إخوته شجاع ومراد بخش وعالمكير، وقاتل عالمكير، فانهزم دارا شكوه وفر إلى أودية الجبال، فغدر به وقبض عليه، فقتله عالمكير، وتفرق فيه الناس إلى فرقتين: بعضهم على أنه كان صوفياً صالح العقيدة ويستشهدون بمصنفاته، وأخرى: إنه كان فاسد العقيدة كجده، ويستشهدون بأفعاله وبمصنفاته الأخرى، من كتبه: التطبيق فيما بين مذهب الهنادك وأهل الإسلام، قتل يوم الجمعة غرة محرم سنة 1070هـ بمدينة أكبر آباد، ونقل إلى دهلي فدفن بمقبرة جده همايون. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 527/5.

(4) الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص37، الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، د.ت.

هذا، وقد أتيحت الفرصة لعدد من الأمراء أن يؤهلوا قبل توليهم الإمارة، خاصة عند شغلهم الولاية على أحد الأقاليم، ومنهم الأمير عالمكير، فقد تولى ولاية العديد من الولايات أيام حكم والده شاهجهان، فقد عين على ولاية الكجرات مدة عامين، وولاية بلخ وبدخشان، ثم عينه والده على ولاية الدكن مرتين⁽¹⁾.

ولا شك أن تولي ولي العهد إمارة أحد الأقاليم قبل توليه السلطنة يجعله مؤهلاً وجديراً لتولي مقاليد الحكم عندما يؤول الأمر إليه. فسياسة حكام هذه الفترة قد عرفوا بين الناس بالسيرة الحسنة، اللهم إلا ما يتصل بالوضع المتعلق بولاية العهد، وإنه كان تشوبه الخلافات التي لا تحمدها الدعوة، للتأثير السلبي عليها.

ثالثاً: الوزارة⁽²⁾:

من المناصب الإدارية الهامة في الدولة - أي دولة - الوزارة، فقد كان

(1) حكام الولايات (السباهدار) في جنوب آسيا إبان عهد الإمبراطور أورنجزيب وفق المصدر التاريخي (مآثر عالمكيري): د/أحمد محمد الجوارنة ص 539، 540، الأردن: جامعة اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، د.ت.

(2) الوزير لغة: حياً الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه، وهو مشتق من الوزر، وهو الثقل؛ لأن الوزير يحمل أعباء الدولة.

اصطلاحاً: وظيفة هامة ليست من مستحدثات المسلمين، عرفها الفرس وبنو إسرائيل وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: 29]، لكن هذه الوظيفة اتصلت من الناحية الإدارية بالإسلام منذ عصر الدعوة؛ لأن النبي ﷺ كان يشاور أصحابه، لكنه كان يخص أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببعضها، فكان يسمى وزير النبي ﷺ، وكذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن كان اسم الوزير لم يطلق عليهم بمعناه فيما بعد، لبساطة الإسلام وبعده عن أبهة الملك، ولما قامت الدولة الأموية بدأ يتضح مدلول الوزارة.

ينظر: المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ) 2/636-640، 97، تحقيق: د/على عبد الواحد وافي، ط3، القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: =

لسلاطين الدولة المغولية وزراء يعاونونهم في حكم البلاد، ولهم الدور الأكبر في تنظيم شئون الحكم، فلا غنى للسلطان عن أعوان يديرون معه أمور الدولة، وينوبون عنه في بعض الأمور؛ لذا كانت الوزارة ذات أهمية قصوى، «فلا يمكن لأحد من الملوك أن يصرف زمانه، ويدير سلطانه بغير وزير، ومن انفرد برأيه زل من غير شك، فالنبي ﷺ مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته أمره الله تعالى بالمشاورة لأصحابه العقلاء العلماء، فقال عز من قائل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾⁽¹⁾، وأخبر في موضع آخر عن موسى عليه السلام فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي﴾⁽²⁾، وإذا لم يستغن الأنبياء عليهم السلام عن الوزراء واحتاجوا إليهم كان غيرهم من الناس أحوج»⁽³⁾. ولهذا اهتم السلاطين المغول بمنصب الوزير⁽⁴⁾، وعولوا على صاحبه في

= مصطفى عبد الكريم الخطيب ص 439-441، الإسلام والدستور: توفيق بن عبد العزيز السديري 1/155، ط1، السعودية: وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1425هـ.

- (1) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.
- (2) سورة طه الآيات 29-32.
- (3) التبر المسبوك في نصيحة الملوك: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ) ص 83، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ/1988م.
- (4) كان منصب الوزير والديوان منصباً واحداً في عهد السلطان «أكبر»، ثم تطور في عهد جهانكير حيث أصبح الديوان مستقلاً عن الوزارة؛ ولكن تم التغيير مرة ثانية في عهد شاه جهان، حيث كان يطلق على الوزير «الديوان الكل» وعلى مساعديه «الديوان»، وفي عهد السلطان أورنگ زيب استقل كل منهما حيث جعل منصب الديوان مستقلاً عن الوزير، فكان بمثابة ديوان بيت المال، فيرفع إليه حساب الأموال من الداخل والخارج، وتأتى إليه كافة الأوراق المالية بل تسليمها إلى الدواوين مركزية كانت أم كلية. ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 261.

قضاء العديد من المهام المهمة⁽¹⁾، فكان الوزير مسئولاً عن الشؤون الإدارية والمالية للدولة ومسئولاً عن الجيش وإدارة شؤنه نيابة عن السلطان، وله الإشراف على الولايات وفرق الجيش الموزعة على ولايات الدولة، وتصدر بتوقيعه أوامر صرف أموال الدولة، وهو مسئول عن ميزانية الدولة ومراجعة الدخل والمنصرف، ويمثل السلطان في إدارة الدولة، ويناقشه السلطان ويستشيريه في الشؤون السياسية الداخلية والخارجية، وللوزير مساعدان أحدهما عن الرواتب، والثاني يشرف على أراضي السلطان ومخصصاته⁽²⁾.

وفي عهد السلطان أورنگ زيب «بسبب خطورة منصب الوزير لم يستوزر من يفوض إليه الأمور برأيه أو باجتهاده، وذلك خوفاً من الاستبداد إنما كان يعين الوزير التنفيذي⁽³⁾ الذي ينوب عنه في تنفيذ الأمور، دون أن تكون له سلطة استقلالية، ويمضى ما يصدر عن السلطان من أحكام؛ وبذلك كان بمثابة الوسيط بين السلطان وبين الشعب والولاة»⁽⁴⁾.

ومن الوزراء الذين تولوا الوزارة في عهد السلطان أورنجزيب:

- 1- علاء الملك توني الملقب بفاضل خان، كان يشغل منصب مير سامان في أوائل حكم السلطان أورنجزيب، وواصل عمله كرئيس للوزراء إلى أن توفي سنة 1073هـ/1663م.

(1) المرجع السابق ص257.

(2) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص305، 306.

(3) كان وزير التنفيذ وسطاً بين السلطان وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر، وهو مقصور النظر على أمرين: أحدهما: أن يؤدي إلى السلطان. والثاني أن يؤدي عنه. ينظر: الأحكام السلطانية: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت 450هـ) ص 56، 57، القاهرة: دار الحديث، د.ت.

(4) السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص228.

2- جعفر خان: تولى كرسي الوزارة بعد فاضل خان، وكان على درجة عالية من الثقافة والخبرة الواسعة في الشؤون الإدارية، استقل بالوزارة إلى أن مات في عام 1080هـ/1670م⁽¹⁾.

رابعاً: خان سامان أو مير سامان – الحجابة :-

كان يعتبر هذا المنصب من المناصب المهمة داخل القصر الملكي، وتعني صاحب شئون البلاط⁽²⁾، وهو المسئول عن كل ما يتعلق ببلاط السلطان: الأثاث - الفرس - الحرس وموظفي القصر وإدارة القصر عموماً، وهو يعد لرحلات السلطان وحملاته العسكرية، وهو المسئول عن خدم السلطان وشؤون القصر الإدارية - الطعام - الخزائن - الخيام، ويشترط فيه أن يكون ثقة؛ لأنه مسئول عن الشؤون الخاصة للسلطان وأفراد أسرته، ويؤهل هذا المنصب صاحبه لشغل منصب وزير⁽³⁾.

ونظراً لتلك المسئوليات التي كانت تقع على صاحب هذا المنصب، فإنها أهله لأن يكون أقرب شخص للسلطان، وكذلك كان صاحب قرار داخل القصر الملكي، حتى أنه كان يشارك في بعض القرارات التي تتعلق بالدولة في ذلك الوقت.

خامساً: الدواوين⁽⁴⁾ :

يعتبر النظام الإداري أحد الجوانب المهمة لقيام أي دولة، وبنائها على أساس

(1) المرجع السابق ص259.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص256.

(3) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص306.

(4) الديوان: كلمة فارسية، تعني السجل، أو الدفتر، ثم أطلق اسم الديوان على المكان الذي يحفظ فيه هذا الدفتر، أو يجلس فيه الكتبة، وذلك من باب المجاز.

ينظر: النظم الإسلامية في عصر صدر الإسلام: د/محمد مصطفى حلاوي ص106، ط1، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.

سليم راسخ، فكلما كان للدولة نظام إداري قوي ينظم شئونها ارتفعت وسادت، والعكس صحيح، والناظر إلى الدولة المغولية يجد أنهم اهتموا بالجانب الإداري، ومن هذه الدواوين:

1- ديوان البريد:

لقد «وصل نظام البريد إلى الهند في عهد السلطان محمود الغزنوي، وتطور في عصر سلطنة دلهي»⁽¹⁾، وقد شهد هذا النظام تطوراً كبيراً في عهد دولة المغول، «وكانت مهمة عمال البريد هي نقل تعليمات وقرارات السلطان والوزير والجهاز الحاكم عموماً إلى سائر الولايات، وكذلك نقل أخبار الولايات إلى العاصمة المركزية، وكانوا كذلك يقومون بتتبع أخبار الناس وسيرة الوالي والموظفين الرسميين»⁽²⁾.

وكانت هذه التقارير تصل إلى السلطان في سرية تامة وفي أسرع وقت، وهذا كله نتيجة حرص سلاطين دولة المغول على تعبيد طرق البريد وتمهيدها وتأمينها وربطها بالعاصمة المركزية بشكل مباشر، وخاصة في عهد السلطان عالمكير، فقد أمر بإنشاء الأربطة والخانات وحفر الآبار وبناء المساجد وإنشاء الجسور الكبيرة والقناطر على الأنهار في تلك الطرق، وقد ترتب على ذلك نقل الرسائل في وقت سريع⁽³⁾، ومن الإصلاحات وضع الحجارة البيضاء على الطريق لإرشاد السعاة ليلاً ليواصلوا عملهم ليلاً ونهاراً⁽⁴⁾. فوظيفة هذا الديوان هي استطلاع أخبار الولايات ومعرفة أحوال الناس وإبلاغ السلطان بها.

(1) السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص269.

(2) بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص309.

(3) ينظر: بلاد الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص335، 336.

(4) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص270.

2- ديوان الرسائل أو ديوان الإنشاء:

مهمة صاحب هذا الديوان كتابة الرسائل إلى الملوك والخلفاء والسلاطين والولاة على الأقاليم، «وكان يتطلب ممن يتولى هذا المنصب أن يكون مخلصاً وموثوقاً به، ومتقدماً في السن ومتمرساً، وعادة ما يكون رجلاً قد نال حظاً وافراً من الأدب والإنشاء واللغة والقواعد، ويعرف اللغات العديدة السائدة، والدبلوماسية ويتصف بالبراعة»⁽¹⁾.

وكان السلطان عالمكبر في معظم الأحيان يكتب الرسائل بنفسه، وذلك لما كان يتمتع به من البراعة والإجادة التامة للغات والإنشاء والترسل، وأحياناً يقوم بإملاء الرسائل المهمة، وأحياناً كان يضيف بعض الكلمات والتعبيرات خاصة على الفرمانات من عنده، وذلك لإظهار تأييده الخاص، أما في الأحوال العادية فكان يكتفي بتوجيه التعليمات إلى صاحب الديوان المذكور الذي بدوره ينقلها إلى الموظفين المعنيين، وكان صاحب ديوان الرسائل يقوم أيضاً بفض التقارير الواردة عن الحكام والقادة والمشرفين وصاحب البريد ثم تسليمها للسلطان⁽²⁾.

3- ديوان الجند أو مير بخشى:

هذا المنصب كان يعاون السلطان والوزير في إدارة الدولة، والبخشى أشبه بوزير الدفاع في العصر الحاضر، «فهو المسئول المالي عن الشؤون العسكرية»⁽³⁾.

وقد كان واجبه الرئيسي إمداد الجيش بالكوادر المؤهلة، ومن اختصاصاته تدبير وتقرير الأموال اللازمة للجيش، وإعداد التقارير والسجلات الرسمية

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 267.

(2) المرجع السابق ص 267، 268.

(3) بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص 306.

الخاصة بهذا الأمر، بجانب تجهيز كشف خاص بالعاملين في القوات العسكرية، ورتبتهم ومرتباتهم اليومية والشهرية، وقد أطلق على صاحب هذا الديوان «مير بخشي» أو «البخشي الأول» أو «بخشي الملك»، وسمى مساعده البخشي الثاني والثالث.. وهكذا، بعضهم في الإدارة المركزية وبعضهم في الإدارة المحلية⁽¹⁾.

وهذا الديوان من أهم الدواوين في نظم الحكم لدى الدولة المغولية؛ لأن الاختصاصات الموكلة إليه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمن الداخلي والخارجي للبلاد، وكذلك إعداد الجيش وإمداده بالكوادر المؤهلة حتى يكون قادراً على التصدي للمخاطر التي تحيط بالدولة في أي وقت، وهذا بلا شك له أثر كبير في الدعوة؛ إذ أن الأمان الذي يعيش فيه الدعاة يعود بالنفع على الدعوة تقدماً وازدهاراً سواء كانت دعوة قولية أو كتابية أو في الرحلات العلمية وغير ذلك من أشكال المعرفة والتعلم.

4- ديوان صدر الصدور⁽²⁾ :

هذا الديوان له أهميته؛ نظراً للاختصاصات الموكلة إليه، «فهو المسئول عن الشؤون الدينية في السلطنة»⁽³⁾، ووظيفته تحقيق استحقاق العلماء، والمشايخ، والأئمة، والعجزة، والأرامل، والأيتام، وغيرهم، للوظائف والرواتب، والشهريات واليوميات، والأرض الخراجية، لتمنح لهم من بيت المال، وكذلك وظيفته نقد أعمال القضاة، واستحقاقهم لتلك الخدمة الجليلة⁽⁴⁾، وفي كل ولاية صدر يشرف على الصدور في مدن الولاية، وصدور الولايات يتبعون صدر الصدور في

(1) ينظر: السلطان أورك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 263.

(2) هذه الوظيفة أشبه بالمؤسسة الدينية في العصر الحالي، وتضم شيخ الأزهر ووزير الأوقاف والمفتي.

(3) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص 306.

(4) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي حسني ص 283.

العاصمة المركزية دلهي أو أكر⁽¹⁾، ونظراً لأهمية هذا المنصب كان يختار من الفقهاء البارزين في السلطنة⁽²⁾.

فوظيفة هذا الديوان كل ما يختص بالأمور الدينية في الدولة المغولية، وكان يتبع هذا الديوان جميع الصدور في جميع ولايات الهند، لذلك كان له أهمية عظيمة في ضبط الأمور الدينية في جميع أنحاء المملكة.

5- ديوان القضاء:

مهمة هذا الديوان ووظيفة أعضائه هي فض المنازعات وإقامة الحدود، والفصل بين الخصوم، شأنه في ذلك شأن ديوان القضاء في أي دولة من الدول، وكان يترأس السلطة القضائية في السلطنة قاضي القضاة، فهو المسئول عن القضاء في السلطنة، ومن اختصاصه تعيين القضاة في الولايات، والقضاة في الولايات يعينون القضاة في مدن الولاية وقراها، ومن اختصاصه أيضاً مراقبة أعمال القضاة، ومراجعة أحكامهم، وتحديد القوانين التي يحكمون بها، وتفقد سير أعمالهم والإدارة القضائية، ومراقبة تطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم⁽³⁾.

هذا إلى جانب قيامه ببعض الأعمال الإدارية والدينية، ومنها: إقامة صلاة العيدين بالناس في المسجد الكبير، وأيضاً الحضور في المناسبات المهمة في المراكز وفي الأقاليم، وكذلك ممارسة أعمال المأذون الشرعي للأسرة الملكية⁽⁴⁾.

(1) أو أجرا، مدينة في الهند، تقع على نهر جومنا عند ملتقى طرق هامة في شمال وسط الهند مما يزيد من أهميتها البحرية والاستراتيجية، وهي عاصمة دولة المغول من عهد أكبر إلى شاه جهان، وعاصمة الثقافة الإسلامية في الهند، أهم آثارها ضريح تاج محل. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين 55/1، موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص 31.

(2) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص 306.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 320.

(4) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 296.

فمهمة قاضي القضاة إذن كما هو الحال والشأن إقامة العدل والفصل بين المتنازعين، وفرض تلك النزاعات وتطبيق ما يترتب على تلك النزاعات من الحدود على مستحقيها. وكان سلاطين دولة المغول يختارون لهذا المنصب علماء شهد الجميع لهم بالعدل والنزاهة والعلم، والخوف من الله عز وجل، ومنهم:

- 1- الشيخ العالم الفقيه القاضي إبراهيم التتوي السندي.. ولده شاهجهان بن جهانكير الدهلوي الإفتاء بمدينة دلهي فاشتغل به مدة من الزمان، ثم ولده القضاء في المعسكر، فصار أكبر قضاة الهند⁽¹⁾.
- 2- الشيخ العالم الفقيه قاضي القضاة: عبد الوهاب الحنفي الأحمد آبادي الكجراتي (ت 1086هـ)، ولده السلطان عالمكير قاضي قضاة الهند⁽²⁾.
- 3- الشيخ العالم الفقيه القاضي أبو سعيد الحنفي الكجراتي (ت 1099هـ)، ولي القضاء بدار الملك بدلهي سنة 1086هـ، ثم ولي قضاء المعسكر سنة 1094هـ⁽³⁾.

ويأتي بعد منصب قاضي القضاة، وظيفة القاضي، والذي كان يتم تعيينه من قبل قاضي القضاة⁽⁴⁾، وكان القاضي يحضر مجلس القضاء في أيام محددة، ويرتدي زياً خاصاً ويبدأ عمله بتفقد الموظفين وسير أعمالهم، ثم يستقبل أرباب

(1) المرجع السابق 464/5.

(2) كان من أحفاد الشيخ محمد بن طاهر بن علي الفتني صاحب «مجمع البحار»، مولده «مونكيبتن» من أعمال «أحمد نكر» في أيام شاهجهان ابن جهانكير، ولما ولي عالمكير على بلاد الدكن تقرب إليه، ولما قام بالملك عالمكير ولده القضاء الأكبر فصار قاضي قضاة الهند.

ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 584/5.

(3) المرجع السابق 469/5.

(4) المرجع السابق ص 307.

الشكاوى، وينظر في شكواهم، ثم ينظر في القضايا المعروضة عليه، ويستجوب الشهود والمتهمين، ويصدر أحكامه⁽¹⁾.

ولكثرة مهام القاضي كان هناك بعض الأجهزة التي تساعد على إتمام عمله منها:

- 1- **المفتي:** يتم تعيينه بالسند الملكي، ومن اختصاصاته تقديم المساعدة الشرعية للقاضي حول القضايا المعقدة، وكان المحامي يصاحبه لتبسيط وشرح القانون ولكن ليس من اختصاصه الحكم على القضايا، وكانت لآرائه أهمية كبرى عند القاضي حول الحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية.
- 2- **بندت:** المفتي الهندوسي، ويتم تعيينه بالهيئة الدينية الهندوسية ورجال الدين الهندوس، ومن اختصاصاته تقديم المساعدة الشرعية الهندوسية للقاضي حول القضايا الدينية والأحوال الشخصية الهندوسية.
- 3- **مير عدل:** أو أمير العدل وكان لهذا المنصب أهميته في ظل الحكومة المغولية مركزية كانت أم محلية وكان يصاحبه «داروغه عدالت»، ومن اختصاصات مير عدل تقديم المساعدة للقاضي للفصل بين القضايا...، وقد استبدل السلطان أورنگ زيب هذا الديوان بديوان آخر هو ديوان «النظر في المظالم» إدراكاً منه بأهمية هذا الجهاز⁽²⁾.

أشهر من تولى القضاء في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

- 1- أبو القاسم بن جمال الدين الحنفي الكشميري: ولى القضاء بكشمير⁽³⁾.

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني ص321.
- (2) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص297-299.
- (3) أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول، ولد ونشأ بكشمير، وقرأ العلم على والده وعلى عمه العلامة كمال الدين ثم ولى القضاء بكشمير، ومات ودفن بها. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 475/5.

- 2- بدر الدين الصديقي البدايوني (ت 1060هـ): ولى القضاء بمدينة بديوان في أيام السلطان شاهجهان ابن جهانكير الدهلوي واستقل به إلى آخر حياته⁽¹⁾.
- 3- ثناء الله بن هداية الله بن محمد منعم بن أبي الحسن بن محمد بن القاضي خواجكي العمري الجونبوري (ت 1073هـ): كان من الفقهاء الحنفية، وولى القضاء بجونبور⁽²⁾.
- 4- خوب الله حفيد الشيخ محمد حفيظ الحسيني الجونبوري (ت 1100هـ): ولى القضاء بمدينة إله آباد⁽³⁾.
- 5- خوشحال الحنفي الكابلي: ولى القضاء بمدينة دهلي، ثم تولى قضاء المعسكر، ثم ولى القضاء بمدينة لاهور، فاستقل به إلى وفاته⁽⁴⁾.

(1) الشيخ العالم الفقيه القاضي بدر الدين الصديقي البدايوني، أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول والعربية، ولى القضاء بمدينة بدايون في أيام شاهجهان بن جهانكير الدهلوي سلطان الهند، واستقل به مدة حياته، وكان يضرب به المثل في التبحر في العلم. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 503/5.

(2) الشيخ العالم الفقيه ثناء الله بن هداية الله بن محمد منعم بن أبي الحسن ابن محمد بن القاضي خواجكي العمري الجونبوري، من فقهاء الحنفية، ولد ونشأ بجونبور وولى القضاء بها، مات في 7 شوال سنة 1073هـ، وقبره في سوق ألف خان من بلدة جونبور.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 509/5.

(3) كان من العلماء البارعين في النحو والعربية، ولد ونشأ ببلدة جونبور، وقرأ العلم وتفرد في الحديث، وكان يحفظ ثمان مئة وألف من متون الأخبار المرفوعة، توفي في الرابع عشر من شعبان سنة مئة وألف. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 526/5.

(4) الشيخ العلامة القاضي خوشحال الحنفي الكابلي، قدم لاهور في شبابه، قرأ النحو والعربية على الشيخ محمد يحيى ابن أخ الشيخ منور، وسافر بخارى وأخذ عن الشيخ يوسف القرباغي، رجع إلى الهند سنة ١٠٤١هـ، وسافر إلى الحجاز، ثم رجع إلى الهند =

- 6- طيب بن القاضي قطب الدين محمد درويش بن محمد أفضل ابن عاشق محيي الدين العباسي الجرياكوتيك ولى القضاء بفتحبور⁽¹⁾.
- 7- عبد الرحيم بن عبد الرشيد البهاري ثم المراد آبادي: ولى القضاء بمراد آباد⁽²⁾.
- 8- محمد حسين الجونبوري (ت 1076هـ): ولى القضاء بمدينة جونبور⁽³⁾.

ومن النظر إلى واجبات القضاة يفهم الأثر المترتب عليها في الدعوة الإسلامية:

- أ- النظر في القضايا والفصل فيها بمقتضى الشريعة الإسلامية.
- ب- تعيين أولياء الأمر للمحتاجين مثل المعوقين والمجانين وغيرهم، ومراقبة وإدارة أملاك الوقف.
- ج- تزويج الأراامل والمطلقات.

= فولى قضاء دهلي، ولما تولى عالمكير السلطنة ولاء القضاء بمدينة لاهور، فاستقل به إلى وفاته. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 527/5.

(1) الشيخ القاضي طيب بن القاضي قطب الدين محمد درويش بن محمد أفضل بن عاشق محي الدين العباسي الجرياكوتي ثم الموي الإله آبادي، أحد الفقهاء الحنفية، تولى القضاء بفتحبور مدة ثم سكن ببادية كانت على عشرة أميال من إله آباد وعمرها. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 549/5.

(2) الشيخ الكبير القاضي عبد الرحيم بن عبد الرشيد البهاري ثم المراد آبادي، أخذ عن الشيخ العلامة عبد الحكيم ابن شمس الدين السيالكوتي ولازمه تسع سنين وبضعة أشهر، ثم ولي القضاء بمراد آباد، ودرس بها زماناً طويلاً، أخذ عنه الشيخ سعد الله البلكرامي وخلق كثير من العلماء. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 561/5.

(3) الشيخ العالم الفقيه القاضي محمد حسين الجونبوري، ولي القضاء بمدينة جونبور في أيام شاهجهان بن جهانكير، ونقله عالمكير بن شاهجهان إلى مدينة إله آباد في أوائل عهده، ثم ولاء الاحتساب وأضاف إلى منصبه وهو ممن بذل جهده في تدوين الفتاوي الهندية مات في الثالث عشر من جلوس عالمكير على سرير الملك نحو سنة 1076هـ. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 630/5.

- د- إقامة الحدود بمقتضى الشريعة الإسلامية.
- هـ- مراقبة الطرق والشوارع والمباني، حتى لا يحاول أحد أن يشوه الشوارع عن طريق تشييد وإنشاء السطوح وإنشاء المباني غير الشرعية.
- و- مراقبة أعمال السكرتاريين والقضاة الآخرين والذين يستطيع القاضي تعيينهم أو طردهم.
- ز- في حالة عدم وجود جابي الصدقات، كان من مسؤولية القاضي أن يجبي أموال الصدقات.

فمن المواقف التي تدل على سرعة تنفيذ أحكام القضاء في عهد السلطان أورنك زيب حينما أصدر القاضي التابع لدولة المغول في البنغال أمراً يقضي بموجبه أن تدفع شركة الهند الشرقية ألف روبية لأولئك العمال الذين طردتهم الشركة طرداً تعسفياً، بينما لم يذعن الإنجليز إلى تلك المطالب رافضين الاستجابة لدفع التعويضات التي حددها القاضي، وبسبب ذلك قامت مجموعة من القوات المغولية باحتلال المصنع سنة 1685م....، وقد وبخ والي البنغال الإنجليز على أفعالهم، إلا أنه وافق على بقائهم في المنطقة شريطة عدم تكرار تلك الأفعال مرة أخرى⁽¹⁾.

6- ديوان الحسبة:

عرفت شبه الجزيرة العربية نظام الحسبة بعد تأسيس الدولة الإسلامية، فبدأ المحتسب يمارس واجباته على حسب الشرع الإسلامي، لاسيما في عهد سلطنة دلهي، حيث الاهتمام البالغ من جانب السلاطين المملوكين بتنفيذ النظم الإسلامية، ولكنه على الرغم من معرفة الهند لهذه الوظيفة إلا أنها فقدت أهمتها في ظل حكومة السلطان «أكبر» في عهد المغول، ولكن لما وصل السلطان «أورنك زيب» إلى

(1) حكام الولايات (السابدار) في جنوب آسيا إبان عهد الإمبراطور أورنجزيب وفق المصدر التاريخي (مآثر عالمكيري): د/أحمد محمد الجوارنة ص545.

الحكم أمر بإعادة هذا النظام الإسلامي بين النظم الإسلامية الأخرى وببالغ في ذلك لأهمية هذا المنصب، ولذلك أصدر الأمر لديوان صدر الصدور بتوظيف المحتسبين في المدن والقرى كبيرة كانت أو صغيرة.

ولقد جعل السلطان المحتسب منصباً رفيعاً؛ حيث منح لكل محتسب منصب مائتين وخمسين له وعشرة للخيل، وهكذا تطورت الحسبة ووضعت قواعدها وحددت معالمها في عهد السلطان «أورنك زيب»، واهتم بها فأصبحت من الوظائف المهمة في الدولة المغولية، ولما كان هذا الجهاز يعمل تحت إشراف القاضي أو صدر الصدور بالتنسيق مع صاحب الشرطة في العصور السالفة، فإن السلطان أورنك زيب أمر فيما بعد بإنشاء المنصب الجديد ألا وهو «المحتسب الأعلى»، وذلك نظراً لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بقوة وإمارة أو ولاية، ومن هنا كانت الإمارة أو ولاية الناس من واجبات الدين⁽¹⁾.

مهمة المحتسب: كان له مهام كثيرة منها:

- 1- منع المفاصد في الطرقات، مثل الاعتداءات بالخيول على المارة أو اعتداء الناس بعضهم على بعض.
- 2- منع البيع والشراء وحركة التجارة عموماً أثناء الصلاة.
- 3- ضبط الموازين والمكاييل والمقاييس ومنع الغش في البيع والشراء، ومراقبة وزن العملة⁽²⁾.
- 4- الإشراف على المساجد بالتنسيق مع ديوان صدر الصدور، أي بناء المساجد والاهتمام بها ومراقبة الإمام ووعظه، ومراقبة عدم إنشاء معابد هندوسية جديدة كما ذكر المؤرخ «جدهوناته سركار».

(1) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص306.

(2) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: عصام الدين عبد الرؤوف ص307.

- 5- مراقبة الأطباء والحكماء ومنع الذي لا يجيد الطب من التطبيب، وفصل الرجال عن النساء، وكذلك منع التطبيب بالسحر والشعوذة والكهانة، وإقامة الحد على الساحر.
- 6- مراقبة وضع التعليم، فكان من واجباته أن يذهب إلى المدارس ويتابع ويرى ماذا يفعل المعلمون.
- 7- متابعة تنفيذ أحكام القاضي، وفرض العقوبات على المخالفين بالضرب أو السجن ووسائل التعزير.
- 8- مراقبة محلات الأطعمة من حيث النظافة، ونظافة العمال وخلوهم من الأمراض.
- 9- منع النساء من الخروج في الشوارع سافرات⁽¹⁾.

أشهر من تولى منصب الحسبة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

- 1- الشيخ العالم الفقيه عوض وجيه الحنفي السمرقندي (ت1087هـ): ولى الحسبة في عهد السلطان «عالمكير» سنة 1069هـ، وأعطاه مقابل ذلك ألفاً لنفسه ومائة للخليل، كما جعل مرتبه السنوي خمسة عشر ألفاً، وهو أول من ولى الاحتساب في الدولة التيمورية فاستمر على تلك الخدمة إلى سنة 1075هـ، ثم عزل من المنصب لخطأ صدر منه، وولى مكانه «خواجه قادر»، ثم أعيد إلى منصبه سنة 1076هـ، وظل يشغله إلى وفاته⁽²⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص307، بلاد الهند في العصر الإسلامي: عصام الدين عبد الرؤوف ص307.

(2) الشيخ العالم الفقيه عوض وجيه الحنفي السمرقندي، أحد العلماء المشهورين، ولد ونشأ في قرية اخسيك من أعمال سمرقند، وقرأ العلم على المير عوض التاشكندي وتفقّه عليه ولازمه زماناً. وكان صافي القريحة سريع الخاطر قوي الحفظ، فاق أقرانه في المعقول والمنقول فدرس وأفاد مدة طويلة في بلخ، ولما فتحها شاهجهان بن جهانكير التيموري سلطان الهند=

2- الشيخ العالم الفقيه القاضي محمد حسين الجونبوري (ت 1076هـ): ولي القضاء بمدينة جونبور في أيام «شاهجهان بن جهانكير الدهلوي» سلطان الهند، ونقله «عالمكير» إلى مدينة إله آباد في أوائل عهده، ثم ولاه الاحتساب، وهو من بذل جهده في تدوين الفتاوى الهندية⁽¹⁾. هذه الأجهزة بأسمائها المختلفة دلت على قوة الدولة المغولية وإحكامها وهيمنتها على الدول الأخرى التي عاصرتها وعادت الإسلام وناوأت المسلمين، فضلاً عن إتاحة الفرص لسير حركة الناس بأمان في أرجاء الدولة وإنصاف بعضهم من بعض، وممارسة الدعوة بهدوء.

ثانياً: أقاليم الهند في القرن الحادي عشر الهجري

بسطت الدولة المغولية سلطانها على مساحات شاسعة من بلاد الهند، ونظراً لهذا الاتساع اهتم السلاطين المغول بتقسيمها إلى ولايات⁽²⁾؛ حيث يسهل التحكم فيها وإدارة شئونها، وقد تولى أمور كل ولاية حاكم، ويمكن بيان ولايات الهند ومعرفة صلاحيات عمالها فيما يلي:

1- التقسيم الإداري للولايات الهندية:

قسم المغول دولتهم بالهند وما تبعها من أفغانستان إلى اثنتين وعشرين ولاية، على كل ولاية حاكم يعين من قبل السلطان نفسه، وكان حكمهم خاضعاً

= دخل الهند وولي الافتاء في معسكره واستقل به مدة، ثم جعله عالمكير بن شاهجهان المذكور محتسباً سنة تسع وستين وألف، توفي سنة 1087هـ.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/596.

(1) المرجع السابق 5/630.

(2) الولاية كان يطلق عليها في العصر المغولي «سُبه» وكانت تقسم إلى عدد من الأفضية

«سركار» وكل قضاء إلى عدة دساكر «بركنا».

ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص257.

للإدارة المركزية بدلهي، وأشار صاحب كتاب «الهند في العصر الإسلامي»⁽¹⁾ إلى الولايات التي اشتملت عليها الدولة في عصر السلطان أورنگ زيب وهي كالتالي:

1. صوبه⁽²⁾ شاهجهان آباد⁽³⁾.
2. صوبه أكبر آباد⁽⁴⁾.
3. صوبه إله آباد⁽⁵⁾.
4. صوبه أوده⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 89.
(2) صوبه: مشتقة من كلمة عربية هي «صوب» بمعنى طرف أو تجاه أو نحو، واستخدمت في العصر المغولي في مكان «طرفدار» التي كانت تستخدم في الإمارات الإسلامية المستقلة في الجنوب، وكان الوالي يطلق عليه «صوبه دار» أو «ناظم» في العصر المغولي.

ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 282، 283.

(3) يحدها من الشرق ولاية أكبر آباد، ومن الغرب لاهور، ومن الجنوب أجمير، ومن الشمال سلسلة جبال كميون، طولها مئة وستون ميلاً وعرضها مئة وأربعون ميلاً، أشهر مدنها مدينة دهلي قاعدة بلاده الهند.

ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 89، 90.

(4) يحدها من الشرق ولاية «إله آباد» ومن الشمال «نهر كنك»، ومن الجنوب «مالوه» ومن الغرب «دهلي» طولها مئة وخمسة وسبعون ميلاً، وعرضها مئة ميل، وأشهر مدنها مدينة أكبر آباد ويوجد بها «تاج محل» وهو من أبداع أبنية الهند. المرجع السابق ص 94، 95.

(5) يحدها شرق ولاية «بهار»، وغرباً «أكره»، وشمالاً «أوده»، وجنوباً «باندهو كده»، طولها 160 ميل، وعرضها 120 ميل، وأشهر مدنها مدينة «إله آباد» وكانت تسمى في عهد «أكبر الله باس» ثم بدل اسمها شاهجهان إلى إله آباد. المرجع السابق ص 97، 98.

(6) يحدها من الشرق ولاية «بهار»، ومن الغرب «فتوج»، ومن الشمال سلسلة الجبال، =

5. صوبه بهار⁽¹⁾.
6. صوبه أريسه⁽²⁾.
7. صوبه بنكاله⁽³⁾.
8. صوبه أورنك آباد⁽⁴⁾.
9. صوبه برار⁽⁵⁾.
10. صوبه خانديس⁽⁶⁾.

= ومن الجنوب متصرفيه «مانكبور» طولها مئة وثلاثون ميلاً، وعرضها خمسة عشر ومئة ميل، وأشهر مدنها أوده، وهي مقدسة عند الهنادك. المرجع السابق صـ100، 101.

(1) يحدها شرقاً ولاية البنكال، وغرباً إله آباد، وأوده شمالاً، والجنوب بسلسلة الجبال، طولها مئة وعشرون ميلاً، وعرضها مئة وعشرة أميال، وأشهر مدنها «بتنه» ويقال لها «عظيم آباد» نسبة إلى عظيم الشأن بن شاه عالم بن عالم كير.

ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني صـ103.

(2) أريسة: طولها مئة وعشرون ميلاً، وعرضها مئة ميل، وأشهر مدنها «كنك»، بها قلعة من أمنع القلاع بالهند. المرجع السابق صـ107.

(3) يحدها من الشرق والشمال سلسلة الجبال، ومن الغرب ولاية بهار، ومن الجنوب البحر، طولها أربعمئة ميل، وعرضها مئتا ميل، وأشهر مدنها في الجاهلية والإسلام مدينة «لكهنوتى». المرجع السابق صـ105.

(4) يحدها من الشرق ولاية «بدر» ومن الغرب «جالنه»، ومن الشمال «برهان بور» ومن الجنوب «بيجابور»، وطولها مئة وخمسون ميلاً، وعرضها مئة ميل، وأشهر مدنها مدينة أورنك آباد، ودولت آباد. المرجع السابق صـ107، 108.

(5) يحدها من الشرق نهر «وردا»، ومن الغرب «خانديس»، ومن الجنوب «وان كنكا» ومن الشمال نهر «تابتى» طولها مئتا ميل، وعرضها ثمانون ومئة ميل، وأشهر مدنها «إيلجبور». المرجع السابق صـ110.

(6) يحدها من الشرق «برار» ومن الغرب والشمال «مالوه» ومن الجنوب «جالنه» طولها خمسة وسبعون ميلاً، وعرضها خمسون ميلاً وأشهر مدنها «برهان بور». المرجع السابق صـ111.

11. صوبه أجمير⁽¹⁾.
12. صوبه كجرات⁽²⁾.
13. صوبه تهته⁽³⁾.
14. صوبه بدر⁽⁴⁾.
15. صوبه لاهور.
16. صوبه حيدر آباد⁽⁵⁾.
17. صوبه ملتان.
18. صوبه كشمير.

(1) يحدها من الشرق ولاية أكبرآباد، ومن الغرب «ديالبور»، ومن الشمال دهلي، ومن الجنوب «كجرات» طولها ثمان وستون ومئة ميلاً، وعرضها مئة وخمسون ميلاً، وأشهر مدنها «أجمير»، وهي مدينة جيدة البناء تحوي العديد من الآثار، وتبعد عن دهلي العاصمة بحوالي 350 كم. ينظر: المرجع السابق ص111، موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص32.

(2) يبلغ طولها اثنان وثلاثمائة ميل، وعرضها سبعون ومئتا ميل، وأشهر مدنها «كنباية».

ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص117.

(3) يحدها شرقاً «كجرات»، وغرباً «مكران»، وجنوباً البحر، وشمالاً «بهكّر»، وأشهر مدنها «تهته». المرجع السابق ص116.

(4) يحدها من الشرق «تلنكانه»، ومن الغرب «أورنك آباد»، ومن الشمال «خاندي»، ومن الجنوب «كلبركة» وطولها مئة وخمسة وتسعون ميلاً، وعرضها مئة وخمسة عشر ميلاً. المرجع السابق ص121، 122.

(5) كانت تشتمل على بلاد «كرناتك» في أيام القطب شاهية، وأشهر مدنها: حيدر آباد، وهي بلدة كبيرة مصرها محمد قلبي قطب شاه، وكانت دار الملك في عهده. ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص122.

19. صوبة مالوه⁽¹⁾. 20. صوبة بيجابور⁽²⁾.

هذه الولايات مثلت الدولة في القرن الحادي عشر الهجري.

2- عمال الولايات:

اختار سلاطين المغول من يدير الولايات الهندية، «فاختاروا رجالاً أثبتوا إخلاصاً ومقدرة في إدارة شئون البلاد سياسياً وعسكرياً، وفي معظم الأحيان كانوا من أقرباء السلطان أو أبنائه»⁽³⁾، كما تقتضيه المصلحة.

وكان الموظفون الرئيسيون بكل ولاية كالتالي:

أ- **الوالي أو السبهادر:** حاكم الولاية المسئول عنها⁽⁴⁾، وهو نائب السلطان بها، ولم يكن له أن يدخل في حرب أو يبرم التحالف والصلح دون مشورة السلطان ورأيه، وهو المشرف الأول على شئون القوات والقضاء في إقليمه، وله أن يعيّن صغار العمال ويقيلهم، ولا يتدخل في الأمور الشرعية التي هي من اختصاص الصدر وحده، أو يصدر الحكم بالإعدام دون إذن

(1) يحدها شرقاً «باندهو»، وغرباً «كجرات» و«أجمير»، وشمالاً «برور» وجنوباً «بكلانه»، طولها خمسة وأربعون ومئتا ميل، وعرضها ثلاثون ومئتا ميل، وأشهر مدنها «أجين» وهي مدينة حسنة كثيرة العمارة. الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 119.

(2) يحدها من الشرق «كلبركة»، ومن الغرب والجنوب البحر، ومن الشمال أورنك آباد، ومن أشهر مدنها بيجابور وهي مدينة هندية كبيرة في جنوب غرب الهند تبعد حوالي 250 كم شرق شواطئ بحر العرب.

ينظر: المرجع السابق ص 121، المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين 153/1، موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص 146.

(3) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 283.

(4) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص 310.

السلطان نفسه⁽¹⁾. ويليه في المنزلة ثمانية من أصحاب المناصب الكبيرة وهم:

ب- **الديوان:** المسؤول عن الشؤون المالية في الولاية، يلي الحاكم العام في المرتبة، كان يعين من قبل الديوان في بادئ الأمر ثم رأى السلطان أن يجعله تابعاً له ليكون رقيباً من لدنه على كل ما يصدر عن الحكام من تصرفات وأفعال⁽²⁾.

ج- **الصدر:** صاحب الشريعة في الإقليم كله، وكان في العادة من العلماء أصحاب المهابة، ويأتمر القضاة ورجال العدل بأمره⁽³⁾.

د- **العامل:** صاحب الخراج، ينظم جباية الضرائب ويراقب عماله، ويحدد مقدار خراج الأرض على درجة خصوبتها وجودتها، ويظهر الطرق والسبل من اللصوص وقطاع الطرق، ويراقب عمليات البيع والشراء⁽⁴⁾.

هـ- **البخشي:** المحاسب الذي يراجع أعمال العمال، ويشترط أن يكون ماهراً في الحسابات، ملماً بأصول الخراج ونظمه وأسس الإيرادات والمصروفات، وأن يسجل ذلك كله في سجلاته بالتفصيل⁽⁵⁾.

و- **الخازن دار:** وظيفته «أن يتسلم الدخل الزراعي من الولاية، ويودعه في خزانة الدولة، ويتسلم إيصالاً بذلك من الخزانة المركزية، وعليه أن يعد

(1) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 147/2.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص257.

(3) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 148/2.

(4) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص257.

(5) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 148/2.

تقريراً بذلك يوقع عليه بعد مراجعته المشرف على الديوان، وله مساعدون يقومون بجمع الخراج من الولاية»⁽¹⁾.

ز- **الفوجدار:** القائد المباشر لقوات الولاية، يعاون الحاكم العام في إقرار الأمن، ويعين العمال لتحصيل الضرائب من أهل القرى الذين يمتنعون عن أدائها، ويطارد عصابات اللصوص وقطاع الطرق، ويخمد كل عصيان أو فتنة في الولاية⁽²⁾.

ح- **الكتوال:** كبير شرطة الولاية، ويمتلك سلطات واسعة قوية، لتنفيذ أوامره وتعليماته وهو مسئول عن سيادة القانون في الولاية، وعليه المحافظة على الأمن والنظام ومراقبة تحركات الناس في مدن الولاية وقراها، ومنع تعديات البناء، ومراقبة الموازين والمكاييل والمقاييس، ومن مهامه الضرب بيد من حديد على اللصوص، وعليه توزيع التركات طبقاً للشرع ومنع العادات البالية كحرق المرأة نفسها في حالة موت زوجها⁽³⁾، وعليه مراقبة دخول الأفراد ويعاونه عدد من الفرسان والمشاة من عشرين إلى ثلاثين يتجولون في الطرقات. ولهم مهام إنسانية، مثل مساعدة المرضى والعجزة وأصحاب العاهات. ويقضى الكتوال ليله ساهراً يراقب الأمن والنظام، وتوزيع جنده على المباني الرئيسية والحكومية لحراستها⁽⁴⁾.

ط- **وقائع نوبسي:** وهو سجل الوقائع، ضابط الاتصال بين الحكومة والولاية⁽⁵⁾ وبواسطة هؤلاء كان سلاطين دولة المغول يقفون على كل

(1) بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص312.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص258.

(3) كانت هذه عادة أهل الهند من غير المسلمين، وقد عمل الحكام المسلمون على منع تلك العادة من المجتمع الهندي.

(4) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص313.

(5) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص258.

صغيرة أو كبيرة تجرى في كافة نواحي الدولة المترامية الأطراف، وكان على كل واحد من هؤلاء أن يحيط أمير الإقليم ورجاله علماً بما يبلغه من الحوادث والوقائع قبل أن يرفع خبرها وتفصيلها إلى السلطان⁽¹⁾. هذا كله تتميم لما سبق من إحكام الأوضاع في الدولة المغولية المسلمة وسيادة الأمن بها، والحفاظ على المالية العامة والخاصة على السواء.

ثالثاً: أثر السياسة الداخلية في الدعوة الإسلامية

لقد كان للسياسة الداخلية التي انتهجتها الدولة المغولية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري أثر بارز في الدعوة الإسلامية، ومن تلك الآثار:

1- من الآثار الإيجابية التي عادت بالخير على الدعوة الإسلامية، أن دولة الهند ما عرفت توحداً ولا اجتماعاً على قيادة واحدة، إلا في القرن الحادي عشر الهجري، إذ كانت قبل هذا القرن عبارة عن إمارات متعددة، يحكمها أمراء كثر، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لكن في القرن الحادي عشر الهجري وتحت قيادة سلاطين دولة المغول اتسعت رقعة الدولة حتى صارت في عهد السلطان عالمكير تشمل جميع بلاد الهند، وآسام وأراكان في بورما، وأفغانستان، يقول صاحب كتاب تاريخ الإسلام في الهند: «ولم يبق في القارة الهندية كلها خارجاً عن أملاكه إلا المملكة الهندوسية في الطرف الجنوبي للهند (فيجا بانكر)، فاتسعت مملكته اتساعاً لم يشهده سلطان من قبل أو من بعد، حيث ضمت الهند وآسام وأراكان في بورما، وكذلك أفغانستان، وكانت تلك هذه الذروة التي وصل إليها ملك المغول»⁽²⁾. وهذا بلا شك كان له تأثير إيجابي على مسيرة الدعوة الإسلامية في الهند القرن الحادي عشر الهجري.

(1) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 149/2.

(2) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص357.

2- وأدت سياسة السلاطين المغول التي انتهجوها مع الرعية إلى انتشار العدل بين الناس وتحقيقه بصورة واضحة في المجتمع، وقد ظهرت تلك الصورة في تصرف الحكام والولاة مع الرعية، فكان من عادتهم أنهم لا يجلسون بالديوان العام يوم الأربعاء من كل أسبوع، ويجلسون «بدولت خانه» فيحضر لدي السلطان القضاة، وأهل الفتوى، وأرباب العمائم، فيعرض عليه ناظر العدلية الشكاية واحداً بعد واحد، فيستنطقه السلطان بنفسه، ويسأله بغاية اللين والرفقة، ويحكم بما يفتيه العلماء، فإن كان المستغيث من بلدة بعيدة، وكانت قضيته لا تفصل إلا ببلدته، بعث منشوراً إلى واليه بأن يستدرك الحقيقة، ويفصل في القضية بما يفتيه العلماء، وإن لم يستطع ذلك فليرسل المتخاصمين إلى الحضرة. قال: برن آر الفرنساوي الرحالة: «من عادة السلطان أن يجلس بدار العدل يوماً في كل أسبوع لا يترك ذلك أصلاً، ويعرض عليه ناظر العدلية عشرة عرائض للمستغيثين واحداً بعد واحد»⁽¹⁾. فالسمعة الطيبة التي اتسم بها سلاطين المغول وسيرتهم الحسنة في العدل والإنصاف وحب الإسلام، والدعوة إليه جعل الهنود يعيشون في سلام وصفاء، وامتدت دولة المغول في طول البلاد وعرضها وجعلها دولة مترامية الأطراف تنتشر العدل بين الناس أجمعين.

3- وفيما يتعلق بالجانب الإداري فإن قيام الدولة المغولية في الهند على نظام إداري دقيق؛ وذلك بوضع ديوان لكل ناحية من النواحي، عاد بالنفع على الأفراد والمجتمع عموماً، وذلك لما يضمنه هذا النظام من دقة في العمل، وانتظام في أدائه، وإشاعة روح التعاون والتكامل بين أفراد المجتمع، وكلما كانت شئون الدولة منظمة كان ذلك سبباً في قوتها وازدهارها وتقدمها، وأيضاً كلما كانت شئون الدولة منظمة تكون أمور الرعية ميسرة، فكل

(1) الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص301.

شخص في الدولة يعرف حقوقه وواجباته، ولا شك أنه كلما انتظمت حياة الناس وتيسرت أمورهم كان هناك الجو المناسب للدعوة.

4- وأما ما يتعلق بالدواوين وتنوعها وتنظيمها على النحو الذي سبق ذكره، فكان لها أثر إيجابي؛ حيث كان المسؤولون الكبار وعلى رأسهم السلطان على علم بكل ما يجري فيها، حيث كانت توضع أمامه تصرفات الولاية والرعية وكأنه ينظر إليهم، ويراقبهم، ويسوسهم على ترامي أطراف الدولة، كما تضمن تلك الوظائف وصول قرارات المستوى الأول ومن يعاونه من الوزراء إلى النواحي بسرعة ويسر، فانسجمت تصرفات الرعية بما يتناسب مع القرارات التي هي من صميم الشرع الإسلامي، كما هو معروف في سير المسؤولين آنذاك، وهذا التنظيم الدقيق المنضبط لا شك أنه يوصل إلى النجاح المرجو، فكان لها أثر إيجابي ورسم صورة حسنة للحكم الإسلامي أمام العالم.

5- وأما ما يتعلق بالنظام القضائي في الدولة المغولية فإنه كان نظاماً محكماً، حيث كان هناك قاضي للقضاة تشبه اختصاصاته اختصاصات وزير العدل في العصر الحاضر، الذي يتولى اختيار القضاة وتعيينهم والوقوف على أحوالهم، وفصلهم إذا لزم الأمر، وهناك القضاة المشهود لهم بالنزاهة والعلم، ويساعدهم جهاز كامل من المفتين، وأصحاب الشرطة لتنفيذ الأحكام، الأمر الذي أدى إلى شيوع العدل بين الأوساط في الدولة ونيل كل واحد من الرعية حقه غير منقوص، وهذا ما تسعى إليه الدعوة الإسلامية، «فالقاضي داعية إلى الله، فإن لم يكن بقوله بفعله وتطبيقه لشرع الله وإقامة العدل بين الناس، وهذا نشر للشرعية، فكل داعية إلى الله في مجال عمله، فالقاضي والمفتي والمدرس هم دعاة ما أدوا الأمانة على وجهتها، وأبرزوا صفحة الإسلام ببيضاء نقية، فيظهر العدل وتقام الشريعة، وينتشر

العلم»⁽¹⁾. والقاضي حلقة مهمة من حلقات تحقيق العدل في المجتمع المسلم، ومن هذا المنطلق حرصت الدولة الإسلامية في الهند على حسن اختيار القاضي مراعين في ذلك الشروط التي حددها فقهاء الإسلام في تولي منصب القضاء تحقيقاً للعدالة ووصول الحق إلى أهله على النحو الذي تقدم ذكره.

6- وكان ديوان الحسبة في الدولة المغولية من أجل نشر قيم الإسلام الجليلة في ربوع المجتمع الهندي، وضبط كل عمل مخالف لتعاليم الشرع الحنيف ليعود ذلك أمناً وسلاماً على المجتمع كله. ووظيفة المحتسب على مدي التاريخ الإسلامي أسدت إلى الدعوة الإسلامية أكبر الآثار، حيث التواصي بالحق، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهما «القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه، وأهمل علمه وعمله؛ لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد»⁽²⁾.

وقد اهتم القرآن الكريم ببيان هذه المهمة، فقال تعالى: ﴿كَثُرَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽³⁾. وكذلك حفلت السنة النبوية القولية والفعلية ببيان هذه الفريضة، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ

(1) ينظر: جهود الشيخ العلامة بكر أبو زيد في الدعوة إلى الله تعالى دراسة تحليلية وصفية:

د/عمر بن عامر الخرماني ص286، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1431هـ.

(2) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ) 306/2، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

(3) سورة آل عمران الآية 110.

اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»⁽¹⁾.

7- وأما ما يتعلق بسلطين الدولة وسياساتهم وإصلاحاتهم، فلا شك أن ما قام به السلطان جلال الدين محمد كان أثر سيء على الدعوة الإسلامية، وأيضاً كان له أثر سياسي فقد خرجت عليه بعض الولايات، وهذا ما أدى إلى حدوث بعض الاضطرابات في نواحي الدولة المغولية.

8- أثر ولاية العهد على الدعوة الإسلامية: أما ما يتعلق بالأثر الذي ترتب على ولاية العهد في الدولة المغولية فإنه كان - للأسف - أثراً سلبياً، جر بعض المشاكل على الدولة وكانت في غنى عن ذلك.

9- هذا، وكان لتقسيم الدولة إلى ولايات على النحو - الذي سبق ذكره - أثر واضح في ضبط الدولة على ترامي أطرافها والتحكم في تنظيم أمورها، بحيث يكون لكل ناحية القائمون عليها، وهذا يعني الإحاطة بكل ما يدور فيها، وسهولة الحركة بين تلك الأقاليم، ومعرفة أحوال الرعية مسلمين وغير مسلمين، ومن كان منتظماً منهم في سلك الاستقامة، ومن كان خارجاً على نظام المجتمع العام، بحيث يتعامل مع كل عنصر بما يتفق مع وضعه، كما أن وجود عمال على كل ناحية من النواحي فيه فائدة عظيمة ومنفعة جليلة لأهل كل ناحية، من حيث التخفيف على الناس والتيسير عليهم، وقضاء مصالحهم، فلا يحتاجون للذهاب إلى الحاكم الأعلى أو عاصمة الدولة الكبرى للنظر في شكاوهم أو قضاء مصلحة من المصالح، فلديهم من أولى الأمر من يحتكمون إليه، ويقضي لهم حوائجهم. وهذا ما تقررره الدعوة الإسلامية رشداً للصالح العام في الدولة.

(1) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الشركة، باب هل يقرع في القسمة والإسهام فيه 139/3، ح رقم 2493.

المبحث الثاني

الأحوال السياسية الخارجية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة

سيطرت دولة المغول على مناطق شاسعة جداً، وكان لها دول جوار إسلامية، وغير إسلامية، وكان أمراً طبيعياً أن تفرض حياة الجوار هذه صلات وعلاقات بين الدولة المغولية وتلك الدول المجاورة، وكانت هذه العلاقات تتردد وتختلف من وجه لآخر بين الصداقة والموالاتة، أو الصراع والنزاع، ويتضح ذلك من خلال الآتي:

أولاً: علاقة الدولة الإسلامية في الهند بأبرز الدول المسلمة

حرص سلاطين المغول كافة وبدون استثناء على كسب مودة الدول المجاورة، وإقامة علاقة طيبة معها، فكانوا حريصين على التعاون السياسي مع الدول الإسلامية، خاصة أن المسلمين مثل الجسد الواحد، فكما أن الجسد يحتاج كل عضو فيه إلى الآخر ليكمل مهمته التي خلق من أجلها، فكذلك المسلمون يحتاج بعضهم إلى بعض ليقووا وليصبحوا أمة واحدة، كما أراد الله عز وجل لهم، ويمكن إظهار العلاقات التي كانت بين دولة المغول في الهند وبين شقيقاتها من الدول الإسلامية من خلال ما يلي:

علاقة دولة المغول في الهند بالعثمانيين:

عاصرت الدولة المغولية بالهند الدولة العثمانية، وكان السلاطين العثمانيون الذين عاصروها هم⁽¹⁾:

(1) ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية: أ/محمد فريد بك المحامي ص777، 778، تحقيق: د/إحسان حقي، ط1، بيروت: دار النفائس، 1301هـ/1981م.

1. مُراد الثالث (982هـ) - 2. مُحَمَّد الثالث (1003هـ) -
- 1003هـ⁽¹⁾. 1012هـ⁽²⁾.
3. أحمد الأول (1012هـ) - 4. عُثمان الثاني (1027هـ) -
- 1026هـ⁽³⁾. 1031هـ⁽⁴⁾.

- (1) مراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن بايزيد بن أورخان بن عثمان، ولد سنة 953هـ، تولى الحكم سنة 982هـ، من أعظم السلاطين العثمانيين، أتم عمارة الحرم الشريف بعد الحريق الذي أصابه، ثم مات بعد أن شرع في العمارة، توفي سنة 1003هـ. ينظر ترجمته في: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ) 301/2، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- (2) محمد خان الثالث بن السلطان مراد الثالث، ولد عام 974 هـ تولى السلطنة عام 1003هـ، وعزل بعض رجال الدولة ونصب من وجد بهم الأهلية والإخلاص، توفي عام 1012هـ، دفن في جامع آيا صوفيا بجوار ضريح السلطان سليم خان الثاني. ينظر ترجمته في: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن: حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ص71، 72، تقديم: د/محمد زينهم محمد عزب، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1415هـ/1995م.
- (3) أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث: ولد عام 998هـ، تولى السلطنة عام 1012هـ، وفي عام 1026هـ أصيب بحمى خبيثة، فأوصى بالملك لأخيه مصطفى، ومن أشهر آثاره بناء الجامع الكبير المعروف بالأحمدية ذات الست منارات وجملة مدارس وقشال، عاش ثمانين وعشرين سنة قضى منها على تخت السلطنة 14 سنة. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 73-75.
- (4) عثمان الثاني ابن السلطان أحمد الأول: ولد عام 1013هـ، وجلس عام 1026هـ، فنظر إلى الأحوال الداخلية فأصلح أمرها وعقد الصلح مع الدول الأجنبية؛ كي يتمكن في تلك الفترة من حشد الجنود وجمع الأموال وتشييد الحصون، عزل عام 1031هـ. ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص76، 77.

5. مُصطفى الأول (1031هـ- 1032هـ)⁽¹⁾.
6. مُراد الرابع (1032هـ- 1049هـ)⁽²⁾.
 7. إبراهيم عَصَبِي (العَصَبِي) 1049هـ-1058هـ)⁽³⁾.
8. محمد الرابع (1058هـ- 1099هـ)⁽⁴⁾.
 9. سليمان الثاني (1099هـ-1102هـ)⁽⁵⁾.
- وباستعراض علاقة المغول بالدولة العثمانية، يظهر أنها لم ترق إلى المستوى المطلوب الذي يليق بين دولتين مسلمتين كبيرتين تسيطران على غالبية
-
- (1) مصطفى بن السلطان محمد الثالث: ولد عام 1000هـ، تولى السلطنة سنة 1031هـ، بعد عزل السلطان عثمان ثم خلع سنة 1032هـ، وأجلس مكانه السلطان مراد، وقد توفي السلطان مصطفى عام 1048هـ.
ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص78، 79.
 - (2) مراد الرابع بن السلطان أحمد الأول: ولد عام 1018هـ، تولى السلطنة عام 1032هـ، ومع صغر سنه كان ذا عقل ثاقب ورأى صائب وأعظم أبطال ذلك الزمان فاستبشرت به السلطنة بإصلاح شأنها وانتشالها هوة الخراب المحقق بها، عاش 29 سنة قضى منها 17 سنة سلطاناً. ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص80 وما بعدها.
 - (3) إبراهيم بن السلطان أحمد الأول: ولد عام 1024هـ، تولى السلطنة سنة 1049هـ، أعدم سنة 1058هـ، بفتوى من المفتي لبعض المماليك عن قتله بحجة أنه كان يبيع الوظائف بالمال فأفتاهم بقتله، فأعدموه. ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص86-88.
 - (4) محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم: ولد عام 1051هـ، تولى السلطنة عام 1058هـ، وفي نهاية حكمه حصل قحط في بلاد الدولة أهلكت نصف سكانها، وكان السلطان يتلاهى في الصيد والملذات فتاروا عليه وخلعوه 1100هـ، توفي سنة 1104هـ.
ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص89 وما بعدها.
 - (5) سليمان الثاني بن السلطان إبراهيم: ولد عام 1052هـ، تولى السلطنة عام 1100هـ، توفي عام 1102هـ، عاش خمسين سنة قضى منها على تخت السلطنة ثلاث سنوات. ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص94، 95.

البلدان الإسلامية، فكانت مقارنة مع الدولة الصفوية من أضعف العلاقات بحيث لا يظهر في المصادر ما يشير إلى حرص الجانبين على تبادل البعثات الدبلوماسية اللهم إلا في وقت متأخر، وتحديدًا في عهد السلطان «شاهجهان» الذي سعى إلى تطوير علاقات دولته بالعثمانيين⁽¹⁾.

ففي عام 1047هـ/1637م بادر إلى إرسال بعثة دبلوماسية إلى السلطان العثماني «مراد الرابع»، وقد ترأس هذه البعثة السيد «ظريف خان» الذي ذهب إلى الجزيرة العربية ومنها إلى آسيا الصغرى؛ ولأن السلطان العثماني في ذلك الوقت كان في العراق فقد اجتمع بالمبعوث المغولي في مدينة الموصل شمال العراق حيث استقبله بحفاوة وتكريم، وعند عودة المبعوث المغولي إلى دلهي، أرسل السلطان العثماني بعثة دبلوماسية مرافقة له برئاسة السيد «أرسلان أغا» لتتوجه إلى البلاط المغولي في دلهي، وقد اجتمع بها شاهجهان في إقليم كشمير وذلك سنة 1050هـ/1640م.

وقد مكث مبعوث الدولة العثمانية في دلهي حوالي ثمانية أشهر، وبعد غياب عشر سنوات كاملة من البعثات الدبلوماسية بين البلدين استقبل السلطان شاهجهان بعثة عثمانية يرأسها الشيخ «سيد محي الدين» في عام 1060هـ/1650م، وقد استقبلت هذه البعثة بكل حفاوة وترحيب، ثم غادرت الهند عائدة إلى آسيا الصغرى سنة 1061هـ/1651م يرافقها مبعوث السلطان «شاهجهان» السيد «حجي أحمد سيد» حاملاً رسالة من إمبراطور المغول إلى السلطان العثماني محمد الرابع.

ثم في شهر كانون الثاني من سنة 1063هـ/1653م أرسل السلطان العثماني مبعوثاً جديداً إلى البلاط المغولي، وهو السيد «ذو الفقار آغا»، الذي

(1) ينظر: البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين في الهند إبان عهد السلطان أورنگ زيب: د/أحمد الجوارنة ص 457، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، 2004م.

وصل إلى ميناء «سورات»⁽¹⁾ وتم استقبله رسمياً هناك، ثم استقبله السلطان «شاهجهان» في دلهي سنة 1064هـ/1654م، وقد بعث السلطان المغولي في نفس العام بعثة دبلوماسية برئاسة السيد «قاسم بيك» رداً على البعثة التي أرسلها السلطان العثماني محمد⁽²⁾.

وخلاصة القول: فإن العلاقة بين الدولتين المغولية والعثمانية في القرن الحادي عشر الهجري كانت هادئة، ولكنها - كما تقدم - لم ترق إلى المأمول من دولتين كبيرتين تسيطران على كثير من البلدان الإسلامية، وتلك العلاقة الطيبة لم تعط للدولة الصفوية في إيران مجالاً للتمدد على حساب أملاك أي دولة من الدولتين اللهم في منطقة قندهار والتي كانت محل التنارع بين الدولة المغولية من جهة، والصفوية من جهة أخرى.

- علاقة دولة المغول في الهند مع أشرف مكة والمدينة⁽³⁾ :

يحسن في البداية ذكر من تولوا حكم مكة والمدينة (أشرف مكة والمدينة) في القرن الحادي عشر الهجري من الذين كانوا معاصرين لسلطين الدولة المغولية في الهند، وهم:

- 1- الشريف حسن بن أبي نبي محمد (992هـ/1584م-1010هـ/1601م).
- 2- الأمير الشريف أبو طالب بن حسن (1010هـ/1601م-1012هـ/1603م).

(1) مدينة هندية تقع شمال خليج كامباي المتصل ببحر العرب، وقد أقام الإنجليز في تلك المدينة أولى مصانعهم وذلك في عام 1021هـ / 1612م وعندما دخلتها التجارة الهولندية والبرتغالية أصبحت واحدة من أهم مراكز التجارة في الهند.

ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص290، 291.

(2) البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين في الهند إبان عهد السلطان أورنگ زيب: د/أحمد الجوارنة ص469-470 بتصرف.

(3) كان الحجاز في ذلك الوقت تابعاً للدولة العثمانية. ينظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ص191.

- 3- الشريف إدريس بن حسن (1012هـ/1603م).
 - 4- الشريف فهد بن حسن (1012هـ/1603م-1019هـ/1611م).
 - 5- الشريف محسن بن حسين (1019هـ/1611م-1038هـ/1628م).
 - 6- الشريف أحمد بن عبد المطلب (1038هـ/1628م-1039هـ/1629م).
 - 7- الشريف مسعود بن إدريس (1039هـ/1629م-1040هـ/1630م).
 - 8- الشريف عبد الله بن حسن (1040هـ/1630م).
 - 9- الشريف محمد بن عبد الله والشريف زيد بن محسن (1040هـ/1630م-1041هـ/1632م).
 - 10- الشريف نامي والشريف عبد العزيز (1041هـ/1632م).
 - 11- الشريف زيد بن محسن (1041هـ/1632م-1077هـ/1666م).
 - 12- الشريف سعد بن زيد (الشريف الأفضل) والشريف أحمد بن زيد (1077هـ-1666م-1082هـ/1672م).
 - 13- الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي (1082هـ/1672م-1101هـ/1689م)⁽¹⁾.
- حافظت الدولة المغولية على إقامة علاقات جيدة مع أشرف مكة والمدينة الذين كانوا يحكمون الحجاز في تلك الفترة، فلم يتراخوا في إرسال العطايا السنوية والمساعدات المالية والهدايا والصدقات لأهالي الحرمين الشريفين، وذلك لعدة أسباب:
- أولاً : الارتباط الديني ومكانة الأراضي الحجازية الدينية.
- ثانياً : كسب المكانة بين نظرائهم من الدول الإسلامية.

(1) ينظر: أشرف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني: إسماعيل حقي جار شلبي، ترجمه عن اللغة التركية: د/خليل على مراد، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1424هـ/2003م.

ثالثاً : لنيل ود شرفاء مكة وتشجيعهم على توفير كافة الإمدادات لتأمين الطرق وتوفير السكن المناسب للحجاج الهنود.

رابعاً : تنشيط التجارة الهندية في الأراضي الحجازية أكبر ملتقى تجارى على مستوى العالم آنذاك⁽¹⁾.

كل هذه العوامل كانت سبباً في تدفق البعثات المغولية على الحرمين الشريفين في عهد سلاطين المغول «جلال الدين أكبر - وجهانكير - وشاهجهان، وأرونك زيب»، وكذلك البعثات التي كانت تقبل من أشرف مكة والمدينة على بلاد الهند، وأكتفي هنا ببعض البعثات التي تمت في عهد السلطان أرونك زيب والذي كان محباً للحرمين الشريفين أكثر من غيره من سلاطين دولة المغول، وربما يرجع ذلك إلى توجهاته الدينية الجديدة التي نهض لتطبيقها في بلاد الهند، والتي جاءت على النقيض من سياسة أسلافه على شعوب الهند وطوائفها الدينية المختلفة⁽²⁾.

وأول هذه البعثات في عهد السلطان أرونك زيب كانت في العام الثاني من حكمه، أي في عام 1069هـ/1659م فقد أرسل مندوبه الوزير «إبراهيم بن مغان» إلى الحرمين الشريفين مع مبلغ قدره 630.000 روبية لإنفاقها على العلماء والمشايخ وأهالي مكة والمدينة، وقد مكث مندوبه في مكة إلى أن توفي هناك في شوال الموافق يونيو عام 1070هـ/1661م، وكذلك بعث السلطان بسفارة أخرى تحت قيادة الحاج أحمد السعيد مع مبلغ كبير وقدره 660.000 روبية مع الهدايا الثمينة في عام 1072هـ/1662م، فأرسل شريف مكة سفارة إلى السلطان أرونك زيب تحت زعامة السيد يحيى في شعبان الموافق مارس عام 1075هـ/1665م، وقد بعث شريف مكة من خلال هذه السفارة رسالة تهنئة

(1) ينظر: السلطان أرونك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 210.

(2) ينظر: البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين: د/أحمد الجوارنة ص459.

وعدداً من الخيول العربية، ومكنسة من الحجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، إلى السلطان أورنك زيب فقبل هذه الهدايا بالرضى والسرور، وأعطى السلطان السفير مكة خلعه وستة آلاف روبية هندية، وقد مكث هذا الوفد السياسي شهوراً في ضيافة الدولة المغولية، ثم أذن السلطان بانصرافها إلى مكة، وأرسل معها الخلعة والسبائك من الذهب والفضة قدرة سبعة آلاف روبية⁽¹⁾.

وظلت البعثات تتردد بين المغول وأشرف مكة والمدينة والتي كان آخرها في القرن الحادي عشر الهجري سنة (1096هـ/1686م) حيث أرسل شريف مكة الأمير «بركات» بعثة دبلوماسية إلى بلاط المغول في الهند، برئاسة الشيخ «أحمد أغا» وحينما وصلت تلك البعثة إلى مدينة دلهي، عقد السلطان لها مقابلة رسمية بحضور كبار رجال الدولة، ومنح مبعوث مكة «الخلعة» وهي ملابس خاصة تصنع عادة في قسم الطراز التابع لقصر السلطان، كما أنعم عليه بالهدايا من ذلك أنه أعطاه خنجراً مزركشاً وحصاناً وثلاثة آلاف روبية هندية⁽²⁾.

ولا شك أن هذه المساعدات السخية من جانب سلاطين المغول في الهند كان لها تأثيرها في توطيد أواصر المحبة بينهم وبين أشرف مكة والمدينة.

العلاقات المغولية الصفوية⁽³⁾ في القرن الحادي عشر الهجري وأثرها في الدعوة:

قبل الحديث عن العلاقات بين الدولة المغولية والدولة الصفوية أذكر حكام الدولة الصفوية الذين عاصروا الدولة المغولية، وهم:

- (1) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص211.
- (2) ينظر: البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين في الهند إبان عهد السلطان أورنك زيب: د/أحمد الجوارنة ص461.
- (3) ينتسب الصفويون إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأربيللي (650-735هـ/1252-1334م) وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية في إيران، =

- 1- الشاه عباس الأول (996-1038هـ/1588-1629م)⁽¹⁾.
- 2- الشاه صفي (1038-1052هـ/1629-1642م)⁽²⁾.
- 3- الشاه عباس الثاني (1052-1077هـ/1642-1666م)⁽³⁾.
- 4- الشاه صفي الثاني (سليمان) (1077-1105هـ/1666-1694م)⁽⁴⁾.

= ومن اسم صفي الدين سميت بالصفوية، ويصل مؤرخو عصره نسبة إلى الإمام موسى الكاظم من ناحية الأب، في حين يشكك بعض المؤرخين في صحة هذا النسب. ينظر: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (907-1148هـ/1501-1736م): د/محمد سهيل طقوش ص135، ط2، بيروت: دار النفائس، 1433هـ/2012م.

(1) ميرزا عباس الأول بن الشاه خدابنده الصفوي (978 - 1038هـ) ولد في «هراة» ونشأ هناك، تولى عرش الدولة الصفوية بعد أن تنازل أبوه عن السلطة عام (996هـ)، وكان من أشهر ملوك الدولة الصفوية، وأعظمهم، توفي في «مازندران» ودفن في «كاشان». ينظر ترجمته في: تاريخ الصفويين وحضارتهم: بديع جمعة، أحمد الخولي 195/1 - 222، د.ط. ت.

(2) الشاه صفي: تولى الحكم بعد وفاه الشاه عباس الأول، حيث لم يكن أحد من أولاده ولا من إخوته صالحاً للحكم، وكان يخشى أن يظهر أحد من أسرته فيفرض نفسه عليه وينتزع منه الحكم، لذلك نكل بهم، فكان قاسي القلب فأنهال عليهم بالسيف، وقتل معظم قواده، فجرت عليه تلك القسوة الكثير من المشكلات، توفي في قاشان أثناء عودته من مشهد في 12 من صفر 1052هـ. ينظر ترجمته في: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (907-1148هـ/1501-1736م): د/محمد سهيل طقوش ص213 وما بعدها.

(3) الشاه عباس الثاني بن سام ميرزا بن صفي ميرزا، تولى حكم إيران عقب وفاة أبيه سنة 1052هـ/1642م، وكان عمره تسعة أعوام فقام بالوصاية عليه الصدر الأعظم ميرزا تقى اعتماد الدولة، واستمر حاكماً لإيران إلى وفاته سنة 1077هـ/1666م. ينظر ترجمته في: المرجع السابق ص221-225.

(4) الشاه صفي الثاني (سليمان): أثارت وفاة الشاه عباس الثاني مسألة خلافته وبخاصة أنه لم يعين خلفاً له، وبعد خلافات طويلة عين الشاه صفي الثاني الحكم، فلم يكن على مستوى المسؤولية، فدبت الخلافات بين الأمراء وتنافسهم للاستئثار بالحكم، توفي في أصفهان في 6 من ذي الحجة 1105هـ، وكان عمره 46 سنة.

وقد اتسمت العلاقة بين الدولتين المغولية في الهند والصفوية في إيران بالحيدة إجمالاً، لكن ذلك لم يحجب الصراع بينهما على قندهار المتنازع عليهما، والواقع أن هذه المدينة كانت مثار نزاع قديم بين الهند وإيران بسبب أهميتها التجارية والمعروف أنها كانت محطة تجارية مهمة على طريق القوافل القادمة من الصين والهند، ومركزاً عسكرياً استراتيجياً عند الحدود الشمالية الغربية للهند، ما دفع ظهير الدين بابر سلطان الهند، وأولاده من بعده، على أن يحرصوا على الاحتفاظ بها⁽¹⁾.

ولقد بدأ القرن الحادي عشر الهجري وقندهار في حوزة الدولة المغولية، وقد حاول الشاه عباس الأول (996-1038هـ/1588-1629م) استردادها من خلال كسب ود السلطان أكبر عن طريق الوسائل الدبلوماسية ولكن رفض الأخير التنازل عن قندهار؛ وقد فقدتها جهانكير في آخر أيامه بسبب الحروب الداخلية بين نورجهان وبين شاهجهان⁽²⁾.

وبعد تولى شاه جهان حكم بلاد الهند قرر استعادة قندهار من أيدي الصفويين فحاول في بادئ الأمر استعادتها سلمياً من أيدي حاكمها «على مردان» نائب الشاه الصفوي، لكن محاولته باءت بالفشل أمام رفض على مردان، عندئذ هاجمها عسكرياً في (1048هـ/1638م) واستطاعت القوات المغولية دخول قندهار والسيطرة عليها، ولم يدم الأمر طويلاً حتى استطاع الشاه «صفي ميرزا» في (1059هـ/1649م) السيطرة عليها بعد حصار دام سبعة وخمسين يوماً، ويعد سيطرة الصفويين على قندهار قام السلطان شاه جهان بإرسال ثلاث حملات لاستعادتها اثنتين منها بقيادة ابنه «أورنك زيب» وواحدة بقيادة ابنه

= ينظر ترجمته في: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (907-1148هـ/1501-1736م):

د/محمد سهيل طقوش ص226، 227.

(1) المرجع السابق ص183.

(2) السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم

الأعظمي الندوي ص215.

«دارا شكوه»، ولكن هذه المحاولات الثلاث باءت بالفشل، وقد أدى فشل هذه المحاولات الثلاث ضد قندهار إلى التخلي نهائياً عن استعادتها⁽¹⁾.

وهكذا كانت مدينة «قندهار» محوراً للصراع بين دولة المغول السنية في الهند، والدولة الصفوية الشيعية في إيران، وخاصة في عهد السلطان «شاهجهان» ولكن العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين لم تنقطع، ففي عام (1018هـ/1609م) أرسل الشاه عباس الأول رسولاً إلى دلهي محملاً بالهدايا وبرسالة تعزية بوفاة السلطان أكبر، وتهنئة بتولي جهانكير الحكم، وكثر بعد ذلك تبادل السفراء بين الدولتين لدرجة أن إحدى البعثات الهندية تألفت من سبعمئة مبعوث يحملون الهدايا وذلك في عام (1026هـ/1617م)⁽²⁾.

واستمرت بعد ذلك العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين وخاصة في عهد السلطان أورنگ زيب الذي اتجه إلى التوسع في علاقات دولته الخارجية مع الدول الإسلامية، فقام بإرسال السفارات إلى الدول الإسلامية المعاصرة كما استقبل السفارات من جانب هذه الدول وذلك كله لتحسين العلاقات الخارجية بالدول الإسلامية⁽³⁾.

وقد استقبلت الدولة المغولية في الهند في 20 شعبان عام 1071هـ/20 إبريل 1661م بعثة دبلوماسية برئاسة «بوداق بيك» من قبل الشاه الصفوي فأمر السلطان «أورنگ زيب» واليه على الملتان «تربيت خان» باستقبال السفارة والترحيب بها، وعندما اقتربت هذه السفارة من العاصمة «دلهي» أرسل السلطان عدداً من الأمراء لاستقبالهم، وعند مثلهم أمام السلطان قدم السفير الصفوي «بوداق بيك» رسالة الشاه الصفوي بجانب التحف والهدايا والتي قدرت بنصف

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 283-285.

(2) ينظر: تاريخ الدولة الصفوية في إيران: د/محمد سهيل طقوش ص 184.

(3) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 216.

مليون روبية، وقد قبل السلطان هذه الهدايا واستقبل السفير الصفوي بترحاب شديد وأنعم عليه وعلى رفقائه بـ«الخلعة» وأعطاهم الهدايا الثمينة، وعين مكاناً مناسباً لإقامتهم.

وقد تناولت الرسالة الصفوية العلاقات الطيبة بين الدولتين حول منطقة قندهار معبراً عن رغبته في تضيق هذا الصدع القائم بين الطرفين، مؤكداً على إرسال الإمدادات العسكرية لمواجهة الثورات الداخلية الهندوسية، طالباً من السلطان قبول اقتراح السفير «بوداق بيك» لإنهاء التوترات السياسية وتحسين العلاقات بين الدولتين، والاقتراح الرئيسي الذي طرحه السفير الصفوي على السلطان كان يتعلق بالإمارتين الجنوبيتين وعدم شن الحرب عليهما، وتحسين العلاقات السياسية معهما، وهذا ما رفضه السلطان أورنگ زيب بشدة مشيراً إلى التحفظات على هذه الإمارات الجنوبية ونشاطاتها العدوانية ضد الدولة المغولية، وقد أذن السلطان أورنگ زيب لهذه البعثة بالرحيل، مؤكداً على إرسال الرد على رسالة الشاه الصفوي فيما بعد.

وفي 11 ربيع الآخر عام 1073هـ الموافق 23 نوفمبر 1662م أرسل السلطان أورنگ زيب رسالة إلى الشاه الصفوي حملها إليه «سيف الله خان» الملقب بـ«تربيت خان»، وقد دارت حول الرسالة التي أرسلها الشاه الصفوي من خلال سفير «بوداق بيك» معبراً على الشكر والتقدير لمساعدة الشاه الصفوي العسكرية، مؤكداً على الاعتماد الكلي على الله، وعدم الحصول على أي مساعدة خارجية موضحاً كافة الأوضاع السياسية الراهنة في الإمارات الجنوبية مؤكداً اتخاذ القرار النهائي بشأن الحرب عليها مهدداً الشاه الصفوي «عباس الثاني» بعدم التدخل السياسي والعسكري في شئون الهند الداخلية.

ولما وصلت هذه السفارة إلى إيران وقرأ الشاه الصفوي الرسالة غضب غضباً شديداً، ولم يحسن استقبال السفارة المغولية بل هدد السفير بإرسال القوات الإيرانية عبر خراسان لشن الهجمات الشاملة على الأراضي المغولية، وقد أرسل

السفير «تربيت خان» بكل ما حدث إلى السلطان أورنگ زيب وقد قدر السلطان حجم هذه المخاطر، فقام بإرسال القوات المغولية بقيادة ابنه «محمد معظم» في مهمة عسكرية ضد الاعتداءات الإيرانية المتوقعة، ولكن لم يمهل القدر الشاه الصفوي فجاء الخبر بوفاته في غرة ربيع الأول عام 1077هـ الموافق 1 سبتمبر 1666م، فأمر السلطان ابنه بعدم التقدم إلى لاهور وقد استمرت العلاقات الدبلوماسية هادئة حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري بسبب انشغال السلطان أورنگ زيب بالحرب مع الإمارات الجنوبية والمراهندا⁽¹⁾.

وعلى هذا فقد كانت العلاقات الخارجية بين الدولة المغولية والصفوية بين شد وجذب كما ظهر من الأحداث التي مرت.

ثانياً: علاقة الدولة الإسلامية في الهند بأبرز الدول غير المسلمة

الحديث عن علاقة دولة المغول الإسلامية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري بالدول غير المسلمة يكاد ينحصر في الدول الأوروبية الثلاث: البرتغال والإنجليز والهولنديين، والتي كانت لها علاقات تجارية في الهند، وبعض العلاقات الدبلوماسية في الظاهر التي كانت في حدود ضيقة للغاية كإرسال مبعوثين⁽²⁾ إلى سلاطين دولة المغول للتهنئة بجلوس السلطان على العرش أو ما شابه ذلك، ولكن لم تكن هناك علاقات مباشرة متبادلة بين هذه الدول ودولة

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 216-219 بتصرف.

(2) من ذلك: تعيين ملك الإنجليز «جيمس الأول» سفيراً له هو «هوكينز» لدى السلطان «جهانكير».

ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 241.

وكذلك إرسال حكومتا هولاندا وفرنسا مندوبين إلى السلطان أورنگ زيب للتهنئة بجلوسه على العرش.

ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 297.

المغول في الهند، ولذلك ساقُتصر على العلاقات التجارية مع هذه الدول الثلاث لبيان أثرها الدعوي من خلال ما يلي:

- العلاقات مع البرتغاليين:

ذاعت شهرة الهند في البلدان الأوروبية؛ حيث تعتبر بلاد الهند من أخصب بقاع العالم وأكثرها ثراءً بالموارد الطبيعية التي تجعل لعاب المحتلين الأوروبيين يسيل بغزارة، ولكن ضخامة المساحة وكثافة السكان والطبيعة الجغرافية حالت دون تحقيق تلك الأطماع على أرض الهند، وكانت ناحية الجنوب؛ حيث المحيط الهندي هي الجهة الوحيدة التي يمكن النفوذ إلى بلاد الهند منها، وما غيره من سبل دونه عقبات ودول وممالك كبيرة وقوية وأيضاً مسلمة، كانت حتماً ستحول دون الوصول إليها. فكان البرتغاليون هم أول من وصل إلى سواحل الهند من ناحية المحيط؛ وذلك خلال حركة الكشف البحرية التي بدأت فور سقوط دولة الإسلام في الأندلس سنة 897هـ.

وبالفعل وصل البحار البرتغالي الشهير (فاسكو دي جاما)⁽¹⁾ إلى سواحل الهند عند إقليم الكوجرات سنة 904هـ، مكتشفاً بذلك طريقاً جديداً للدوران حول العالم، وهو طريق رأس الرجاء الصالح، ورأى البحار البرتغالي من ثروات وخيرات البلاد ما جعله يعود مسرعاً إلى مليكه (إيمانويل الثاني) الملقب بـ«الملاح» لعنايته بالبحار والأساطيل، وأخبره بالكشف الجديد، فاستعد البرتغاليون لغزو بلاد الهند، وحشدوا من أجل ذلك أمهر قادتهم وكل قوتهم البحرية.

كانت دولة الإسلام في الهند وقتها - في القرن العاشر الهجري - تعاني من ويلات الحروب الداخلية بين الممالك الإسلامية هناك، وسلطنة دهلي الإسلامية

(1) فاسكو دي غاما: وُلِدَ في 1469م في البرتغال، يعدّ من أنجح مستكشفي البرتغال، أول من سافر من أوروبا إلى الهند بحراً. قام باكتشاف رأس الرجاء الصالح. وتوفي في 24 ديسمبر 1524م في كاليكوت بالهند.

التي تعتبر أكبر وأقوى الممالك الإسلامية وقتها تعاني من صراع بين أمرائها على الحكم، وأوضاعها الداخلية شديدة الاضطراب، وغيرها من الممالك الإسلامية ليس بأحسن حالاً منها، في حين استطاع الهندوس أن يقيموا لهم عدّة ممالك قوية في جنوبي الهند، ظلت شوكة في خاصرة دولة الإسلام في الهند⁽¹⁾.

استغل البرتغاليون تلك الأوضاع المضطربة داخل بلاد الهند، وهجموا بأسطول كبير على إقليم الكوجرات، وهي شبه جزيرة تقع في غربي بلاد الهند؛ وذلك سنة 906هـ، وكانت مملكة الكوجرات تتبع سلطنة دهلي الإسلامية حتى سنة 840هـ، وبعدها استقلت وأصبحت مملكة خاصة مستقلة يحكمها أمراء أسرة مظفر شاه، وكان أمير الكوجرات وقتها (محمود باشا)، وحاول صد العدوان الغاشم عليه، ولكنه فوجئ بالتفاوت الكبير بين السلاح الهندي والبرتغالي، وبالفعل نجح البرتغاليون في احتلال عدة نقاط في سواحل الكوجرات.

ونظراً للصراعات القديمة بين سلطنة دهلي الإسلامية وسلطنة الكوجرات لم يستطع محمود شاه أن يستتجد بالسلطان إسكندر الثاني سلطان دهلي، ولكنه طلب العون من سلطان المماليك (قنصوه الغوري) وكان بين دولة المماليك⁽²⁾ والممالك

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص423 وما بعدها بتصرف.

(2) دولة المماليك [603-689هـ/1206-1290م]: صرف إيلنتمش مملوك قطب الدين وصهره همه الأول لإخضاع حاكمي البنغال والملتان ثم أخذ في توسيع مملكته، فاعترف خليفة بغداد أول مرة بوجود دولة إسلامية في الهند وأصدر إلى حاكمها إيلنتمش مرسوماً ضمنه الاعتراف به سلطاناً عليها، ثم تولت رضية بنت إيلنتمش على عرش دهلي، وبعد وفاتها وصل عدد من السلاطين الضعفاء، حتى تولى السلطة بلبان صهر إيلنتمش الذي حاول إرساء دعائم السلطنة على أسس ثابتة، وقضى في مدة حكمه الطويلة على الفتن التي قامت في أنحاء السلطنة، ثم تعهد طرق المواصلات عبر الأدغال، توفي بلبان سنة 686هـ فتولى الحكم حفيده كيقباز، ولكنه لم يكن أهلاً له فقتل سنة 689هـ، فكان آخر سلسلة الملوك المماليك. المرجع السابق ص142 وما بعدها.

الإسلامية في غرب الهند روابط وثيقة، وكان الماليك يتخوفون من القوة البحرية الناشئة للبرتغاليين، وكان البرتغاليون قد وضعوا نصب أعينهم السيطرة على الممرات العالمية للتجارة، ومنها موانئ البحر الأحمر والخليج العربي.

وبالفعل أرسل قنصوه الغوري حملة بحرية بقيادة حسين الكردي سنة 914هـ، اصطدمت بالأسطول البرتغالي عند جزيرة «ديو» وأنزلت به هزيمة منكرة دفعت البرتغاليين لحشد كل قواتهم البحرية، واستعانوا بأمرهم قادتهم البحريين، وهو الشيطان الطاغية (ألبوكيرك)، وأعادوا الاصطدام مع أسطول الماليك سنة 915هـ، عند جزيرة «ديو» وفيها تحطم معظم الأسطول المملوكي، وهي الهزيمة التي قضت على القوة البحرية للماليك، وخلت الساحة البحرية للبرتغاليين تماماً في الخليج العربي والمحيط الهندي⁽¹⁾.

أقام البرتغاليون عدة مراكز لهم بالساحل، ووجدوا في الإمارات الهندوسية في جنوبي الهند حليفاً وثيقاً ضد المسلمين، ولما برزت قوة الدولة العثمانية على ساحة الأحداث وورثت دولة الماليك في مصر والشام والحجاز، استتجد ملك الكوجرات (بهادور شاه) بالسلطان العثماني سليمان القانوني وذلك سنة 938هـ، ونجحت الإمدادات العثمانية بقيادة القائد مصطفى الرومي في هزيمة البرتغاليين عدة مرات.

ولكن حدث قتال داخلي بين حاكم الكوجرات (بهادور شاه) وسلطان دولة المغول المسلمة في الهند (همايون بن محمد بابر شاه) سنة 941هـ، هذا القتال دفع بهادور شاه؛ لأن يطلب العون من ألد أعدائه البرتغاليين، فوافقوا على الفور؛ وكان القاتل والمقتول من المسلمين، واشترطوا عليه بناء قلعة حصينة لهم في جزيرة «ديو»، ولكن بعد قليل شعر (بهادور شاه) بفداحة خطئه وتصلح مع (همايون)، ودخل في حرب عنيفة ضد البرتغاليين سنة 943هـ، ولكنه هُزم وقتل، واحتل البرتغاليون جزيرة «ديو» كلها.

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص426، 427 بتصرف.

فلما علم السلطان سليمان القانوني بما جرى، أرسل أسطولاً كبيراً من مصر عبر البحر الأحمر ثم الخليج العربي لطرد البرتغاليين نهائياً من سواحل الهند، وضرب العثمانيون حصاراً قوياً على المراكز البرتغالية، ولكن وقع خلاف شديد بين ملك الكوجرات الجديد (محمود شاه) وبين قائد الحملة العثمانية (سليمان باشا)، بسبب بعض الوشائات التي لعبت بعقل محمود شاه، وأقنعت به أن العثمانيين يخططون للسيطرة على الكوجرات، فقطع محمود شاه المؤمن عن العثمانيين؛ مما أجبرهم على رفع الحصار ومغادرة الهند⁽¹⁾.

وهكذا يتضح أن البرتغاليين ما وجدوا لهم موطئ قدم ببلاد الهند إلا بسبب الصراعات الداخلية بين الممالك الإسلامية، وسوء الظن بين حكام المسلمين، وأيضاً بسبب المساعدات الهندوسية من الجنوب؛ وكلها أمور وعوامل تضافرت من أجل استمرار الاحتلال البرتغالي لسواحل الهند الغربية طيلة قرن من الزمان [906هـ - 1009هـ]، نهبوا خلالها خيرات البلاد وثرواتها باسم التجارة، غير أنهم لم يستطيعوا التوغل في الداخل الهندي؛ لقلة عددهم أمام السكان، وعدم قدرة جيوشهم البرية على منازلتي جيوش المسلمين هناك، فالتفوق البرتغالي كان تفوقاً نوعياً في البحر فقط دون البر، لكنهم تحكموا من خلال مراكزهم البحرية بالتجارة العالمية لثروات الشرق كله؛ بل بلغت قوة البرتغاليين البحرية خلال تلك الفترة مبلغاً كبيراً، جعل السلطان (جلال الدين أكبر) - وهو أحد سلاطين دولة المغول في الهند، وبلغت دولة الإسلام في عهده أقصى اتساعها - جعلته يقدم موقع «دامان» الساحلي للبرتغاليين سنة 983هـ؛ حتى لا يتعرضوا للأسرة الملكية أثناء رحلة أداء فريضة الحج؛ مما يوضح مدى سيطرة البرتغاليين على سواحل المحيط الهندي.

وبدأ القرن الحادي عشر الهجري في الهند ودولة البرتغال «قد مضى على عملها في الهند أكثر من قرن وطدت فيه أقدامها وصار لها مستعمرات»⁽²⁾.

(1) المرجع السابق ص428 بتصرف.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص241.

وكان هدف البرتغاليين الأول نشر الدين النصراني⁽¹⁾ في أرجاء آسيا، ومنافسة المسلمين وانتزاع السيطرة منهم على أسواق التجارة؛ بحيث لم يكن يهمهم كثيراً احتلال الهند، أو بعض موانئها إلا بالقدر الذي يخدم أغراضهم الدينية ومصالحهم التجارية، واعتقدوا أن احتلال بعض موانئ البلاد العامة، وبخاصة تلك التي على ساحل الهند الغربي، من شأنه أن يساعدهم كثيراً على تحقيق ما يهدفون إليه من تطلعات، وقد عجزت ممالك الهند الوقوف في وجه الأساطيل البرتغالية، كما أن حصونها وقلاعها كانت أعجز من أن تصمد لضرب مدفعيتهم، فتم اقتسام صامت للهند، إذ أخذ كل من المسلمين والهندوس البر هندي، وسيطر البرتغاليون على البحر والشواطئ البحرية⁽²⁾.

وكان أكبر وجهانكير قد شمالا البرتغاليين برعايتهما، وفي رحاب هذه الرعاية استقروا في «هوجلى» وعملوا على تنمية ثرواتهم، فبنوا عدداً من المحلات وأقاموا حولها الحصون لحمايتها والدفاع عنها⁽³⁾، وانتهزوا فرصة تسامح ملوك المغول معهم ومع غيرهم من الإنجليز والهولنديين، فأخذوا يحصنون مركزهم في «هوكلى»، ويتدخلون في شئون الحكم⁽⁴⁾، واستولوا على القرى الواقعة على ضفتي نهر (هوغلى) ثم راحوا يتدخلون في شئون السكان ويتحكمون في معاشهم ويستغلون الامتيازات التي منحهم إياها السلاطين

(1) ويدل على ذلك: أن السلطان «أكبر» لما أنشأ دار العبادة خانة في فتحبور سيكرى ليجتمع فيها رجال الفكر في دولته، أرسل دعوة إلى السلطات البرتغالية في «جوا» وطلب منهم أن يرسلوا إلى بلاطه بعض العلماء في الديانة المسيحية ليعرفوه الأسس الفلسفية لديانته، وفرح البرتغاليون بهذه الدعوة وطمعوا في غير مطعم، فقد اشتد بهم الأمل إلى تبشيره ليعتق الديانة المسيحية.

ينظر: تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال ص 91.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 230.

(3) ينظر: تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال ص 138.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 246.

استغلالاً سيئاً، ففرضوا الضرائب الجائرة لإشباع رغباتهم الخاصة واشتغلوا في جمعها، ومارسوا تجارة الرقيق، فكانوا يخطفون الأطفال الأيتام قسراً، من الهنود المسلمين وغير المسلمين على السواء، ويصدرونهم إلى الخارج ليبيعوهم في أسواق الرقيق، فأثاروا الكره في نفوس السكان بتعصّبهم الشديد وبما بذلوا من الجهود لتنصيرهم بالقوة والعنف، ومع ذلك لم يصادفوا نجاحاً.

وقد أثار البرتغاليون السلطنة (ممتاز محل)⁽¹⁾ باعتقالهم جارتين من جواربها ضاق السلطان شاهجهان ذرعاً بتلك التصرفات، مما دفعه إلى النهوض لتأديبهم والحد من نفوذهم أو القضاء عليهم، فعين في عام (1040هـ/1613م) «قاسم خان» حاكماً على البنغال، وعهد إليهم بتخطيط مستعمرة البرتغاليين عند «هوغلي» وتشتيتهم فحاصر حصونهم، لا سيما «هوغلي»، مدة ثلاثة أشهر ثم دخلها ودمرها وسواها بالأرض، وقضى على القوة البرتغالية المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل، وأسر أربعة آلاف منهم حملهم إلى أكرّا، فخيروا بين اعتناق الإسلام أو العمل كعبيد إلى آخر حياتهم، فاعتنق بعضهم الإسلام وفضل بعضهم الآخر البقاء على النصرانية، وقضى بقية حياته عبداً، ولم يتكبد المغول في هذه الحملة سوى ألف قتيل⁽²⁾.

وفي عهد السلطان أورنگ زيب شكل البرتغاليون خطراً كبيراً للمرة الثانية على البنكال، حيث استطاعوا تنشيط عمليات القرصنة في مستوطناتهم.. فضلاً عن ذلك تحالفهم مع العناصر الخارجية مثل «أراكا» وقوم «مكة» القبلية في

(1) بنت آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين بن محمد شريف الطهراني، ولدت ونشأت بأرض الهند، وكانت بديعة الحسن والجمال، تزوج بها شهاب الدين محمد شاهجهان بن جهانكير الكوركاني ولها 20 سنة، فحببت إليه وحظيت عنده، وولدت له أربعة أبناء وثلاث بنات، منهم الملك الكبير أورنگ زيب عالمكير، وكانت وفاتها بمدينة برهانپور سنة 1040هـ، ولها 39 سنة.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 502/5.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 287، 288.

«جاتكام»⁽¹⁾، فأرسل أورنك زيب القائد «ميرجملة» لتأديبهم وردعهم، ولكنه فشل في مهمته، فانتدب عندئذ «شايسته خان» إلى البنغال، فتوجه في (شعبان 1074هـ/آذار 1664م) إلى مقر هؤلاء في «شتاغون» وحاصرها، وما لبث أن استسلمت في (رجب 1076هـ/كانون الثاني 1666م)، فبدل اسمها إلى إسلام آباد⁽²⁾، وأطلق سراح الأسرى المسلمين الذين كانوا في حوزة القراصنة ودمّر قوارب هؤلاء⁽³⁾.

وهكذا كانت علاقة دولة المغول في الهند بالبرتغاليين، علاقة سادها الاستسلام في بداية الأمر نتيجة الأوضاع التي عاشوها في القرن العاشر الهجري، ثم تحولت إلى علاقة سادها التوتر والحروب، تمكن منهم فيها المغول في القرن الحادي عشر الهجري، ولم يتركوا لهم فرصة لتحقيق مآربهم.

- العلاقات مع الإنجليز:

الإنجليز هم أساتذة المكر والدهاء، وأخطر المحتلين لبلاد الإسلام؛ نظراً لاتباعهم سياسات خبيثة ومتنوعة في احتلال البلاد؛ حتى كونوا لهم إمبراطورية ضخمة يضرب بها المثل السائر أنها إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، هذا على الرغم من صغر مساحة إنجلترا، وقلة عدد سكانها، وفقرها الشديد في الموارد الطبيعية، ولكن بالمكر والخداع، والصبر وطول النفس، سيطروا على أجزاء كبيرة من المعمورة؛ وذلك في القرنين الثامن والتاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين الميلادي.

(1) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص225.

(2) مدينة في كشمير على نهر «جلیم» وهي عاصمة باكستان الحديثة، وهي تبعد عن الحدود الهندية بحوالي خمسين كيلو متر.

ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص114، موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي ص54.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص314.

دخل الإنجليز لأول مرة بلاد الهند على هيئة شركات تجارية لنقل البضائع من الهند إلى أوروبا، وقد اجتمع كبار تجار إنجلترا مع محافظ مدينة لندن سنة 1008هـ، وقرروا تأسيس شركة تجارية تتعامل مع حكومة الهند (سلطان المغول) مباشرة دون وساطة البرتغاليين، فأرسلت ملكة إنجلترا وقتها إلى السلطان جلال الدين أكبر تستأذنه في ذلك، فأذن لهم، فتكونت شركة تجمع كبار التجار الإنجليز، هي التي أصبحت بعد فترة من الزمان شركة الهند الشرقية، المشهورة في التاريخ بأنها واجهة الاحتلال الإنجليزي في المنطقة بأسرها.

فتأسست شركة الهند الإنجليزية عام 1009هـ/1600م في عهد السلطان أكبر، وقد بدأ الإنجليز عملهم بغاية الخضوع متخذين أساليب التجار في الحصول على أكبر نجاح في عملهم، وقد فتح «أكبر» بلاطه لهم شأنه في ذلك مع كل الناس، فلما جاء «جهانكير» نظر إليهم هذه النظرة، وكان ملك إنجلترا «جيمس الأول» قد عين سفيراً له في «أكرا»⁽¹⁾ في عام (1017هـ/1608م) هو «وليم كيتير»، وظهر في بلاط جهانكير بوصفه ممثلاً لملك إنجلترا وشركة الهند الشرقية الإنكليزية معاً، وحين قَدَّمَ للسلطان المغولي رسالة من ملكة تتضمن رجاء بتسهيل سبل التجارة الإنكليزية في بلاده، احتفي به السلطان وأذن له بمشاركة مجالس شرايه، وأقام عنده مدة عامين ونصف حتى بلغ البرتغاليون بدسائسهم إلى تنفيره منه، فألقوا إلى السلطان بأن ملك إنجلترا ليس سوى سيد على جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون، ويبدو أن السفير الإنكليزي لم يظفر بطائل خلال المدة المذكورة، واضطر أن يغادر الهند عائداً إلى بلاده، وطلب من السلطان أن يكتب كتاباً لمليكه فرفض؛ لأن مما لا يناسب قدر سلطان مغولي أن يكتب إلى أمير صغير كملك إنجلترا، غير أن الشركة الإنكليزية ما زالت تحيك

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص241.

الدسائس حتى نالت براءة من السلطان سمحت لها بأن تمارس التجارة في «سورات»⁽¹⁾.

وفي عام 1024هـ/1615م استطاع السفير الإنجليزي الجديد «توماس رو» أن ينال ثقة السلطان جهانكير، وكتب يقول: «إنه اختلط مع عساكر السلطان نحو ثلاث سنوات، وكان يحظى بعناية خاصة من السلطان، وظل يسعى عنده لعدم فرض ضرائب على التجارة الإنجليزية حتى فاز بمسعا، فضلاً عن ذلك قد سمح لهم في سنة 1616م بتحصيل ثغر «سورت»⁽²⁾.

ولما جلس السلطان «شاهجهان» على كرسي الدولة المغولية، توسل الإنجليز إليه ليعمل على تنمية التجارة الهندية، وكان شاهجهان يميل إلى ناحية الإنجليز أكثر من أسلافه، فسمح لهم بإنشاء المصانع التجارية في «هكلى» و«قاسم بازار» في البنكال تحت إشراف الحكومة المغولية المحلية التي كان يحكمها آنذاك الأمير شاه شجاع، وذلك في عام 1059-1060هـ/1648-1651م، إلى جانب إعطائهم صلاحيات تجارية واسعة على أن يدفعوا 3000 روبية هندية سنوياً فقط... وفي عام 1076هـ/1666م كافأ السلطان أورنك زيب الإنجليز على مقاومتهم البطولية في معركة «سورت» ضد المراهتا من خلال خفض الرسوم المفروضة على بضائعهم مما أدى إلى توثيق علاقتهم مع السلطان أورنك زيب⁽³⁾.

وهكذا توسع الانكليز في أعمالهم التجارية عندما امتد نفوذهم التجاري إلى بومباي على الساحل الغربي، وهنا عمد شايسته خان حاكم البنغال على فرض رسوم جديدة عليهم في عام (1096هـ/1685م)، فعارضوا هذا الإجراء،

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص276.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص242.

(3) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص229.

وعمدوا إلى مناهضة الدولة، وعندما استعمل السلطان القوة لردعهم اندلعت الحرب، فخرج الانكليز من «صورات» وهاجموا مدينة بومباي، واستولوا على السفن المغولية الراسية فيها، وطلبت الوكالة الهندية من الملك الانكليزي جميس الثاني أن يرسل أسطولاً بحرياً للاستيلاء على شتاغون، ولكن هذه المحاولة فشلت، وتعرضت القوات الانكليزية للهزيمة أمام القوات المغولية، واضطر قائدها المتهور سير جوزيا تشيلد تحت ضغط القتال أن ينسحب من البنغال في عام (1100هـ/1689م)، وانتزع أورانك زيب من الانكليز مصانعهم كلها في «صورات» و«هوغلي» و«ماسو لبيانام»، وحرّمهم من النشاط التجاري في أراضي دولته، على أن ما كانت تجنيه الدولة منهم من رسوم كثيرة أغرت السلطان بالعفو عنهم في السنة التالية، وسمح لمعتدّهم جوب شارنوك أن يقيم في قرية «كالكوتا» بـ«أدنة هوغلي»، وسرعان ما تطورت هذه القرية ونمت في تدرج سريع حتى أضحت عاصمة السلطنة الهندية البريطانية قبل أن ينتقل نائب الملك إلى دلهي الجديدة⁽¹⁾.

وقد أدى هذا إلى أن حدثت المآسي للمسلمين فيما بعد حيث مكن لغير المسلمين وبخاصة الهندوس على حساب المسلمين الحاكمين وتحول المسلمون مع الزمن إلى أقلية مضطهدة، فظهر لنا بجلاء كيف تغلغل الإنجليز إلى داخل الدولة الهندية في القرن الحادي عشر الهجري، مستخدمين الأساليب الخبيثة؛ حيث الخداع والمكر والاحتلال في بداية الأمر ثم استعمال القوة حين تمكنوا وتحكموا في البلاد والعباد⁽²⁾.

- العلاقات مع الهولنديين:

يتلخص الحديث عن العلاقات المغولية الهولندية في العلاقات التجارية ظاهرياً بين البلدين، إذ «مثلت هولاندا في بلاد الهند شركة الهند الهولندية التي

(1) ينظر: تاريخ مغول القنبلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص315.

(2) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص242.

تأسست سنة 1011هـ / 1602م في عهد السلطان أكبر، والذي فتح لهم بلاطه شأنه مع كل الناس»⁽¹⁾، «والواقع أن هولاندا حلت محل البرتغال كدولة رئيسية في المحيط الهندي خلال القرن السابع عشر الميلادي»⁽²⁾.

وكان لهم نشاط تجارى ملحوظ في جزر الهند الشرقية، وفي جاوه وبتافيا على الخصوص، فنجحوا في إقامة بعض مصانع لهم بسورات بالكجرات وعند شواطئ فيايانكر وخولكوندة الشرقية ودعموها بالحصون لتقف في وجه منافسيهم من البرتغاليين الذين كان لهم عند دولة المغول مقام حميد، وظلوا يجدون في نشر أسواقهم بالهند حتى بلغوا بها «أكرا» نفسها»⁽³⁾.

وكان من نتيجة هذه التسهيلات التي حصل عليها الهولنديون في إقامة مصانعهم بالهند أن تطورت العلاقات المغولية الهولندية، والتي كانت تقوم على تحقيق المصالح التجارية المشتركة، الأمر الذي دفع بالهولنديين إلى إرسال بعثة دبلوماسية إلى البلاط المغولي في دلهي، لتؤدي واجبات المشاركة في احتفالات السلطنة المغولية بمناسبة اعتلاء أورنك زيب عرش المغول في الهند⁽⁴⁾.

يتضح من هذا أن الهولنديين كانوا على عكس البرتغاليين والإنجليز في صناعة علاقة مع المغول في الهند، حيث لم يثيروا حفيظة الحكام ولم يحدثوا أمورا تستوجب العداوة والحروب في هذه الفترة مع الدولة المغولية. وقد أحسن الحكام المسلمون الظن بهم في بداية الأمر؛ إذ لم يطلعوا على مخططاتهم سالتى كادوا بها لبلاد المنطقة، شأنهم في ذلك شأن البرتغاليين والإنجليز، وإن اختلفوا في الأسلوب.

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص241.

(2) تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص274.

(3) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 181/1، 182.

(4) ينظر: البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين في الهند إبان عهد السلطان أورنك زيب: د/أحمد الجوارنة ص475.

ثالثاً: أثر السياسة الخارجية في الدعوة الإسلامية

كان للسياسة الخارجية التي انتهجها سلاطين دولة المغول مع الدول المحيطة - الإسلامية كانت أو غير الإسلامية - أثر على الدعوة الإسلامية، سواء بالإيجاب أو بالسلب، ويتجلى ذلك فيما يلي:

أولاً - على المستوى الداخلي: يمكن رصد الآتي:

1- بالنسبة لعلاقة الدولة المغولية بالعثمانية لم ترق العلاقات بين الدولتين المغولية والعثمانية - كما سبق - إلى المستوى المطلوب، إلا ما كان في عهد السلطان «شاه جهان»، فقد حرص على تحسين تلك العلاقة من خلال تبادل الزيارات والهدايا، ولو حدث اجتماع كلمة الدولتين الكبيرتين لأصبح للدعوة شأن آخر غير الذي كان، ولكن هذه العلاقات الفاترة بين الدولتين لم ترجع على الدعوة بشيء يذكر. وبالنسبة للعلاقة بين الدولة المغولية مع أشرف مكة والمدينة فقد تجلت في المظاهر التالية:

- حصول الاحترام المتبادل بين الدولة المغولية وأشراف مكة والمدينة: أظهر الوحدة والانسجام، صحيح أن الحدود والبعد الشاسع بين مكة والمدينة وبلاد الهند، إلا أن ذلك لم يمنع من الإحساس بالوحدة بينهما، ولا شك في أن العلاقات الطيبة تزيد العدو حقناً وغيظاً على المسلمين، خاصة أن هذه الوحدة ناشئة عن علاقة دينية قوية بالارتباط الديني ومكانة الأراضي الحجازية الدينية.

- وأدى ذلك إلى استمرار وفود الحجيج: حيث إن الطرفين تعاونوا على تأمين طريق الحجاج وقضاء حوائجهم، فكان الحجاج يسيرون من بلاد الهند إلى الحجاز في طرق آمنة، وهذا تطبيق لروح الإسلام وقواعده، حيث إن أمن الطريق من الشروط التي اشترطها الفقهاء لوجوب الحج، ومن هنا عمل المغول مع أشرف مكة والمدينة على تأمين طريق

الحجاج وتعبيده، وبالتالي أثمرت هذه الجهود ثمرة عظيمة للدعوة الإسلامية وهي أن يتعاون المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على البر والتقوى، والتفكير المشترك في قضايا المسلمين، وإبداء الحلول المناسبة لها، ومناقشة أحوالهم، وهذا كله تطبيقاً للأمر الإلهي، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁽¹⁾. أضف إلى ذلك مناقشة القضايا الهامة والعظمي التي تهم المسلمين في كل بقاع الأرض، وهذا هو المقصد الأعظم من الحج.

- كما أدى حسن العلاقة بين الطرفين إلى نشاط حركة التجارة: لما تمتاز به من السلع والمنتجات التي كان يحتاج إليها المسلمون في شبه الجزيرة العربية، وخير دليل على ذلك رحلات الكثير من العرب قبل الإسلام وبعده إلى الهند، قبل أن يدخل أهل الهند في الإسلام، ولا شك أنها نشطت وازدادت بعد إسلام الكثير من البلدان الهندية، وقيام الدول الإسلامية فيها، وخاصة في عهد الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري، فقد نشطت التجارة الهندية في الأراضي الحجازية وأصبحت أكبر ملتقى تجارى على مستوى العالم آنذاك.
- وكان من نتيجة حسن العلاقة نشاط الرحلات العلمية التي لم تنقطع بين مكة والمدينة والهند طوال فترة حكم المغول، وقد سجلت المصادر التاريخية الكثير من الرحلات العلمية للعلماء والفقهاء الراحلين بين المشرق وبلاد الهند، من أهمها تلك الرحلات التي سيرها السلطان أورنگ زيب، فقد عرف أنه تميز بشدة حبه للحرمين الشريفين⁽²⁾.

(1) سورة المائدة من الآية 2.

(2) ينظر: البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين: د/أحمد الجوارنة ص459.

ومن العلماء الذين كانت لهم رحلاتهم العلمية بين الهند من ناحية ومكة والمدينة من ناحية فأفادت الدعوة الإسلامية بذلك كثيراً:

- الشيخ العالم المحدث إبراهيم الثوري الغياثوري: أحد علماء الحديث والتصوف، سافر إلى المدينة المنورة، فزار ورحل إلى مكة، فحج وأخذ عن الشيخ علي بن حسام الدين المتقي، ثم رجع إلى الهند⁽¹⁾.
- الشيخ أبو الخير بن أبي سعيد بن المعروف بن عثمان، العمري البهيري: قرأ العلم على أبيه، ثم سافر إلى البلاد وأخذ عن غير واحد من العلماء، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار ورجع إلى الهند، (ت 1059هـ)⁽²⁾.
- الشيخ الإمام حميد الدين بن عبد الله بن إبراهيم الحنفي العمري السندي المهاجر إلى مكة المكرمة، ولد ونشأ ببدريله من بلاد السند، وقرأ العلم ورحل إلى الحرمين مع والده، وأخذ الحديث بها عن الشيخ أبي الحسن الشافعي البكري، والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي، والشيخ نور الدين علي بن العرات الخطيب بالمدينة المنورة، والشيخ نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي المصري، والشيخ محمد سالم الطبلاوي المصري، والشيخ محمد العلقي الشافعي المصري، والشيخ عبد القادر الحنفي المصري، وغيرهم من كبار المشايخ وأخذ عنه خلق كثير (ت 1009هـ)⁽³⁾.
- الشيخ المحدث عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (ت 1052هـ)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 464/5.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 468/5، 469.

(3) المرجع السابق 524/5.

(4) سيأتي الحديث عن الإمام عبد الحق الدهلوي بالتفصيل في الباب الثالث من الرسالة.

ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 553/5-557، سبحة المرجان في آثار هندستان «صفحات مجهولة من تاريخ الثقافة العربية في الهند»

● الشيخ العالم الصالح عبد الوهاب بن فتح الله، البروجي الكجراتي، سافر إلى مكة المكرمة، ولأزم الشيخ علي المتقي، وأخذ الحديث عنه، وعن الشيخ محمد بن أفلح اليمني وعن غيره من العلماء، وأخذ عنه الشيخ عبد الحق بن سيف الدهلوي، وخلق آخرون⁽¹⁾.

● الشيخ الصالح محمد مير بن القاضي سائنده بن القاضي قلندر العمري السيوستاني اللاهوري، سافر للعلم وقرأ على المفتي عبد السلام اللاهوري وعلى غيره من العلماء (ت 1045هـ)⁽²⁾.

وغير هؤلاء الكثير من العلماء الذين ارتحلوا لطلب العلم، فكانوا شعاع نور لمن تعلموا على أيديهم، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

2- ومما يتصل بعلاقة الدولة المغولية بالصفويين فقد كانت الأمور تسير في اتجاهين متضادين:

الأول: كان سلبياً على الدعوة الإسلامية بما صنعه السلطان جلال الدين محمد في علو شأن التدخل الصفوي في الدولة آنذاك وطمعهم في ضم أجزاء منها إليهم.

الثاني: الذي وضع حدوداً للصفويين بما صنعه السلطان أورنجزيب مما أدى إلى استقرار الأوضاع وفتح الباب للدخول في الإسلام ولا سيما في إمارتي بيجابور وكولكنده، اللتين كانتا تنيران القلاقل أمنياً وفكرياً قبل ذلك.

= وتجربة رائدة في الموازنات الشعرية والمفارقات البلاغية بين الأدبين العربي والسنسكريتي: غلام على آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص 115، 116، تقديم وتحقيق: محمد سعيد الطريحي، ط1، بيروت: الرافدين للنشر والتوزيع، 2015م

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/583.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/643.

ثانياً: على المستوى الخارجي:

أما على المستوى الخارجي فإن علاقة الدولة المغولية بالدول الأجنبية غير المسلمة أثمرت على المستوى الدعوي ما يلي:

1- لم يدم البرتغاليون بالهند طويلاً إذ فطن المسلمون في القرن الحادي عشر الهجري لمآربهم الشيطانية فقامت الحروب بين الطرفين، وانتهت بدحرهم وطردهم من بلاد المسلمين على النحو الذي سبق ذكره، فاستراحت البلاد من خطر كان يهدد الهند والجزيرة العربية معاً، ولا شك أن للعثمانيين يداً بيضاء فيما حدث للقوم هناك.

2- أما الإنجليز فإنهم بطريقة اختلفت عن طريقة البرتغاليين - كما تقدم آنفاً، إذ اعتمدوا الخداع والمداراة حيث دخلوا البلاد عن طريق التجارة، فانطوى الأمر على المسلمين هناك، وظل أمرهم يستقل حتى وصل إلى مداه في هذه الفترة، في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، والقرن الذي يليه، لا سيما في زمن السلاطين الضعاف، الذين تولوا الأمور بعد السلطان أورنگ زيب، فقد وجد الإنجليز فرصتهم وبدأوا يظهرن على حقيقتهم التي اتضحت تماماً في القرون التالية، وكان الاحتلال العسكري الذي مكنوا به لغير المسلمين ونهبوا خيرات البلاد، وتحول المسلمون بعد ذلك من حكام إلى محكومين، ومن أكثرية إلى أقلية، مما أثر تأثيراً سلبياً على مسيرة الدعوة الإسلامية منذ ذلك الحين إلى الآن.

هذه أهم الآثار على الدعوة الإسلامية بالمستويين الداخلي والخارجي في دولة المغول المسلمة بشبه القارة الهندية.

* * *

الفصل الثاني

الأحوال الاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

◆ المبحث الأول : التصنيف السكاني للمجتمع الهندي في القرن الحادي

عشر الهجري وتأثيره في الدعوة.

◆ المبحث الثاني : المظاهر الاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر

الهجري وتأثيرها في الدعوة.

◆ المبحث الثالث : أثر الحالة الاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر

الهجري على الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول

التصنيف السكاني للمجتمع الهندي في القرن الحادي عشر الهجري وتأثيره في الدعوة

المجتمع الهندي من أعجب المجتمعات، فشبه القارة الهندية بلاد العجائب والغرائب، وليس هذا في مجال الأديان فحسب، ولكن في التصنيف السكاني أيضاً، فقد تشكل المجتمع الهندي من عدد من الأجناس والديانات، ويتضح في هذا المبحث التصنيف السكاني للمجتمع الهندي والتركيب السكانية، وأبرز الديانات التي كانت تعيش بداخله، كما سيتضح كيف دخلت عناصر جديدة بدخول المغول الهند، وكان منهم الحكام والقادة، بالإضافة إلى سكان الهند الأصليين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ويضاف إلى ذلك وجود بعض الجاليات النصرانية على السواحل الهندية والتي كانت تمارس التجارة والتبشير في آن واحد، وهذه العناصر كان لها مكانة ودور شغلته في المجتمع.

أولاً: التصنيف على أساس العنصر البشري للمجتمع الهندي

1- الهنود⁽¹⁾:

من الثابت تاريخياً أن الصلة بين العرب والهنود كانت قديمة بسبب التجارة، فلما ظهر الإسلام بين العرب وانتشر حمل هؤلاء التجار دينهم الجديد إلى بلاد الهند، وقد وجد الإسلام في الهند أرضاً خصبة سهلة، وأصبح في كل ميناء أو مدينة، اتصل بها المسلمون جماعة اعتنقوا الإسلام، وأقاموا المساجد، وباشروا

(1) تعرضت الهند في تاريخها الطويل لغزوات كثيرة، جلبت لها هجرات من شعوب مختلفة، واندمجت مع السكان الأصليين، وانقسم سكان الهند الذين يعرفون بالهندوس إلى أربعة عناصر: العنصر الأسود، والعنصر الأصفر، والعنصر التوراني، والعنصر الآري. ينظر: حضارات الهند: غوستاف لوبون ص105، تعريب: عادل زعيتر، ط1، القاهرة: دار العالم العربي، 2009م.

شعائهم في حرية تامة؛ لما كان للمسلمين والعرب في ذلك الوقت من منزلة عند الحكام باعتبارهم أكبر العوامل في رواج التجارة الهندية، التي كانت تدر على هؤلاء الحكام الدخل الوفير.

وكانت سواحل السند ومليار الواقعة على بحر العرب من أسعد هذه البلاد بالدين الجديد هي جزيرة سيلان أو جزيرة الياقوت⁽¹⁾. وقد بدأ الإسلام ينتشر أكثر بين الهنود عقب الفتوحات الغزنوية على يد السلطان محمود الغزنوي - بعد محمد بن القاسم - «الذي وضع بجهوده النادرة وجهاده المخلص أساس دولة إسلامية عظيمة في الهند ظلت نحواً من ثمانية قرون تقوى وتزدهر»⁽²⁾.

وحاولت جاهدة الدول المتتابعة أن تنتشر الإسلام إلى أن جاءت الدولة المغولية، فقامت بهذا العبء، وخاصة في عهد السلطان «أورنك زيب» الذي كان متمسكاً بدينه، مخلصاً له، ساعياً إلى نشره بين الهنود، فأصبحت الهند دولة واحدة قوية، تضم الهنود المسلمين والهنود الآخرين غير المسلمين.

2- المغول:

قدم المغول إلى بلاد الهند قبل تأسيس الدولة المغولية في القرن العاشر الهجري مع تيمور لنك⁽³⁾ في أوائل القرن التاسع الهجري «وقد مكث «تيمور» في دلهي خمسة عشر يوماً، كانت في الواقع أقصى أيام عرفتها، ثم تركها بعد هذه الأيام تعاني آلام القتل والتدمير والفقر، ولم يترك إلا حامية صغيرة لحراسة

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 60، 61.

(2) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 96.

(3) تيمورلنك أو تيمور الأعرج، حفيد جنكيزخان، اعتلى العرش سنة 1370هـ، اتخذ سمرقند عاصمة له وأخضع إيران وأسيا من دلهي إلى بغداد، اجتاح العراق وسوريه وغزا دمشق وحلب وغزا روسيا والهند، وانتصر على السلطان العثماني بايزيد في أنقره سنة 1402هـ.

ينظر ترجمته في: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين 185/1.

الأشراف والسادات⁽¹⁾، وعند تأسيس الدولة المغولية في الهند على يد ظهير الدين محمد بابر⁽²⁾.

قدم المغول - وهم في توجهاتهم واتجاهاتهم وسلوكهم مختلفون تماماً عن المغول السابقين - وأنصارهم وأعوانهم من خراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الأفغان عموماً إلى بلاد الهند، واستوطنوا بها، ومنهم الولاة ورجال القصر وكبار موظفي الدولة والجند والشرطة، وكان من الصعب اندماجهم مع الهنود، لاختلاف الدين واللغة والجنس وظلوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم - يمثلون عنصراً متميزاً - معروفاً بين سكان الدولة من المسلمين، وكان منهم الحكام والمسؤولون. وأدى انتشار الإسلام بين الهندوس، ومحاولة أكبر دمج العنصر الأفغاني بالعنصر الهندوسي إلى حدوث تزاوج بين الفريقين ونشأة عنصر جديد يجمع مميزات العنصرين، ويقوى الصلة بينهما⁽³⁾.

3- العرب:

وجد العنصر العربي في الهند قبل الإسلام؛ لأن «العلاقات التجارية كانت قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند منذ آلاف السنين قبل الإسلام وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وغيرها»⁽⁴⁾.

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص146.

(2) كان بابر يعتز بتركبته، ومع هذا فقد نسبت دولته في الهند إلى المغول؛ إذ اعتاد الهنود منذ غزو جنكيز خان للهند، على إطلاق اسم المغول على كل موجه بشرية تقد إليهم من بلاد ما وراء النهر. ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص150.

(3) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص386.

(4) ينظر: حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: د/جميل عبد الله محمد المصري 323/1.

وبعد انتشار الإسلام في جزيرة العرب بدأ المسلمون يهتمون بالهند، فوجهوا إليها حملاتهم لنشر الإسلام بها، لكن هذه الحملات لم تكن منظمة إلا في عهد الدولة الأموية، عندما وجه الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم إلى الهند، فاشتبك مع داهر - ملك السند - في معركة عنيفة - كما تقدم في التمهيد -، انتهت بهزيمة داهر، واستولى المسلمون على «ديبل» وأقام ابن القاسم بها مسجداً، وترك بها حامية تتكون من أربعة آلاف جندي، وأصبحت «ديبل» أول مدينة عربية في الهند⁽¹⁾.

وبعد أن تم للمسلمين فتح الهند على مدى فترات الدول المتعاقبة، استوطن كثير من العرب الفاتحين، الذين اختلطوا بالسكان الأصليين من أهل تلك البلاد، ومع أن نمط الحياة العربية يختلف عن نمط حياة المجتمع الهندي من حيث الفكر والثقافة والعادات والتقاليد إلا أن العرب استطاعوا أن يندمجوا مع هذا المجتمع بكافة أعراقه وأطيافه، وقد ساعد العرب على الاندماج مع شعوب تلك البلاد العلاقات المتنوعة، فعلى الساحل الغربي للهند وصل عدد كبير من العرب والإيرانيين، واستقروا بعدما تزوجوا بنساء محليات، وفي «مالابار» و«بهاتكل» ونواحيها نشأت عدة قرى كبيرة للعرب، كما وصل التجار العرب إلى «عجرات» من مصر، واليمن، والحجاز في القرن الثامن الميلادي⁽²⁾.

والقبائل العربية التي عاشت في الهند هي القبائل التي شاركت في فتح الهند، فالأجداد الفاتحون قد سكنوا هذه البلاد منذ الفتح الإسلامي وأقاموا بها ودفنوا في ترابها؛ ويدل على ذلك «وجود جالية إسلامية تعرف باسم «مايلا» أصلها من العرب الذين وصلوا إلى الهند في القرن الثالث والرابع الهجريين، وقد سكنت هذه الجالية على سواحل «مالابار» الشمالية، وقد ساهمت هذه الجالية في تفعيل

(1) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص13 بتصرف.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 32/5.

النشاطات التجارية الخارجية، حيث كانت تصدر الأسماك المجففة والحديد والجواهر والأحجار الكريمة»⁽¹⁾.

بالإضافة إلى العديد من الأسر العربية التي هاجرت بعد ذلك تلك البلاد واتخذوها موطناً لهم، وقد عملت تلك القبائل العربية التي استوطنت تلك البلاد على نشر الدعوة الإسلامية فيها، فبنوا المراكز الدعوية من المساجد والمدارس وغيرها، وانطلق الدعاة يعلمون الناس شعائر الدين الإسلامي وتعاليمه، ويبصرونهم بأمور دينهم، حتى تحولت شعوب تلك المنطقة إلى الإسلام وانصهر المجتمع كله في بوتقة واحدة، وبهذا يكون الهنود والمغول والعرب قد شكلوا الأكثرية المسلمة الوافدة إلى بلاد الهند في القرن الحادي عشر الهجري، وكانت تجمع بينهم روح المحبة والإخاء.

ثانياً: التصنيف على أساس الدين للمجتمع الهندي

يرجع اهتمام المسلمين ببلاد الهند كما تقدم إلى عهد الخلفاء الراشدين، ثم الخلافتين الأموية والعباسية، إلى أن دخلها السلطان محمود الغزنوي، فغزاها سبع عشرة غزوة، كان من أثرها دخول الكثير من أهل الهند في الإسلام، «وقامت الدول الإسلامية في الهند ونشرت الإسلام في الهند علي المذهب السني، كما قدم علماء السنة إلي الهند من خراسان وبلاد ما وراء النهر، ونشروا الإسلام بين الهنود علي هذا الأساس»⁽²⁾.

وبالطبع وجد بالهند أقواماً آخرين دانوا بغير دين الإسلام واحتفظوا بدينهم في ظل دولة المغول كما وجد من بين المسلمين أقوام آخرون تمذهبوا بمذاهب أخرى غير مذهب أهل السنة. وهذه نبذة سريعة عن سكان الهند ودياناتهم ومذاهبهم في زمن الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري:

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص413.

(2) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص390.

1- المسلمون:

انقسم المسلمون بالهند في زمن الدولة المغولية إلى فريقين: أهل السنة، والشيعية. وبيان ذلك كما يلي:

أ- أهل السنة:

كان كثير من المسلمين في الهند يدينون بالمذهب السني، ومع أن عامة المسلمين في تلك البلاد كانوا من أجناس مختلفة من الهنود والمغول والعرب - كما تقدم، إلا أنهم كانوا متحدين، تجمعهم وحدة الإسلام، ووحدة الانتماء، وتسود بينهم روح الترابط والأخوة والمساواة، وكذلك روح التسامح الديني والمذهبي. ولقد كان المسلمون في الهند متمسكين بدينهم، مظهرين لشعائره، ومما ورد في ذلك عن سلاطين دولة المغول في الهند:

● أن السلطان شاه جهان عندما قام بوضع حجر الأساس للمسجد الجامع سنة 1060هـ أعلن في الناس أن الذي يتقدم لوضع الحجر له، هو الذي لم تفتنه التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة ولا صلاة التهجد، فسكت الناس جميعاً، ثم تقدم السلطان وقال: الحمد لله، فإني لم يفتني من ذلك شيء طول العمر⁽¹⁾.

● ورد عن السلطان عالمكير أنه يصلى الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد، ويقيم السنن والنوافل كلها، ويصلى صلاة الجمعة في الجامع الكبير، ولو كان غائباً عن البلدة لأمر من الأمور يأتيها يوم الخميس، ويصلى صلاة الجمعة ثم يذهب حيث شاء، وكان يصوم في رمضان في شدة الحر ويحيي الليالي بالتراويح ويعتكف في العشر الأخيرة، وكان يصلى يوم الإثنين والخميس والجمعة من كل أسبوع من أسابيع السنة، ويصوم في أيام ورد عن النبي ﷺ أنه كان يصوم فيها، وكان

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص223-224.

يخرج الزكاة من أمواله قبل أن يجلس على سرير الملك وبعده مما خص نفسه من عدة قرى⁽¹⁾.

أما عن الأخلاقيات والتي كانت تسود بين المسلمين في الهند من الرحمة والتكافل فيما بينهم، وخاصة في وقت الشدائد فتجلت مظاهرها:

- في المجاعة التي تعرضت لها بلاد الهند وعلى مدى عامين (1039-1040هـ)، وذلك بسبب موجة الجفاف نتيجة انحباس الأمطار الموسمية التي تعتمد عليها بلاد الهند في السقاية والري، واستفحلت بانتشار الأوبئة الفتاكة بين السكان، وراح ضحيتها عدد كبير من الهنود، وقد بذل السلطان شاه جهان جهوداً حثيثة لإغاثة الناس، والتخفيف عنهم مثل إمدادهم بالكثير من المؤن والأرزاق والأموال، وإقامة المطاعم المجانية لهم، وإعفائهم من كثير من الضرائب المفروضة عليهم⁽²⁾.
- هذا عن التكافل وإظهار الرحمة والعطف على الفقراء في وقت الشدائد، وأما في الأوقات العادية التي يعيشها الناس كل يوم، فقد كان للعلماء دور عظيم في إظهار هذا النوع من الأخلاق.
- ورد أن الشيخ آدم البنوري⁽³⁾ وهو من علماء السنة كان يأكل من مطبخه كل يوم ألف رجل⁽⁴⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 738/6.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 281، 282.

(3) آدم بن إسماعيل بن بهوه بن يوسف بن يعقوب بن الحسين الحسني الكاظمي البنوري، أحد كبار المشايخ النقشبندية، ولد ونشأ بقرية بَنُور من أعمال سرهند، وأخذ الطريقة عن الحاج خضر الروغاني أحد أصحاب الشيخ أحمد بن عبد الأحد العمري السرهندي بمدينة ملتان، ثم قدم سرهند، ولزم الشيخ أحمد السرهندي، وكانت طريقته اتباع الشريعة المحمدية، لا ينحرف عنها، أخذ عنه خلق كثير، من كتبه: خلافة المعارف، ونكات الأسرار، مات لسبع بقين من شوال سنة 1053هـ بالمدينة المنورة.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 461/5.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 461/5.

• وورد أن الأمير فريد الدين مرتضى خان⁽¹⁾، كان يكفل اليتامى ويربهم كتربية الآباء للأبناء، ويستخدم المعلمين لهم، وكانوا يلعبون في حجره فيفرح بهم، وكان يأكل على سفرته ألف وخمسمائة نفس⁽²⁾. وربما ذكرت هذه الأعداد بقصد المبالغة في الاحتفاء بالكرم الذي عرف به ذووه من أهل الهند في هذه الفترة الزمنية.

هذه بعض النماذج عن الأخلاقيات التي انتشرت بين المسلمين في الهند والتي أعطى أصحابها قدوة لغيرهم، لتقديم المعونة في وقت الشدة، وبذل المال في وقت الأزمة ليعيش المجتمع المسلم تحت ظلال هذا الدين أمن وسلام.

ب- الشيعة⁽³⁾ :

بجانب أهل السنة عاش الشيعة الاثني عشرية، وقد وجدوا في الهند قبل القرن الحادي عشر الهجري، وكانت بداية التشيع في الهند في عهد بني العباس زمن الخليفة «المنصور»، وقد استطاعوا في القرن الرابع الهجري إقامة دولة

(1) الأمير الكبير: مرتضى بن أحمد بن أبي بكر بن جلال الحسني البخاري، المعروف بنواب فريد الدين مرتضى خان، لم يكن له نظير في زمانه في السياسة والتدبير، أدرك أكبر ابن همايون التيموري في صغر سنه فتقرب إليه، وتدرج إلى الإمارة حتى نال المير بخشيكري سنة أربعين من جلوس السلطان «أكبر» ثم لما ولي المملكة ولده جهانكير بن أكبر شاه أضاف في منصبه ولقبه بصاحب السيف والقلم، ثم لقبه بمرتضى خان وولاه على كجرات، فاستقل بها أربع سنين، ثم ولي على بنجاب فأقام بها مدة حياته، وكان أجود الناس وأنفعهم خيراً وأثبتهم رأياً، جمع الشجاعة والسخاء بما لا يساويه فيه أحد، وكان يقدم الرواتب بحضرته، ولا يضيق ذرعاً بضوءاء الناس وصياحهم.. توفي سنة 1025هـ، ودفن بدهلي عند مقبرة أسلافه.

ينظر ترجمته في: المرجع السابق 647/5، 648.

(2) المرجع السابق 648/5.

(3) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، وقالوا إن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، =

لهم في (السند) سميت بدولة الإسماعيلية⁽¹⁾، وقد انتهت هذه الدولة على يد السلطان محمود الغزنوي سنة 401هـ⁽²⁾.

واستمر الحال بالهند حتى تولى المغول سدة الحكم فيها على يد (بابر التيموري) ولم يطل العمر (ببابر) ليتمكن من تقوية ملكه الذي أقامه في بلاد الهند، ولم يكن خليفته (همايون) من القوة والذكاء بحيث يستطيع أن ينجز ما لم يستطع أبوه إنجازَه⁽³⁾.

وانتهى به الحال إلى أن يعيش بعيداً عن ملكه حوال خمسة عشر عاماً، وكانت إيران هي الملجأ الذي وجد به الأمان، وساعدته إيران ليسترد عرشه، وكان في الجيش الذي ساعده عدد كبير من القادة والجنود الشيعة، وقد دخل هؤلاء الهند، واستقر بها عدد كبير منهم، وكان (الهمايون) مستشار إيراني اسمه (بيرم خان) وكان شديد التشيع وشديد التأثير في توجيه همايون. وقد كان لرجال

= أو ببقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله، ولا تفويضه إلى العامة. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتتصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولاً، وفعلاً، إلا في حال النقية، ويخالفهم الزيدية، وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية. وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني 1/146.

(1) الإسماعيلية: يثبتون الإمامة لإسماعيل بن جعفر. وهو ابن جعفر الصادق الأكبر، وأشهر ألقابهم: الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلاً. ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم: فبالعراق يسمون: الباطنية، والقرامطة، والمزدكية. وبخراسان: التعليمية، والملحدة. ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني 1/191 وما بعدها.

(2) المرجع السابق 92/1.

(3) ينظر: تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال ص45.

البلاط الشيعيين تأثير كبير على ولي العهد (جلال الدين أكبر) وخاصة مستشاره (بيرم خان) فغرس (بيرم خان) في نفس ولي العهد الذي أصبح سلطاناً بعد ذلك بعام واحد المبادئ الشيعية التي كانت شديدة الأثر على تفكير (أكبر) وعلاقته بالإسلام⁽¹⁾. واستمر الوجود الشيعي في عهد خليفته جهانكير⁽²⁾، إلى أن تولى زمام السلطة في الدولة المغولية السلطان عالمكير الذي أخذ على عاتقه محاربة الدويلات الشيعية التي استقلت، والرجوع بها إلى الدولة المغولية، فبدأ ببجابور، وبعد سلسلة من المحاولات غير الناجحة في الأعوام (1086هـ—، 1090، 1091، 1095هـ)، وبعد حصار دام خمسة عشر شهراً اضطر إسكندر شاه إلى الاستسلام في (ذي القعدة 1096هـ)، ودخل السلطان أورنك زيب العاصمة في أوائل 1097هـ، وأزال النقوش الهندية التي كانت تزين القصر الملكي، وأضحت «بجابور» من أملاك دولة المغول المسلمين⁽³⁾.

أما «كولكنده» فقد كانت أشد عداوة من (بجابور)، كان ملوكها من الشيعة، وقد سبق أن أجبرهم السلطان شاهجهان على التعهد بدفع الخراج، وعلى ذكر اسمه في الخطبة بدلاً من اسم شاه إيران، ولكن ملوكها لم يخلصوا في تعهدهم في دفع الخراج بل أمدوا أعداء الدولة بالسلح، وفي عهد السلطان عالمكير عزم على تصفية الحساب مع تلك الإمارة الشيعية وبعد حصار دام ثمانية أشهر تمكن من الاستيلاء عليها في سنة 1098هـ/1687م، وأصبحت هي الأخرى ضمن أملاك الدولة المغولية⁽⁴⁾.

(1) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: د/أحمد شلبي 297/8، 298، ط12، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1987م.

(2) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص91.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص308، 309.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص278، 279.

2- غير المسلمين:

عاش غير المسلمين إلى جانب المسلمين في الهند في القرن الحادي عشر الهجري يمارسون حقوقهم التي خولتها لهم الشريعة متى كانوا على العهد والتزموا بشروطه، وانحصروا فيما يلي:

1- الوثنيون:

كان هناك السكان الأصليين للهند والذين ظلوا على ديانتهم سواء كانوا هندوسيين أو بوذيين، أو جينيين، وهؤلاء جميعاً كانوا في نظر الدولة المغولية رعايا وثنيين كانت تفرض عليهم الجزية إلى أن جاء السلطان «أكبر» في القرن العاشر الهجري وأسقطها عنهم⁽¹⁾، وفرح بذلك الهندوس واطمأنوا، إذ كانوا

(1) اتفق الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من اليهود والنصارى والمجوس. ينظر: الإجماع: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 319هـ) ص62، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، بيروت: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1425هـ/2004م.

واختلفوا في غير اليهود والنصارى والمجوس هل تقبل من هم أم لا؟ على ثلاثة أقوال: القول الأول: إن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس ومشركي العجم خاصة دون مشركي العرب، وهو قول الحنفية ورواية عن الإمام أحمد. ينظر: المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت 483هـ) 7/10، بيروت: دار المعرفة، 1414هـ/993م، المغني: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ) 212/9، القاهرة: مكتبة القاهرة، د.ت.

القول الثاني: إن الجزية تؤخذ من جميع الكفار دون استثناء وهو قول المالكية. ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب المالكي (ت 954هـ) 381/3، ك3، بيروت: دار الفكر، 1412هـ/1992م.

ينظرون إليها على أنها شعار الذل والقهر، واستمر إلغاؤها بعد «أكبر» أكثر من مائة سنة في عهدي «جهانكير» و«شاهجهان» ومدة كبيرة في عهد «عالمكير»، ثم اتجه السلطان «عالمكير» في سنة 1082هـ/1672م، إلى إعادة فرضها مرة أخرى، وقد كان لفرضها من جديد وقع سيئ في نفوس الهندوس، فثاروا وتجمعوا أمام القلعة حتى سدوا الطريق بينها وبين المسجد الجامع المقابل لها، ولم يستطع السلطان الخروج لصلاة الجماعة، ولم تجد الوسائل السلمية لصرفهم، وحينئذ أمر السلطان بأن تتولى الفيلة تفريقهم وتشتيتهم، وأصر على أخذها منهم لأنه ألغى بعض الضرائب التي لم تفرضها الشريعة وأعفى الهندوس وغيرهم منها⁽¹⁾.

وهاك تفصيل لديانات الهند غير المسلمين، والتي تمثلت في:

أ- الهندوسية⁽²⁾:

هي ديانة الجمهرة العظمى في الهند، وقد قامت هذه الديانة على أنقاض

= القول الثالث: إن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس فقط دون غيرهم، وبهذا قال الشافعية وهو الصحيح عند الحنابلة.

ينظر: الحاوي الكبير: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ) 285/14، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1999م، المغني: ابن قدامة 212/9.

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص271 بتصرف.

(2) اشتقت كلمة الهندوسية من كلمة سند؛ لأن أهل فارس واليونان كانوا يتجولون على سواحل سند، ويغيرون حرف السين إلى الهاء، فقالوا: الهند، وكلمة (استهان) معناها (المقر) كانت ثقيلة عليهم فجعلوها (استان) بحذف الهاء، فقالوا: (هندستان)، أي: مقر أهل الهند، وقالوا للسكان (هندو) وإليها نسب دينهم، فقالوا: الهندوسية أو الهندوكية، وقالوا لأهل الدين: هندوكي أو هندوسي.

ينظر: فصول في أديان الهند: د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص17.

الويدية⁽¹⁾، وتشربت أفكارها، وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبة الجزيرة قبل دخول الآريين⁽²⁾. ومن أجل هذا عدها الباحثون امتداداً للودية وتطوراً لها، وتسمى الهندوسية أو الهندوكية؛ إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق عليها (البرهمية) ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما وهو عندهم القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين، ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة، لا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم.

وقد عاش الهندوس في الهند في القرن الحادي عشر الهجري حياة هادئة مع المسلمين، وكان منهم القادة في الجيش، وكذلك كان لهم مساهمات في بناء الدولة مما دل على أن الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري استطاعت أن تمزج الجميع في بوتقة واحدة لصالح البلاد والعباد.

-
- (1) ويذا أو فيدا: كلمة سنسكريتية معناها: الحكمة والمعرفة؛ ولذلك يطلق على واضعيها كلمة (الريشيون) أو الحكماء أو العارفون. (ينظر: أديان الهند الكبرى: د/أحمد شلبي ص34)، ويعتبر «الفيدا» من أهم الكتب المقدسة لدى الهندوس، ونال شهرة كبيرة من الجماهير، و«الفيدا» ليس اسم كتاب مؤلف على الأبواب والفصول، وإنما هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهاد والنسك في القرون المظلمة قبل الميلاد. ينظر: فصول في أديان الهند: د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص20، 21.
- (2) الأريا: في اللغة السنسكريتية تطلق على النبلاء، وهم شعب ذو جلود بيض، وشعور سود، يتكلمون اللغة السنسكريتية، ثم استعملت في قوم مشكوك في أصلهم، فيرى بعض الباحثين أنهم قوم نشأوا ببلاد (الدانوب) بأوروبا، ثم هاجروا إلى آسيا عندما ضاقت بهم الأرض. المرجع السابق ص8.

ب- السيخية⁽¹⁾؛

ديانة مستحدثة بالهند، وهي مزيج من الإسلام والهندوسية، بدأت طائفة السيخ في عهد أئمتها الأوائل، بداية سلمية لا تدخل لها السياسة، ولكن موقفها المسالم تغير، بتولية «أرجن» زعامة السيخ⁽²⁾؛ حيث قام بمساعدة حركة التمرد التي قام بها الأمير (خسرو بن جهانكير) وبسبب ذلك أمر السلطان جهانكير بالقبض عليه وإيداعه في السجن الذي مات فيه في عام 1014هـ / 1606م. وكان لموته نقطة تحول في تاريخ السيخ وفي تاريخ البنجاب، إذ كان موته صدمة شديدة أصابت السيخ وظنت السلطات المغولية أن هذا الحادث سوف يصبح نسياً منسياً بعد فترة من الزمن، إلا أن النتيجة كانت على العكس من ذلك تماماً، فقد خلفه «هوكغند»⁽³⁾.

وكان «هوكغند» فارساً وجندياً شجاعاً، جمع من الناس أموال النذور وضرائب العشور، وأثرى ثراء فاحشاً، ولجأ إلى مقاومة السلطان جهانكير، الذي قتل أباه وجمع جيشاً وشيد حصناً «هوكغندبور» على نهر بياس، ليكون قاعدة يشن منها حملاته العسكرية، فلما علم السلطان جهانكير بحركة تمرد السيخ، أمر بالقبض على زعيمهم واعتقاله في قلعة كواليار، ولم يلبث أن أفرج عنه، بعد أن

(1) سيخ: مأخوذة من الكلمة السنسكريتية «شيشها» وتعني المرید أو التلميذ، المؤسس لهذه العقيدة أي «كرونانك» ومن جاء بعده من معلمين ومصلحين، وتتمثل معتقداتهم فيما يتضمنه كتابهم المقدس «أدي كرانت» الذي يتكون من كتابات المعلمين الخمسة الأول، وساهم في إخراج أولياء ومتصوفة المسلمين والهندوس، وألفه كروارجن ديو في عام 1012هـ بمساعدة بهائي كروداس.

ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي هامش ص148.

(2) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص452.

(3) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص149 - 150.

تعهد بالطاعة والولاء للسلطان، لكنه عاد إلى تمرده، بعد وفاة السلطان، وفي عهد السلطان شاه جهان، عاد إلى شن الغارات في منطقة لاهور وحاربه حاكم لاهور عدة مرات، ولما خشى من انتقام السلطان شاه جهان، اعتصم بالجبال حتى وفاته سنة 1645م⁽¹⁾، وخلفه ابنه «هارراي»، وهو الغورو السابع للشيخ.

وعندما اعتلى أورنك زيب العرش المغولي انحاز غورو الشيخ إلى جانب أخيه داراشكو ما أغضب أورنك زيب، فاستدعاه إلى بلاطه، فلم يذهب بنفسه وأرسل ابنه رام راي بدلاً عنه، فاستقطبه السلطان المغولي وحرّضه على والده، فجرّده هذا من حقوق خلافته له وعيّن ابنه الثاني هاركيشان مكانه، وحاول رام راي أن يصبح غورو بمساعدة أورنك زيب، فاستدعى هذا هاركيشان إلى بلاطه لاحتجازه لكنه توفي في الطريق في عام (1075هـ/1664م)، فاختر الشيخ تيغ بهادور غورو عليهم، وهو التاسع في هذه السلسلة، فعارض سياسة أورنك زيب الدينية ودعا أتباعه، إلى عقد اجتماع عام لاتخاذ الخطوة المقبلة ضده، فاستدعاه السلطان إلى بلاطه، وعندما وصل إلى دلهي قبض عليه وسجنه، وطلب منه اعتناق الإسلام، فرفض، فقتله، وكان ذلك في عام (1086هـ/1675م)، - ومعلوم أن قتل السلطان أورنك زيب له ليس على عدم قبوله الإسلام، ولكن لتمرده وخروجه على السلطان وقتله المسلمين، وقد أراد السلطان أن يعصم دمه بالإسلام لكن الرجل ركب رأسه وأبى -، وكان هذا قد عيّن قبل مغادرته إلى دلهي، ابنه «غوفيند سينغ»، البالغ من العمر خمسة عشر عاماً، خلفاً له وهو العاشر في هذه السلسلة. فكان من أبرز أعماله تأسيسه للقوة العسكرية للشيخ، وإضافة سينغ إلى أسمائهم كما نظّم لباسهم ومظهرهم وراح يشعل الحماس في نفوسهم ليثأروا لقتلاهم، ويواصل تدريبه العسكري لهم ويُعَمِّدُهم بنقيع السيوف والخناجر، فصمدوا لكل الضربات التي وجهتها إليهم الدولة حتى تم لهم السيطرة

(1) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص452.

على منطقة التلال، فيما بين ستلج رافد السند وجمنة، وقُتل اثنان من أولاده في المعارك، واستمرت مقاومته للمغول المسلمين طيلة عهد أورنگ زيب، والتحق بعد وفاته بخدمه خليفته بهادور خان⁽¹⁾. واستمرت المناوشات بين الدولة المغولية المسلمة والسيخ؛ بسبب التخريب الذي يقوم به هؤلاء في أنحاء البلاد ومحاولة السيطرة على مقاليد الأمور في المناطق التي تخضع لنفوذ الدولة المغولية. فالسيخ كانوا شوكة في ظهر سلاطين الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري؛ إذ أحدثوا الاضطرابات وأشغلوا الدولة وهذا بلا شك كان له وقعه السلبي على مسيرة الدعوة الإسلامية.

ج- البوذية (البدهية):

إحدى الديانات التي نبتت في الهند وسيطرت على المجتمع الهندي مئات السنين، ولم تبحث البوذية في أمر الإله كما هو الشأن في الهندوسية⁽²⁾. ولم يشغل «بوذا» نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية وما وراء الطبيعة أو عن القضايا الدقيقة في الكون، إذ كان يرى أن خلاص الإنسان متوقف عليه هو لا على الإله، ويرى أن الإنسان صانع مصيره⁽³⁾.

ولم يكن بين البوذيين والدولة المغولية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري أي نوع من التصادم. وهكذا فإن أصحاب الديانات التي عاشت في الهند بجانب المسلمين لم يحدث منها ما يكدر الصفو، اللهم إلا ما كان من طائفة السيخ، التي كانت لهم مناوشات كثيرة مع دولة المغول في القرن الحادي عشر الهجري.

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 203 - 204.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 54.

(3) ينظر: أديان الهند الكبرى: د/أحمد شلبي ص 161 - 162.

2- اليهود:

كانت بلاد الهند يقطنها بعض اليهود، إلا أنه يكاد عدد لا يذكر؛ حيث إن الإسلام لما دخل تلك البلاد سارع البعض منهم إلى اعتناقه، وتمسك البعض الآخر بدينه، بناء على التسامح الديني الذي لاقوه من المسلمين الفاتحين الذين أعطوهم الحرية الكاملة في اختيار معتقداتهم، فكانوا «قبل القرن الحادي عشر الهجري يلعبون دور الوسيط في التجارة، ومعظم التجار في العراق وفارس كانوا يهوداً، خصوصاً اليهود الراذانية⁽¹⁾ الذين استطاعوا إلى حد ما السيطرة على تجارة البحر المتوسط، حتى تمكنوا من دخول بلاد كشمير في الهند، مع أن هذه المنطقة مغلقة في وجه جميع التجار الأجانب، وقد تمتع اليهود بكل حرية ورعاية وأمن واستقلال في ظل الحكم الإسلامي»⁽²⁾.

ولم يذكر لليهود أي تأثير أو تعكير للصفو الإسلامي في الهند في القرن الحادي عشر الهجري؛ نظراً لقلة أعدادهم واهتمامهم بالتجارة التي كانت مصدراً رئيسياً لمعيشتهم وحياتهم.

3- النصارى:

وكما كان لليهود وجود في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، كان

(1) الراذانية: جماعة من التجار اليهود، وصف ابن خرداذبه نشاطهم في المجال التجاري، قائلاً إنهم يتكلمون العربية والفارسية والرومية [اليونانية] والإفرنجية [لغة الفرنجة أي الفرنسية القديمة] والأندلسية [الإسبانية] والصقلية [اللغات السلافية]. وهم يسافرون من الغرب إلى الشرق براً أو بحراً، من فرنسا إلى السند والهند والصين ثم يعودون حاملين من الصين المسك والعود والكافور.

ينظر: المسالك والممالك: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت نحو 280هـ) ص153، بيروت: دار صادر أفست ليدن، 1889م.

(2) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 429.

لنصارى⁽¹⁾ أيضاً وجود حتى قبل هذا القرن، فعندما «جاء البرتغاليون إلى الهند لينشروا في ربوعها الدين النصراني، وجدوا فيها طائفه من النصارى يبلغ عددهم نحو مائه وخمسين ألفاً من النساطرة الذين اعتنقوا هذا المذهب على يد كهنة سريان، وتوزعوا في المدن والقرى المتناثرة على سواحل الملابار خاصة، وشكلوا طبقة خاصة منعزلة انطوت على نفسها بهدف المحافظة على بقائهم وسط محيط بشري موزع بين المسلمين والهندوس»⁽²⁾.

وعندما تولى السلطان «أكبر» حكم بلاد الهند في القرن العاشر الهجري، وفتح الباب للديانات الأخرى غير الإسلام بالوجود في بلاطه وفد عليه جماعة من النصارى بدعوة منه ليستمع إلى بيان النصرانية من أفواههم لا من بطون كتبهم، فأكرمهم، وكانت لهم بعوث تبشيرية في مستعمرات البرتغاليين بالهند، حتى ظنوا منه رغبته في التنصر عندما أظهر التوقير والتبجيل للإنجيل حين رفعوه إليه، ولأيقونة المسيح وأمه البتول حين أطلعوه عليها، فلما عرضوا عليه الدخول في ملتهم رد عليهم قائلاً بأن الأمور كلها تجري وفق المشيئة الإلهية⁽³⁾. وقد سمح «أكبر» في عام (1011هـ/1602م) للنصارى ببناء أول كنيسة نصرانية في «أكرا»، ثم رخص بعدها لبعض الأمراء النصارى بإنشاء إرساليات تبشيرية في البلاد⁽⁴⁾.

(1) أشرتُ من قبل عند الحديث عن العلاقات الخارجية للدولة المغولية إلى تواجد جاليات برتغالية وإنجليزية وهولندية، وكان هؤلاء يدينون بالدين النصراني — في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وكونوا مستعمرات لهم على السواحل الهندية بهدف التجارة، وما لبثت هذه الشركات أن سيطرت على الهند وخاصة الشركة الإنجليزية.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 232.

(3) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 134/2.

(4) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 233.

وكان وجود النصارى متركزاً في المناطق الساحلية حيث التجارة والربح الوفير، وإن كانوا يحملون في الخفاء ثوب التبشير بالمسيحية، وكانت الدولة المغولية في الهند تتعامل معهم حسب مقتضيات الأحوال، فقد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الدخول في معارك كما حدث في عام 1040هـ/1631م⁽¹⁾.

* * *

(1) سبق الحديث عن ذلك عند الكلام عن العلاقات التجارية مع البرتغاليين.

المبحث الثاني

المظاهر الاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

وتأثيرها في الدعوة

الإنسان بفطرته التي خلقه الله تعالى عليها يميل إلى العيش المشترك مع الآخر، وهذا التعاون بين الناس بعضهم البعض يؤدي إلى خلق العديد من الأفعال المتشابهة وهو ما يعرف بالمظاهر الاجتماعية، وفي المجتمع الهندي في القرن الحادي عشر الهجري كان هناك أفعال متشابهة بين أفراد الشعب كبعض الأعمال الإحسانية التي حرصوا على دوامها، كما أن هناك بعض العادات والتقاليد التي تتعلق بحياتهم، وغير ذلك مما يعطى صورة عن المظاهر الاجتماعية السائدة بالهند، ومدى تأثرها بالدعوة الإسلامية والتي يمكن عرضها من خلال النقاط التالية:

أولاً: كفالة المحتاجين وأبناء السبيل:

حث ديننا الحنيف على الإحسان إلى الفقراء، والعطف على المساكين، وحفظ اليتامى في أنفسهم وأموالهم، ونظراً لذلك اهتم أهل الهند حكاماً ومحكومين، بتوفير الرعاية الاجتماعية، فتعددت صورها والوصاية بها ومن أمثلة ذلك: ما قام به الأمير مرتضى بن أحمد بن أبي بكر من جعل رواتب يومية أو سنوية للأيامى والمتوكلين وأهل الحاجة، كما كان يكفل اليتامى ويربهم كتربية الآباء للأبناء، ويستخدم المعلمين لهم⁽¹⁾.

وإذا كانت هذه مشاركة الأمراء فإن العلماء الربانيين كان لهم دور كبير في الرعاية الاجتماعية من إطعام الطعام وسد حاجة المحتاجين «فهذا الشيخ آدم بن إسماعيل البنورى قيل إن زاويته قلما كانت تخلو عن ألف رجل كل يوم، وكلهم كانوا يأكلون الطعام من مطبخه ويستفيدون منه»⁽²⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسنى 648/5.

(2) المرجع السابق 640/5، 641.

و«كان الشيخ محمد ماه الحنفي⁽¹⁾ كثير الإحسان إلى العجائز والأيتام والمساكين ينفعهم ويسعى لحوائجهم مع قناعة وعفاف»⁽²⁾.

فظهرت روح التعاون والإخاء في المجتمع الهندي، وهذه الروح هي التي حث عليها الإسلام، وإذا كان هذا حال الأمراء والعلماء، فإن الواجب على السلاطين توفير الرعاية الاجتماعية للشعب، وسد حاجة الفقراء والمحتاجين منهم، لذا سارع سلاطين دولة المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري إلى تحقيق ذلك.

فكان السلطان جلال الدين محمد شديد العناية برفاهية شعبه، فبذل جهداً كبيراً يرفع عنهم ما ينزل بهم من الضيم، وفتح بابه للشاكين، وجعل عليه ناقوساً يذيقه كل من أراد أن يقدم شكوى إليه، وساعد المزارعين وثبت ملكياتهم للأرض، وتجاوز عن ديونهم المتأخرة..، وأمر ولاته أن يحيطوا علماً بأوضاع رعيّتهم، ويعاملوا الناس معاملة حسنة، ويحسنوا إلى الفقراء، وألا يعفوا عن المجرمين، ولا يقبلوا الهدايا⁽³⁾.

ولعل أخطر ما واجه الشعب الهندي في القرن الحادي عشر الهجري هي المجاعات وذلك بسبب انحباس الأمطار، وهنا تتجلى حكمة ولادة الأمر في مواجهة تلك الكوارث، وهذا ما حدث «في عهد السلطان شاهجهان - كما سبق ذكره - فقد تعرضت بعض المناطق الهندية، مثل الكجرات، والدكن لثلاث مجاعات متتالية أي في عامي 1039هـ، 1040هـ، 1041هـ/1630م،

(1) الشيخ محمد ماه الحنفي الديوكامي، أحد العلماء المبرزين، قرأ العلم على الشيخ ركن الدين البحري آبادي ثم تصدى للدرس والإفادة بمدينة جوبنور ودرس خمساً وعشرين سنة، وكان غاية في الذكاء والفتنة، أخذ عنه كثير من العلماء مات يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة 1095هـ، وله اثنتان وثمانون سنة. ينظر ترجمته في: المرجع السابق 640/5، 641.

(2) المرجع السابق 461/5.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص228229.

1631م، 1632م، مما حصد أرواح عشرات الآلاف من الأهالي، واضطر البعض في بعض الشهور إلى أكل جميع الحيوانات والأعشاب، كما اضطرت بعض الأسر الفقيرة لبيع أبنائهم مقابل الحصول على قليل من الطعام»⁽¹⁾.

وقد بذل السلطان جهوداً حثيثة لإغاثة الناس والتخفيف عنهم من وطأة الجوع، وتمثل ذلك في إمدادهم بالكثير من المؤن والأرزاق والأموال، وإقامة المطاعم المجانية لهم، وإعفائهم من كثير من الضرائب عليهم⁽²⁾.

ولزم السلطان أورنگ زيب سَنَنَ أبيه فكان رفيقاً بالرعية «يبذل على الفقراء وأهل الحاجة العطايا الجميلة ويسامحهم في الغرامات، ومن ذلك أنه أبطل ثمانين نوعاً من المكوس في سنة تسع وستين وألف وكانت تحصل له من تلك الأبواب ثلاثون لكا (ثلاثة ملايين) في كل سنة، ومن ذلك أنه نهى المستوفين (جامعي الضرائب) أن يطالبوا الأبناء بغرامات الآباء، ويصادروا أموالهم في القضاء وأمرهم أن يميزوا في ذلك فيما بين أهل المناصب...، ومن ذلك أنه بذل أموالاً طائلة على إصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند من أورنگ آباد إلى «أكبر آباد» ومن «لاهور» إلى «كابل» وكذلك من «لاهور» إلى كشمير، وحفر الآبار وأجرى العيون وأسس الجسور ورباطات وحمامات ومساجد واستراحات لأبناء السبيل في تلك المسالك؛ ليستريح الناس فيها فيظلوا آمنين مطمئنين⁽³⁾.

أدت تلك السياسات التي سلكها سلاطين المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري إلى تخفيف آلام اليتامى والمساكين، وإلى كفايتهم، وإلى تخفيف وطأة الجوع والحاجة وقت حدوث المجاعات، وانعكس ذلك على المجتمع الهندي، فخلا من المتسولين وذوي الحاجات.

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص389.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص282.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 741/6.

ثانياً: الرعاية الصحية:

وأما عن الناحية الصحية فقد حظى المرضى برعاية أهل الخير الأثرياء، فقد بنى «الشيخ أبو الفيض بن المبارك الناكورى عند مبيته بمدينة «فتح بور سيكرى» مارستان، ورتب فيه الأدوية، والأغذية للمرضى من شريف ووضيع، وغنى وفقير، وكذلك بنى «نواب سيف خان الجانكيرى» مارستان بمدينة أحمد آباد تجاه القلعة سنة 1032هـ، في أيام جهانكير بن أكبر شاه الدهلوي، وسماه «دار الشفاء»⁽¹⁾.

ولم يقتصر رعاية المرضى على طبقات الشعب بل سعى سلاطين الدولة المغولية للنهوض بالناحية الصحية فما هو السلطان جهانكير «يحض على بناء المستشفيات في المدن الكثيرة وتزويدها بالأطباء، على أن تقوم الدولة بالإنفاق عليها من الخزينة العامة، ويؤمن الغذاء والدواء للمرضى بالمجان»⁽²⁾.

وكذلك بنى السلطان شاهجهان بن جهانكير «مارستان» بمدينة «شاهجهان آياد» عند الجامع الكبير، ورتب فيه الأطباء، وجعل لهم الأرزاق السنية، وكان مشهوراً بدار الشفاء»⁽³⁾.

وحذا السلطان أورنگ زيب حذو أبيه وجده «فقد أسس المارستانات في أكثر بلاده»⁽⁴⁾. وكان يشرف على المارستان «حكيم» يتولى أمرها ويرعى شئون المرضى، وممن «تولى النظر على مارستان «أحمد آباد» الحكيم محمد هاشم»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص376، 377.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص262، 263.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص377.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 741/6.

(5) محمد هاشم بن محمد قاسم الحسني، أحد كبار العلماء، أخذ العلم عن مرزا إبراهيم

الهمداني، ونصير الدين حسين الشيرازي أقام بالحرمين الشريفين اثنتي عشرة سنة، =

ثالثاً: مناسبات الاحتفال بالأعياد:

كان الشعب الهندي على اختلاف طبقاته وتعدد جنسياته وعقائده يحتفل بعدد من الأعياد السنوية، من هذه الأعياد ما هو ديني وما هو غير ذلك، فكثرت الأعياد بالهند، واحتفل أهل الهند ببعض الأعياد التي ظهرت فيها صور اجتماعية، وأغلب هذه الأعياد كان يتم بمحضر السلطان، وأشهر هذه الأعياد التي حرص الشعب الهندي عليها تتلخص فيما يلي:

1- الأعياد الإسلامية:

كان المسلمون في بلاد الهند مثلهم مثل المسلمين في سائر البلدان الإسلامية الأخرى، يحتفلون بالمناسبات الدينية والأعياد، كاحتفال بشهر رمضان المبارك، وكان يستقبلون هذا الشهر الكريم بمظاهر السرور والفرح والبهجة، وتهنئة بعضهم البعض بتلك المناسبة، كما كان المسلمون في تلك البلاد يحتفل المسلمون عند انتهاء شهر رمضان بعيد الفطر، وكان المسلمون في الهند يحتفلون بالعيدين الإسلاميين: عيد الفطر الذي يصادف الأول من شهر شوال، وعيد الأضحى الذي يصادف العاشر من ذي الحجة، وهذا العيدان يأتيان بعد ركنين عظيمين من أركان الإسلام، وهما: الصيام والحج، وكانت البلاد الهندية تصدح بالتكبير والتحميد والتهليل، شأنهم شأن كل الديار الإسلامية.

= قدم الهند وأخذ الفنون الرياضية والصناعة الطبية عن الشيخ على الكيلاني، ثم سكن بأحمد آباد وولى الصدارة بها، في أيام شاهجهان بن جهانكير، ثم جعله شاهجهان معلماً لولده أورنگ زيب، توفي سنة 1061هـ وله ثمانون سنة.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 644/5، الثقافة الإسلامية في الهند «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»: عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ) ص264، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت. وانظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص377.

أُضيف إلى ذلك أن سلاطين الدولة المغولية كانت لهم مراسم خاصة في الاحتفال، «فكان السلطان يركب إلى المصلى، ومعه الأمراء في جيوشهم وأعلامهم، ثم يجلس في قصره فيحييه الأمراء ويعرضون عليه الهدايا، فيمنحهم المناصب والأقطاع، وكان عالمكير بن شاهجهان الدهلوي قد رفع النيروز⁽¹⁾؛ لأنه من أفعال المجوس، واستبدل به عيد الفطر، فكان يظهر الفرح والسرور من العيد إلى العشر الأوائل من شوال»⁽²⁾.

وفي عيد الأضحى كان المسلمون في الهند يقدمون الأضحية كل حسب استطاعته، فـ«كان السلطان يركب فيه للصلاة مع جيوشه ومعه الأمراء مع جيوشهم، فيصلى وينحر الجمل في المصلى، ويجلس للناس، ويقبل هداياهم، ويعطيهم الأقطاع والمناصب»⁽³⁾.

فالأعياد في الهند في القرن الحادي عشر الهجري تعد مظهراً اجتماعياً، يجتمع فيه المسلمون، ويتهادون ويتصدقون، وكان السلاطين يشاركون الناس تلك الأعياد في جو من الفرح والسرور، بما أفاء الله عليهم من نعمة وكرم وفضل، وكانوا يخرجون إلى المصلى لصلاة العيدين يتقدمهم السلاطين والأمراء وكبار القادة والحاشية، فيحضرون صلاة العيد، فتزداد فرحة الناس؛ لأن الأمراء وكبار قادتهم شاركوهم تلك المناسبة السعيدة، فتقوى بينهم رابطة الأخوة.

2- الاحتفالات بمناسبات إسلامية أخرى:

لم تتوقف الاحتفالات في الهند على العيدين فقط، ودائماً كان المسلمون في الهند يحتفلون «في ليلة النصف من شعبان ويزينون الليلة بالشموع، ويتصدقون

(1) النيروز عيد أول السنة الشمسية مأخوذة عن الفرس، وتبدأ السنة الشمسية في 21 مارس، عيد أول الربيع في الهند، وكان المغول يحتفلون به تسعة عشر يوماً. ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص400.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص312.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص312.

بالأموال الطائلة، وفي رمضان يزينون المساجد، ويتصدقون ويوسعون في الأطعمة، وفي ربيع الأول يزينون القصور، ويعقدون المجالس تذكراً لمولد النبي ﷺ، ويتصدقون، وفي العشر الأول من المحرم يتصدقون تذكراً للشهادة الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، وفي ليلة السابع والعشرين من رجب يزينون المساجد والمحال، ويتصدقون تذكراً لمعراج النبي ﷺ (1).

وأما الصدقات التي يتصدق بها في الأيام والمواسم، فكان السلطان شاهجهان ومن قبله من الملوك التيمورية يتصدقون باثنى عشر ألف في المحرم، واثنى عشر ألف في ربيع الأول، وعشرة آلاف في رجب، وخمسة عشر ألفاً في شعبان، وعشرين ألفاً في رمضان، فكانوا يتصدقون بتسع وسبعين ألفاً في كل سنة، وأما عالمكير فإنه أمر أن يتصدق بما في تلك الأيام، ويتصدقون بعشرة آلاف في كل شهر غير الأشهر المذكورة، فكان يتصدق بتسع وأربعين ألفاً ومائة ألف في السنة غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم (2).

يلاحظ مما سبق أن احتفال المسلمين في الهند بالأعياد يتم فيه الكثير من مظاهر الإحسان فقد كان يسبق تلك الاحتفالات التصدق على الفقراء والمساكين، وكان سلاطين المغول قدوة في هذا، وخاصة السلطان عالمكير الذي زاد في صدقاته عمن يسبقه منهم.

3- مضاهاة الهندوس في بعض التصرفات الاحتفالية:

تأثر بعض المسلمين في الهند بالأعياد الهندوسية «وخاصة السلطان أكبر شاه التيموري، فإنه كان يفعل كل ما يفعله الوثنيون، ويستحسنه، ويرسم القشقة، وهي لطخة حمراء على جبينه يوم العيد في برج سنبله، ويربط سلكاً من الجواهر على أيدي البراهمة، ويربط «راكهي» وهي عبارة عن صوف مقتل

(1) المرجع السابق ص312.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 741/6.

يربطونه في يوم معهود من كل سنة، ولكن الملوك فيما بعده من أبنائه تركوا ذلك»⁽¹⁾.

«ومن الأعياد الفارسية التي انتقلت إلى الهند من فارس⁽²⁾ النيروز، يعقد احتفال لتسعة عشر يوماً كاملاً، تقضى في نشوة وسرور، ولذة وترف⁽³⁾ وتزين فيها القصور السلطانية بأبدع الزينة، والسلطان كان يجلس للناس في الديوان العام، ويحضر الأمراء فيحيونه، ويعرضون عليه الهدايا الثمينة من الأفيال، والخيول، والأقمشة، والجواهر وغيرها، ويقومون بين يديه على هيئة القيام للصلاة، فيمنحهم المناصب والإقطاع - وهذا العيد نظير عيد شم النسيم عندنا في مصر -»⁽⁴⁾.

وظل الأمر كذلك حتى جاء السلطان أورنگ زيب فأبطل الاحتفال بالنيروز والمهرجان، على اعتبار أنهما أعياد فارسية وثنية، وظل الأمر على ذلك فيمن جاء بعده⁽⁵⁾.

ومن الاحتفالات التي كان يُحتفل بها في الهند يوم مولد السلطان ويسمونه «سالكرة» و«سال» في اللغة السنة، و«كره» - بكسر الكاف الفارسية - العقدة؛ لأنهم يعقدون في سلك الصوف المفتول عقدة في ذلك اليوم، وكان السلطان يجلس بالميزان، فيوازنونه مرة بالذهب، ومرة بالفضة، وعشر مرات بأجناس الحبوب من الحنطة، والشعير، وغيرهما، ثم يتصدقون بكل ذلك على الفقراء والمساكين، ويفرحون في ذلك كل الفرح، ويزينون القصور، والدور غاية الزينة، وكانوا يفعلون ذلك مرتين في السنة، مرة بالدورة القمرية، ومرة بالدورة الشمسية⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي حسني ص311.

(2) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص400.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 12/3.

(4) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي حسني ص311.

(5) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص400.

(6) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي حسني ص311، 312.

رابعاً : الازدهار العمراني في الهند في القرن الحادي عشر الهجري :

خلق الله تعالى الإنسان في هذا الكون للبناء والتعمير، وسخر له كافة المخلوقات، من أجل العبادة ثم البناء والتعمير في الكون، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَشَقُّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرُكُمْ فِيهَا﴾⁽¹⁾، فأحدى الوظائف الأساسية التي خلق من أجلها الإنسان واستخلفه الله من أجلها هي تعمير هذا الكون وتنميته، وتشبيد العمارات والبناءات التي ينتفع بها البشر، ومن هنا فإن البناء والتعمير يعتبر مطلباً بشرياً دعت إليه حاجة الناس في معاشهم، كما يعد مظهراً من المظاهر الاجتماعية والحضارية.

والناظر في تاريخ الهند في القرن الحادي عشر الهجري يجد اهتمام أهل الهند بالبناء والعمارة فظهرت المدن الهندية وخاصة مدينة دلهي بمظهر حضاري «فكانت شوارعها من السعة بحيث يمكن للفارس أن يجرى بحصانة خلالها، كما أن أرباب الحرف لهم شوارع خاصة بهم، وكذلك التجار لهم أسواق خاصة بهم، بل كل أصحاب تجارة معينة لهم سوق خاص بهم»⁽²⁾.

وهذا يدل على الهندسة المعمارية، والتنظيم الحضاري للمدن في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، كما اهتم أهل الهند بالمظهر الجمالي في بناء المدن والبيوت فكانت العاصمة دلهي «تتخللها الحدائق الفخمة، وتتضمن الأشجار الوارفة الظلال والزروع المتنوعة والزهور البديعة»⁽³⁾.

وقد شارك في حركة البناء والتعمير كل أفراد الشعب كل قدر طاقته كما كان لسلطين الدولة المغولية دور كبير في النهوض بالعمارة كدليل على حضارتهم، فشملت العمارة في عهدهم صوراً متعددة من بناء مدن ومدارس

(1) سورة هود من الآية 61.

(2) بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص494.

(3) المرجع السابق ص 495.

ومساجد ومارستانات، تجلت فيها آيات من الجمال والذوق الرفيع، وظلت باقية إلى عصرنا الحاضر، ومن هذه الآثار:

1- مدينة شاهجهان آباد:

تعد هذه المدينة إحدى مدن دهلي، والتي كانت تضم بضع مدن متجاورات متصلات، وكانت تسمى جاهان آباد، بناها شهاب الدين محمد شاه الدهلوي، «واستغرق بناؤها سبع سنين، وأنفق على بنائها أربعمائة ألف روبية، وهي مدينة جامعة بين الحسن والحصانة، بنيت فوق ربوة على ساحل نهر «جمنا» لها سور محيط، وبروج مشيدة من الحجارة، وطول ذلك السور ستة آلاف وستمائة وأربع وستون ذراعاً، وعرضه أربعة أذرع، وارتفاعه تسعة أذرع، وفيه سبعة وعشرون برجاً، قطر كل واحد منها عشرة أذرع»⁽¹⁾.

وقد احتوت هذه المدينة أيضاً على بعض الآثار الفنية الرائعة التي تدل على الذوق الفني الرفيع والازدهار المالي عما لم ترى الهند مثيلاً له من قبل ومن بعد، ومن هذه الآثار:

أ- القلعة الحمراء:

ذلك البناء الضخم الفخم الذي بناه لسكانه، وبنى سوره من الحجارة الحمراء، والتي اشتمل على أمكنة متعددة لقيام السلطان وشأنه وحاشيته وجنوده، ومجلسه الخاص والعلم⁽²⁾.

كما يشتمل على مسجد يعد تحفة في عالم البناء، ويسمى مسجد اللؤلؤة، وهو مبني من الرخام الأبيض الخالص. وبالغ السلطان في بناء عرشه المعروف بعرش الطاووس، فرصعه بالجواهر النادرة، وكانت قوائمه من الذهب الخالص، وسقفه مطلي بالمينا، ويحمل اثني عشر عموداً من الزمرد على كل واحد

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 90، 91.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 248.

طاووسان مزينان بالجواهر وتتوسطهما شجيرة مغطاه بالماس والياقوت والزمرد، وتتدلى منه ثلاث درجات مكسوة بالجواهر، وقد استغرق صنع هذا العرش سبعة أعوام، وبلغت تكاليفه عشرة ملايين روبية⁽¹⁾.

ب- المسجد الجامع أو جامع مسجد :

يعتبر أضخم مسجد بناه سلطان في الهند كلها، قام على مرتفع من الأرض عما حوله، وأكبر ساحته غير مسقوفة، يقوم وسطها حوض كبير للوضوء، والجزء الغربي منه هو المسقوف قام سقفه على أبنية معقودة ضخمة، أرضه من المرمر والجدران مكسوة بالمرمر كذلك على ثلاثة أذرع، ومنبره كله من المرمر الأبيض الناصع، وعلى جدرانه وأعمدته الضخمة يتجلى الفن الرفيع والمجهود الجبار الذي بذل في تحليلته⁽²⁾.

فقد أمر شاه جهان ببناؤه في (1060هـ/1650م)، واستغرق بناؤه ستة أعوام، وتنافس أمراء الأطراف والأقاليم في إرسال أحجار المرمر لبنائه افتتح المسجد بصلاة عيد الفطر، ثم توالى التحسينات فيه بعد ذلك، وللمسجد ثلاثة أبواب: الباب الكبير الشرقي المواجه للقلعة، والباب الشمالي، والباب الجنوبي المقابل له، ويصعد إليه بدرجات كثيرة⁽³⁾.

ج- تاج محل :

هو من أبداع أبنية الهند، لا يوجد له نظير في الدنيا، بناه السلطان شاهجهان على قبر زوجته «أرجمند بانو»⁽⁴⁾، وقد أقامه خارج مدينة «أكرا» في الناحية الشرقية منها على شاطئ نهر «جمنا»⁽⁵⁾، يتألف الضريح من بناء مرمي أبيض

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص294.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص250.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص294.

(4) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص95.

(5) المرجع السابق ص252.

يقوم على شرفة عالية، تعلوه قبة ضخمة في وسطه وتحيط به أربع قباب أصغر حجماً، وترتفع عند زوايا الشرفة أربع منارات دقيقة مكسوة بالمرمر الأبيض، ارتفاع كل منها مائة وتسعون قدماً، وتبلغ مساحة الضريح مائة وستة وثمانون قدماً مربعاً، وقطر القبة الداخلي ثمانية وخمسون قدماً.

ويخترق ضوء النهار ستاراً مزدوجاً من الرخام المشغول، فتسقط أشعته على قبرين تحت القبة تماماً، للسلطان وزوجته المحبوبة، أما الزخارف الداخلية المطعمة بأحجار نفيسة، فتمتاز بألوانها الزاهية ورسومها الآخاذة ونقوش الآيات والصور القرآنية، وقد وضع على ضريح السلطان مقلمة ودواة من المرممر المنقوش كتب عليها: «مرقد مطهراً على حضرت فردوس أشياني صاحب قرآن ثاني شاه جهان بادشاه طاب ثراه توفي سنة 1076هـ»، وكتب على قبر السلطانة: «مرقد منور أرجمند بانو بيكم مخاطب بممتاز محل توفيت سنة 1040هـ»، وجيء بالمرمر الذي استعمل في تشييده من أماكن مختلفة أهمها مكران التابعة لجيبور في راجبوتانا، حيث قدمه الأمراء والحكام هدية للسلطان، وأنفق السلطان على عملية البناء ما يوازي مائتين وعشرين كرور روبية، أي ما يوازي ثلاثمائة وعشرين مليون روبية، واستغرق بناؤه اثنين وعشرين عاماً، وعمل فيه اثنان وعشرون ألف عامل⁽¹⁾.

يقول د/عبد المنعم النمر بعد ذكر ذلك الأثر: «ذلك وصف عام لهذه التحفة الفنية الرائعة التي لا يوجد لها نظير في العالم، والتي تنطق برقى الذوق والفن وهندسة البناء في ذلك الزمان، مما يجعلها مفخرة الهند، لا يستغن أي سائح أو زائر عن زيارتها، وإرواء نفسه من متعتها، والوقوف أمامها في خشوع وإعجاب بعظمة هذا الملك المسلم، وعظمة الفن في عهده، وعظمة نفسه التي حملت هذا الوفاء النادر لزوجته المحبوبة، وفاء ترك العالم يتمتع بهذه الدرة العظيمة في عالم الفن والبناء»⁽²⁾.

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص296.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص258.

وعلى أية حال فإن هذه البناءات الضخمة والعمارات الشاهقة تظهر المستوى الاجتماعي الراقى التي كانت تعيشه بلدان الهند والحالة الاقتصادية المزدهرة التي شهدتها تلك البلاد على يد السلاطين المغول في القرن الحادي عشر الهجري، وقد انعكست بشكل واضح على الوضع العمراني للبلاد، الذي جمع مختلف أشكال الفنون، فظهر بصورة مشرقة ومشرفة التقدم العمراني والتمدن، الذي كان يضرب به المثل في الجمال والروعة، ولا تزال بعض من هذه الآثار باقية إلى الآن، شاهدة على عظمة تلك الحضارة وروعيتها.

* * *

المبحث الثالث

أثر الحالة الاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري على الدعوة الإسلامية

أولاً: أثر التصنيف السكاني العرقي والديني على الدعوة الإسلامية

- إن الناظر في أحوال بلاد الهند في القرن الحادي عشر الهجري يجد أن الإسلام جمع بين أجناس مختلفة من الهنود والمغول والعرب، وعاش الجميع تحت مظلة واحدة، والأخوة التي نعم الجميع بها حكماً ومحكومين، ولا شك أن الدعوة إلى القوميات والنزعات العرقية لم يكن له وجود في الهند في هذا القرن، فهذه القوميات والنزعات العرقية حذر منها الإسلام؛ لأنها من دعوى الجاهلية، وقد ورد النصوص الإسلامية التي تنهى عن ذلك، ومنها ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَنْتَهَيْنَ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعَلِ الَّذِي يُدْهَدُّ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»⁽¹⁾. والمراد بعبية الجاهلية: نخوتها وكبرها وفخرها وتعظيمها.

- وتعدد السكان وتنوع المعتقدات واختلاف الأجناس التي كانت تسكن وتستقر في بلاد الهند انعكس بصورة إيجابية على الدعوة، إذ أثبت أن الإسلام دين العيش المشترك، فالإسلام يعترف بحق الآخر المخالف في العقيدة أن يعيش إلى جواره بلا تعسف أو جور ما داموا مسالمين، ولهم أن يمارسوا

(1) أخرجه: الترمذي في سننه ك المناقب، باب فضل الشام واليمن 734/5، ح رقم 3955، وقال: حديث حسن.

شعائرهم الدينية بحرية تامة بلا تضيق أو تعرض بأي لون من ألوان الأذى، وأن يدفع المخالف في العقيدة الجزية التي هي مقدار مقدر بسيط مقابل حمايته من الاعتداء عليه والدفاع عنه، ولا شك أن تلك الصورة الواقعية الملموسة من التسامح الديني، مع مشاهدة غير المسلمين لتعاليم الإسلام مطبقة على أرض الواقع، كل هذا دفع بالكثيرين من أهل الملل والنحل الأخرى إلى المسارعة إلى اعتناق الإسلام، لما رأوه بأعينهم في هذا الدين من مبادئ سامية لا يمكن أن تصدر عن منهج بشري وإنما هو تنظيم إلهي ومنهج رباني ليعيش الناس في رحابه في سلام وهدوء.

لقد عاش أصحاب الملل والنحل الأخرى من اليهود والنصارى والزرادشتيين والجنبيين والبوذيين وغيرهم داخل المجتمع المسلم في الهند متمتعين بكافة الحقوق وبضروب من التسامح الديني، ولم يلقوا اضطهاداً ولا عنفاً، ولا تعسفاً، ولا تعصباً، ولا إكراهاً، ولا إجباراً، وإلا إقصاءً، ولا إبادةً، بل عوملوا على معاملة كريمة كما أمر الدين، وعاشوا داخل المجتمع الإسلامي في أمن وأمن وسلام واستقرار، وكفلت لهم الحقوق الإنسانية، سواء المادية والأدبية.

وهذا كله انطلاقاً من أمر ربنا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽¹⁾. ف«هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم»⁽²⁾، ف«لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم»⁽³⁾.

(1) سورة الممتحنة الآية 8.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ) 59/18، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط 2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 90/8.

يضاف إلى ذلك ما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث تحذر من المساس بحقوق أهل الذمة، منها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»⁽¹⁾.

فإن الإسلام لم يجعل أبداً الاختلاف في الدين سبباً يسوغ هضم حقوق الآخرين، أو الاعتداء عليهم وإجبارهم على عقيدة لا يرتضونها، أو يمحوا ما سواه من الأديان من الوجود لمجرد المخالفة؛ لأن نظرة الإسلام قائمة على التسامح الذي أساسه أن كل إنسان مكرم من الله تعالى، وما دام مكرماً فله الحرية الكاملة فيما يعتقد، وليس لأحد أن يحاسبه على اختياره مهما كان، فمهمة المسلم أن يدل غيره على الخير لا يفرضه ويلزمه به بالقوة.

وبناء على تلك النظرة السامية فإن المسلمين لا يعادون أحداً إلا المعتدين؛ فالمسلمون يعلمون ويوقنون أن الكون له سنن لا تتخلف ولا تتبدل، ومنها أن يكون في الكون مسلم وغير مسلم، طائع وعاص... وهكذا، فلو أراد الله تعالى خلاف ذلك لكان، فأمر الله ماض لا راد له.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمَّ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

(1) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الحرية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم 99/4، ح رقم 3466.

(2) سورة يونس الآيتان 99، 100.

(3) سورة البقرة الآية 256.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (1).

فمن هذه النصوص وغيرها يتضح أن الإسلام يعترف بالآخرين المخالفين في العقيدة، بل بحقهم في الحياة العزيزة الكريمة تليق بإنسانيتهم، بل ويضمن ويبيح لهم حق الجوار والعيش المشترك داخل مجتمع واحد، وقد اعترف بالتسامح الديني الذي لاقاه أتباع الديانات الأخرى داخل المجتمع المسلم المنصفين من المستشرقين.

تقول سيجريد هونكه: «إن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عباداتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدني أدني، أو ليس منتهى التسامح» (2).

● وكان للاختلاف السكاني والتنوع العقدي أثر آخر على الدعوة الإسلامية؛ حيث إن مشاهدة المسلم لغيره وهو يؤدي شعائره الدينية، يجعله على يقين مما عنده من تعاليم الإسلام التي تحترم العقل، فيطمئن قلبه ويثبت على دينه، وهذا من أعظم الآثار الدعوية المترتبة على التنوع الطبقي والعقدي. على أن الأمر قد لا يسير على وتيرة واحدة وخط مستقيم، فقد يكون تعدد الأديان له من الآثار السلبية التي ينبغي ألا تتكرر، إلا أن هذه الآثار السلبية

(1) سورة الكهف الآية 29.

(2) شمس العرب تسطع على الغرب: سيجريد هونكه ص364، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط8، بيروت: دار الجيل، 1413هـ/1993م.

كانت قليلة للغاية، فالمسلمون كانوا أكثرية وافدة في تلك البلاد، كما أن الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري كانت قوية ولها نفوذ حاضر، فلم يكن هناك مجال لانتشار مثل هذه السلبات، فقوة الدولة ونفوذها يقضي على أي فتنة في مهدها ويمنع من انتشارها، فينساق الناس طوعاً أو كرهاً لسلطان الدولة ولا يتمادون في غيهم.

أثر الوجود النصراني في الهند في القرن الحادي عشر الهجري على الدعوة الإسلامية :

كان للنصارى أثر على الدعوة الإسلامية باعتبارهم مبشرين في المقام الأول، وأيضاً كل الشركات التي أقامت في الهند كانت تسعى إلى السيطرة على مقدرات الشعب الهندي سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وبالجمل، فإنه يمكن القول إن الإسلام يرضى لأصحاب الديانات الأخرى أن يعايشوه ويساكبوه أرضه، بل ويكفل لهم الحرية التامة والحقوق الموفرة، لما لتعاليمه من قوة وثبات ورسوخ، أضف إلى ذلك صهر الإسلام المجتمع ككل من أجناس مختلفة في بوتقة واحدة لا فرق بين عربي وهندي وتركى، فالكل واحد أمام أحكام الدين وشرائعه.

ثانياً: أثر مظاهر الحياة الاجتماعية في القرن الحادي عشر الهجري على الدعوة الإسلامية

كان لمظاهر الحياة الاجتماعية في الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري من الأعياد وغيرها من المظاهر الاجتماعية أثر في الدعوة الإسلامية، ويظهر ذلك فيما يلي:

- 1- من خلال كفالة المحتاجين وأبناء السبيل يظهر الالتزام بتعاليم الإسلام فيما قام به السلاطين والعلماء وأهل الخير من الوجهاء، وهؤلاء يمثلون القدوة للمجتمع، إذ في أفعالهم نشر للفضائل الإسلامية التي تدعو إلى التماسك

الاجتماعي، والقضاء على الفتن، والكتاب والسنة نصوصهما كثيرة في هذا المجال، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآثَرَ السَّبِيلِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (1).

فـ«البر سعة الإحسان وشدة المرضاة والخير الكامل الشامل؛ ولذلك توصف به الأفعال القوية الإحسان» (2). فدعت الآية الكريمة إلى سلامة العقيدة، ثم إيصال البر إلى جميع المسلمين.

فقيام المجتمع الهندي بالرعاية الاجتماعية له أثر كبير في الدعوة الإسلامية؛ لأن الفقر والمرض آفتان كبيرتان وهما سبب قوى لانهيار أي أمة من الأمم، وعندما تأخذ الأمة بأسباب الوقاية في الفقر والمرض ينصلح المجتمع، ويصبح أفرادها أسوياء نفسياً وصحياً، وهي الصورة الصحيحة والسلمية للمجتمع المسلم على العموم، وتظهر قوة المجتمع وتماسكه.

2- ومن خلال الرعاية الصحية يتبين كيف كان السلاطين والقادرون حريصين على إقامة مجتمع قوي بدنياً؛ لإحداث العمران من ناحية، ولعبادة الله عز وجل العبادة الصحيحة من ناحية ثانية، والدفاع عن الدولة وصد هجمات الغازين من ناحية ثالثة، والقدرة على نشر دعوة الله سبحانه وتعالى من ناحية رابعة، والاهتمام الصحي الذي تقدم بيانه آية على ذلك.

(1) سورة البقرة الآية 177.

(2) التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) 2/128، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ.

3- ومن خلال الاحتفال بالأعياد فإن من الثابت لدى كل مسلم أن الأعياد مظهر من مظاهر الفرح والسرور والبهجة، وهي من السنن التي شرعها الله تعالى لعباده المؤمنين كلون من ألوان الترويح عن النفس من هموم الحياة ومصاعبها وأعبائها، فضلاً عن كونها فرحة بإتمام فريضة من الفرائض التي افترضها الله تعالى على المسلمين، وهما الصيام والحج، فيسعد المسلمون ويفرحوا شكراً لله تعالى على ما أدوه من الفرائض. قال تعالى: ﴿قُلْ بِمَضَلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (1).

فالإسلام شرع العيدين لإدخال الفرح والسرور والسعادة على قلوب أتباعه، وهي فرحة للكبير والصغير، والرجل والمرأة، حتى المرأة التي عندها عذر يمنعها من أداء الصلاة أباح لها الإسلام أن تخرج وتشارك في تلك الفرحة، وتبتهج وتشارك الجميع في هذه الأعياد، فعن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى. الْعَوَاتِقَ وَالْحُيَّضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ. فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ دَانَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَاب. قَالَ: «لَتَابَسْهَا أَخْتَهَا مِنْ جِلْبَابِهَا» (2).

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام لم يضيق على أتباعه، ولم يحرمهم من الترويح عن النفس، بل شرع لهم ذلك مراعاة لمتطلباتهم، فمن إحدى خصائص الإسلام ومقاصده الموازنة بين متطلبات الجسد وحاجات الروح، وإشباع رغبات كل منهما، فلا تطغى واحدة على أخرى.

(1) سورة يونس الآية 58.

(2) أخرجه: البخاري في صحيحه ك صحيحه ك الحيض، باب وجوب الصلاة في الثياب 80/1، ح رقم 351، ومسلم في صحيحه ك صلاة العيدين، باب ذكر إباحتها خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة، مفارقات للرجال 606/2، ح رقم 952 [واللفظ له].

كما أن احتفال المسلمين بالعيدين في بلاد الهند وإظهار الفرح والسرور مع وجود أصحاب الديانات الأخرى المشاركين لهم في الوطن يعد إظهاراً للهوية الإسلامية، ويعد شعاراً لإتمام المسلمين فريضتين وركنين من أركان العبادة، وهما الصيام والحج، وهو أمر فيه بيان لعزة الإسلام وأهله. على أن الاحتفال بالمناسبات الأخرى الدينية لم تكن على مثل النحو من الفرح والسرور كما في العيدين الفطر والأضحى، أما الأعياد الأخرى كعيد النيروز فقد أبطل الاحتفال به السلطان عالمكير بن شاهجهان.

4- وفيما يتعلق بالعمران فإنه بهذه الصورة المشرقة التي كان عليها في بلاد الهند في عهد سلاطين المغول في القرن الحادي عشر الهجري كان مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام - إلا ما كان مخالفًا منها لتعاليم الدعوة الإسلامية -، فقد بلغ من شموله أن قدم صورة للمجتمع المسلم في عمرانه، كيف يكون تخطيط بلده، وتخطيط حيه، وتخطيط شارع، بما يتناسب مع الأخلاق الإسلامية العامة التي بها تصان العورات، ويحدث الستر الحقيقي لكل بيت أو حتى قصر؛ إذ جعلت البيوت لتستر ما بداخلها، ولا يتأتى ذلك إلا بحسن التخطيط.

وفضلاً عن هذا فإن الاتقان المعماري للبيوت والقصور والمساجد أعطى شكلاً لائقاً للمسلم صاحب الدين، والذي هو أعظم الأديان على وجه الأرض، وهذه الصورة المشرقة للدين الإسلامي كانت بالحدائق الغناء العامة في المدن وما حولها، وكانت الحدائق الخاصة للبيوت والقصور، التي أعطت صورة حسنة عن معتنقي هذا الدين، فحبيت غير المسلمين في الإسلام وأهله.

وقد نال ازدهار العمراني المؤسسات الدعوية، حيث شيدت المساجد والمدارس والمكتبات، كما شيدت الأربطة، والتي كان لكل واحد منها دوره لصالح الدعوة الإسلامية، كما أن بناء المدن الجديدة له أثر دعوى، فالمدن الجديدة تعنى بناء مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى، ومدارس تدرس فيها العلوم الدينية، والعمران عموماً يكون شاهداً على قوة الدولة وازدهارها.

الباب الثاني

وسائل الدعوة الإسلامية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وأثرها في الدعوة الإسلامية

ويشتمل على ثلاثة فصول :

- ◆ الفصل الأول : الفتوحات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
وأثرها في الدعوة الإسلامية.
- ◆ الفصل الثاني : المساجد في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
وأثرها في الدعوة الإسلامية.
- ◆ الفصل الثالث : المدارس والمكتبات في الهند في القرن الحادي عشر
الهجري وأثرها في الدعوة الإسلامية.

الفصل الأول

الفتوحات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وأثرها في خدمة الدعوة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- ◆ المبحث الأول : تكوين النظام العسكري في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.
- ◆ المبحث الثاني : فتوحات المسلمين في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.
- ◆ المبحث الثالث : أثر فتوحات المسلمين وأهدافها الدعوية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

المبحث الأول

تكوين النظام العسكري في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

عند دراسة النظم العسكرية للجيش المغولي في الهند في القرن الحادي عشر الهجري لابد من تناول القيادة العسكرية التي كانت تقود هذا الجيش، وعدده، والرتب الموجودة به، ونظامه في المعارك، وكذلك الأسطول البحري؛ لأن هذا الجيش خاض معارك كثيرة ضد الراجبوت والمراهندا، والإمارات المستقلة في جنوب الهند، وانتصر في كثير منها، وسأبدأ بالكلام عن القيادة العامة في الجيش المغولي:

أولاً: القيادة العامة في الجيش المغولي:

إن سلاطين المغول كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم أو عن طريق أبنائهم، أو بعض القادة المشهور لهم بالكفاءة والخبرة «ففي عام 1046هـ/1636م وعندما قام أحد المراهنة بالثورة على المغول قرر السلطان شاهجهان الذهاب بنفسه على رأس الجيش»⁽¹⁾.

وفي عهد السلطان أورنگ زيب كانت القيادة العليا للجيش بيده إذ كان يقود جيوشه بنفسه في أغلب المعارك في الشمال والجنوب، وإذا لم يقيم السلطان أورنگ زيب بقيادة الجيش العام فكان يرسل لقيادته أحد أبنائه، وقد دارت معارك كثيرة بقيادة ابن السلطان الأمير أعظم ضد الإمارات الجنوبية والمراهنة⁽²⁾. بينما كانت هناك قيادات أخرى مثل القائد «مير جملة»⁽³⁾ الذي كان يقود

(1) تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 245.

(2) السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 309، 310.

(3) محمد سعيد الحسني الأردستاني الملقب بمير جملة، قدم الهند ودخل حيدر آباد في أيام عبد الله قطب شاه وترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة بها، وفتح القلاع=

جيش السلطان «أورنك زيب» في الشرق⁽¹⁾، وعندما توفي هذا القائد في «البنكال»، وكلَّ السلطان ولاية هذه المنطقة لأمير الأمراء «شائسة خان»⁽²⁾، ثم «مرشد قلى خان» وكان هؤلاء القادة ممن عرفوا بولائهم وبإخلاصهم للسلطان «أورنك زيب»⁽³⁾.

فكانت القيادة العسكرية في الجيش المغولي، تابعة للسلطان مباشرة أو أحد أبنائه، أو قائد يتقون به؛ لأن القيادة في الجيوش محور مهم وسبب قوى لانتصار الجيوش في المعارك.

ثانياً: المناصب في الجيش المغولي:

كانت المناصب العسكرية في الجيش المغولي تتم من خلال «نظام المنصبدارى»، وهو نظام وضعه السلطان «أكبر»، كان يتم من خلاله توظيف

= والبلاذ، وملاً الخزائن بالأموال، فلما قويت شوكته توهم منه عبد الله قطبشاه، فخرج من حيد آباد وسار إلى عالمكير ثم إلى والده شاهجهان سلطان الهند، فأعطاه السلطان أموال كثيرة، ولقبه «معظم خان» وولاه الوزارة، وولاه عالمكير على «بنكاله» ولقبه بخانخايان سبه سالار، فضبط البلاذ وفتح الفتوحات إلى أن مات بها سنة 1070هـ. ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 634/5.

- (1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 269.
- (2) أبو طالب بن أبى الحسن بن غياث الدين الطهرانى ثم الهندي الدهلوى نواب شائسته خان أمير الأمراء ابن آصف جاه ابن اعتماد الدولة، ولد ونشأ بأرض الهند وقرأ العلم وتمهر بالفنون الحربية، ونال المنصب في صباه في عهد جهانكير ولقبه بشائسته خان، ولما تولى المملكة شاهجهان أضاف في منصبه، ثم زاده عالمكير، ولقبه بأمرير الأمراء، وقد عاش في غاية العظمة والأبهة، ولم يكن له نظير في زمانه في الحلم والتواضع وحسن المعاشرة وإيصال النفع إلى الناس والإحسان على العجزة والأرامل والأيتام وغيرها. ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 688/6.
- (3) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 312.

الأمراء على حسب «المنصب»، أي: جعلهم درجات عديدة متفاوتة⁽¹⁾، وكانت هذه المناصب موزعة على مدارج كثيرة، تبتدئ من «ده باشا» أي: أمير العشرات، وتنتهي إلى «بنج هزارى» أي: أمير خمسة آلاف للأمراء، وإلى «ده هزارى» أي أمير عشرة آلاف لأبناء الملوك، هذا في عهد أكبر شاه التيموري، وقد وصلت في أيام شاهجهان الدهلوى وفيما بعده إلى تسعة آلاف للأمراء وسميت «نه هزارى» وإلى ستين ألفاً لأبناء الملوك⁽²⁾.

وقد تمت بعض التعديلات في نهاية عهد «أكبر»، فبدأ يحصل جميع الأمراء على رتبة ثنائية عند التحاقهم بخدمة الدولة المغولية، فكانوا يحصلون قبل ذلك مثلاً على خمسة آلاف لنفسه فقط، ثم تم التعديل في الرتبة مع إضافة منصب الفرسان أو الخيل، أي أصبح يحصل على خمسة آلاف لنفسه وخمسة آلاف للخيل أو الفرسان، وكان يطلق على المنصب الأول «ذات» وهو المنصب الأصلي، وعلى المنصب الثاني «سوار» أي: الفرسان أو «الخيال» وهو المنصب الفرعي⁽³⁾.

فاستطاع سلاطين دولة المغول أن يضمّنوا ولاء الأمراء ومن تحتهم من العساكر للقيادة العليا للجيش المغولي، وأيضاً التنافس للوصول إلى رتبة أعلى في هذا النظام الدقيق.

ثالثاً: عدد الجيش المغولي:

بلغ عدد الجيش في عهد السلطان «أكبر» إلى ما يقرب من مائتين وخمسين ألف مقاتل⁽⁴⁾، وفي أيام السلطان شاهجهان التيموري كانت مائة ألف من الفرسان

(1) المرجع السابق ص313، 314 بتصرف.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص295.

(3) ينظر: السلطان أورك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 314.

(4) ينظر: السلطان أورك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص336.

وثمانية آلاف من أهل المناصب، وسبعة آلاف ممن يسمونه: «أحدى و» «برق انداز» وكانوا فرساناً، وثلاثين ألفاً من أهل البندقيات والمدافع، ويسمونهم على الترتيب «تقجي» و«توبجي» و«كولة انداز» و«بانداز»، وكانت عساكر أبناء الملوك والأمراء الذين كانوا ذوى المناصب الجلييلة مئة ألف وخمس وثمانين ألفاً، والعساكر التي كانت تلازم ركاب السلطان بدار الملك خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان، وعشرة آلاف من الرجالة⁽¹⁾.

وفي عهد السلطان «أورنك زيب» كانت الأعداد تتزايد سنة بعد أخرى؛ نتيجة طبيعية لتطور الدولة وتوسعها الجغرافي⁽²⁾، وكان ترتيب الجيش في المعركة على ثلاثة أقسام الميمنة والميسرة والقلب، وفي القلب يكون السلطان، وعليه مظلة حمراء تختص به، وكانوا يقدمون فئة كبيرة من جيوشهم طليعة لهم⁽³⁾.

وهذا العدد الكبير فيه دلالة على التقدم والتنظيم العسكري الذي وصلت إليه الدولة المغولية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، وهذا كله بخلاف الأسطول البحري الذي كانت تملكه الدولة المغولية.

رابعاً: الأسطول البحري:

اهتم سلاطين دولة المغول في الهند بالأسطول البحري للجيش المغولي، «ويعد السلطان «أكبر» المؤسس لتصنيع السفن الحربية في الدولة المغولية»⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص292.

(2) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص336.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص293.

(4) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص348.

وقد أسس سلاطين المغول المصانع لتصنيع السفن والقوارب في لاهور، والله آباد، وكشمير⁽¹⁾، وقد قدرت القوة البحرية في عهد السلطان شاهجهان بألف سفينة، على كل واحد منها سبعون أو ثمانون رجلاً من الملاحين⁽²⁾. وفي عهد السلطان «أورنك زيب» تطورت صناعة السفن تطوراً كبيراً، وقد استخدم الأمير «مير جملة» هذا الأسطول في مواصلة الحروب البحرية ضد «أراكان» والبرتغاليين في «كوج بهار» و«البنكال» في عام 1070هـ/1660م، وقد بذل هذا الأمير جهده في تطوير السفن الحربية، وأنشأ القلاع البحرية العسكرية لمجابهة الإنشاءات من جانب راجا «كوج بهار» و«أراكان» وغيرها، وكان يعتبر من المهندسين البارزين في بناء الجسور والطرق، ونتيجة لبراعته في ذلك تمكن من إنشاء كثير من المحطات للسفن الحربية كما تطورت السفن الحربية وازداد عددها، فأدى ذلك كله في النهاية إلى إلحاق الهزائم المتكررة بحاكم «كوج بهار» في عام 1072هـ/1661م وإخضاع المنطقة بأكملها للسلطة المغولية⁽³⁾.

ويتضح من خلال هذا الاستعراض للجيش المغولي وتكوينه أن السلاطين المغول قد اهتموا بالجيش والقوة العسكرية لما لها من الأثر في جعلها مرهوبة الجانب يخافها الأعداء ويفكرون ألف مرة قبل الاعتداء على ثغورها.

أثر القوة العسكرية على الدعوة الإسلامية :

أولى الإسلام عناية فائقة، واهتم اهتماماً بالغاً بإنشاء القوة العسكرية لتقوم بدورها في حماية البلاد وحفظها وتأمينها من أي خطر يتهدها، وصد اعتداء المجاورين لها، وقد جاءت النصوص القرآنية تأمر بإعداد العدة والقوة في حدود

(1) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص317.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص293.

(3) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 349 بتصرف.

الاستطاعة والقدرة، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

ففيها «أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة»⁽²⁾، فالواجب على المسلمين في كل زمان ومكان - والآية محكمة - أن يعدوا العدة، «أي ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ»⁽³⁾، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجود أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا

(1) سورة الأنفال الآية 60.

(2) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ) 80/4، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/1999م.

(3) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الإمامة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه 1522/3، ح رقم 1917.

لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب»⁽¹⁾.

ومن فهم المسلمين السليم لهذه الآية عملوا في أوقات عزهم ومجدهم على الاهتمام بالجيش وإعداده على وفق ما توصل إليه العصر، مدركين أنه ما من أمة أعدت عدتها واتخذت لنفسها جيشاً يحمي بيضتها إلا عزت وسادت؛ لأن الناس جبلوا على تقدير واحترام القوي، وهذا أمر مقرر في التاريخ، ويتأكد هذا المعنى من أن الدولة المغولية فهمت هذا وعملت به.

فقد كان السلاطين يقودون الجيوش في المعارك الكبيرة بأنفسهم أو بإنبابة أبنائهم، أو عن طريق تولية القادة الكبار المشهور لهم بالكفاءة والخبرة، فالقيادة العسكرية للجيش كانت بيد السلطان؛ لأن القيادة في الجيوش هي محور مهم وسبب قوى لانتصار الجيوش في المعارك بعد تقوى الله تعالى والتوكل عليه، كما ضمن السلاطين المغول ضمان ولاء القادة عن طريق المناصب العالية في الجيش، إضافة إلى ما تضيفه هذه المناصب من عزة ومهابة في نفوس القادة فلا تسول لهم أنفسهم بالاستئثار بالأمر دون السلاطين، ثم إذا ما انتقل الحديث إلى عدد الجيش اتضح فيه فهم السلاطين المغول للقوة والعدة العسكرية، فقد بلغ عدد الجيش إلى ما يقرب من مائتين وخمسين ألف مقاتل، وهذا عدد ضخم له مهابة في قلوب الأعداء، كما كانت الأعداد تتزايد سنة بعد أخرى؛ نتيجة طبيعية لتطور الدولة وتوسعها الجغرافي، على أن هذه الأعداد الكبيرة والتي كانت تزيد سنوياً لها ترتيب في المعارك، فقد قسم الجيش على ثلاثة أقسام: اليمين واليسار والقلب، وفي القلب يكون السلطان، وعليه مظلة حمراء تختص به، وكانوا يقدمون فئة كبيرة من جيوشهم طليعة لهم، وهذا العدد الكبير فيه دلالة على التقدم

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ) ص328، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م.

والتنظيم العسكري الذي وصلت إليه الدولة المغولية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

بخلاف الأسطول البحري الذي كانت تملكه الدولة المغولية، حيث اهتم به السلاطين المغول اهتماماً بالغاً، تمشيّاً مع طبيعة الموقع الجغرافي لبلاد الهند، فاهتم المغول ببناء السفن الحربية عن طريق انشاء مصانع عملاقة لبنائها، حتى بلغت القدرة البحرية في عهد السلطان شاهجهان بألف سفينة، على كل واحد منها سبعون أو ثمانون رجلاً من الملاحين، وفي عهد السلطان «أورنك زيب» تطورت صناعة السفن تطوراً كبيراً، كما تطورت السفن الحربية وازداد عددها، فأدى ذلك كله في النهاية إلى إلحاق الهزائم المتكررة بحاكم «كوج بهار» في عام 1072هـ/1661م وإخضاع المنطقة بأكملها للسلطة المغولية.

ويمكن إجمال هذه الآثار الدعوية للقوة العسكرية في أن قوة الجيش المغولي مكنت المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية، كما كانت سبباً في إرهاب أعدائهم، وحفظت الأمن في ربوع البلاد الهندية، وذلك بمجابهة الفتن والقتال التي تحدث بين الحين والآخر فتعكر صفو المجتمع وربما أدت إلى خراب البلاد، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد أدت قوة الجيش المغولي على توحيد بلاد الهند ولأول مرة في عهد السلطان أورنك زيب وقد وصلت الفتوحات قريباً من بلاد الصين، فحافظ على هوية المسلمين ومكن لهم بأن أدوا شعائر دينهم دون خوف، وتحركوا في البلاد على سعة أرجائها آمنين وفتح الباب لدخول أقوام كثر في الإسلام.

* * *

المبحث الثاني

فتوحات المسلمين في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

ركز الإسلام في نفوس المؤمنين مبدأ العزة، وجعل شعورهم بها شعاراً، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، وجعل الإسلام لهذه العزة مؤيدات و ضمانات هي:

1- ربط ضمير المؤمن بمثل أعلى هو الله تعالى، فلا يعرف إلا الخضوع لربه ولا يخشى أحداً سواه.

2- جعل الإنسان يسمو على كل طبقة، وجعل العمل الصالح لخير الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة منشأ كل تقدير أو شرف، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

3- العدل المطلق قوام المجتمع والحكم، فلا تفاوت بسبب قرابة أو مودة أو عدا، ولا اعتداء على الأنفس والأموال، والأعراض.

فالعزة لا تعنى الاستعلاء أو البغي أو التسلط، ومع ذلك فهي عزة قائمة على القوة وجاعلة هدفها السلم في العلاقات الدولية، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽³⁾، وما قوة العزة، وعزة القوة إلا للدفاع عن المبدأ، والدعوة، وردع الاعتداء وظلم الظالم، فالعزة درع الرسالة وصون لها⁽⁴⁾.

(1) سورة المنافقون من الآية 8.

(2) سورة الأنعام الآية 132.

(3) سورة الأنفال الآية 61.

(4) ينظر: الإسلام في قصص الاتهام: د/شوقي أبو خليل ص 84، 85، ط4، دمشق: دار الفكر، 1400هـ/1980م.

وكان هدف سلاطين دولة المغول المسلمين منذ دخولهم الهند توحيد تلك الأراضي تحت حكم المسلمين، وقد نجحوا في تحقيق ذلك الهدف إلى حد كبير من خلال الفتوحات التي تمت في ذلك القرن:

1- الفتوحات في عهد السلطان أكبر:

تولى السلطان «أكبر» حكم الهند بعد عقبات كثيرة واجهته وواجهت أباه همايون من قبله، «وقد أدرك «أكبر» من خلال التجارب الماضية، والعقبات التي واجهها في مستهل حياته السياسية، أنه لا يمكن أن يحكم بسلام لو ظلت الهند مجموعة من الإمارات الصغيرة المتفرقة والمتناحرة، وأن السبيل الوحيد لإقرار السلام يكمن في تقوية الحكومة المركزية لتدير أجزاء الهند كافة، أي العمل على توحيد البلاد تحت حكمه، واستوجبت هذه النظرة الدخول في معارك متصلة الحلقات حتى عام (1009-1606م) وانتهى الأمر بتدعيم ملكه وتوسيع رقعة دولته»⁽¹⁾.

ولم يكد ينتهي القرن العاشر الهجري حتى امتدت الفتوحات من آخر حدود البنغال الشرقية إلى ما وراء الهندوس وأرض كابل وغزنه وقندهار في الغرب، ومن جبال الهماليا في الشمال إلى نهر «نريدا» في الجنوب⁽²⁾. واتجهت الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري إلى استكمال فتوحاتها ففي عام 1003هـ/1595م اتجه «أكبر» إلى ضم «بلوخستان وقندهار»، فعين مير معصوم لفتح بلوخستان، وتقع هذه الولاية إلى الشمال من دولته، وقد هاجم القائد المغولي حصن «سبيي» قرب «كوتا»، فاستسلم صاحبه، وضم بلوخستان مع مكران إلى الدولة المغولية، وقد مهد فتح السند وبلوخستان الطريق لفتح قندهار، وقد كان «أكبر» يمني نفسه بفتح هذا الإقليم، منذ أمد بعيد،

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص234.

(2) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي

وباستعادته من الفرس، فهو يشكل مفتاح الطريق إلى حدوده الشمالية القريبة، وقد انتهاز فرصة انهماك الشاه «عباس الصفوي» بحروبه مع العثمانيين والأوزبك، واندفع بقواته إلى هذا الإقليم، وكان حاكمه «مظفر حسين ميرزا» على خلاف مع الصفويين في طهران، ويخشى خطر الأوزبك؛ لذلك ارتدى في أحضان «أكبر» وطلب منه إرسال أحد قادته لتسلم الإقليم، فأرسل شاه بك، فتسلم قندهار من دون حرب، وعيّن مظفر حسين في وظيفة «منصب دار» وحاكماً على «سمبهال»، وبضم «قندهار» يكون «أكبر» قد سيطر على كامل شمالي الهند ووسطها باستثناء جزء من ميوار⁽¹⁾.

الفتوح في جنوب الهند:

بعد أن سيطرت دولة المغول في الهند على شمال ووسط الهند، اتجهت أنظار السلطان أكبر إلى الجنوب «حيث الممالك الإسلامية الخمسة التي قامت على أنقاض الدولة البهمنية في الدكن»⁽²⁾، وهي دولة بريد شاه في بيدار، وممالك بيرار، وكولكنده، وبيجابور، وأحمد نكر، وكان ملك أحمد نكر قد أغار على مملكة بيرار وضمها إلى ملكة سنة 980هـ/1572م فقويت بذلك شوكتها، وأصبح قوة خطيرة⁽³⁾.

وكانت الحروب لا تتقطع بين هذه الدول الإسلامية بعضها مع بعض من ناحية وبين الممالك الهندوسية من ناحية أخرى، مما كان له أثره في إشاعة الرعب والخوف وعدم الشعور بالاستقرار من قبل المسلمين القاطنين في هذه

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 245 – 246.

(2) الدولة البهمنية [748-934هـ/1347-1527م]: حكمت ما يقارب القرنين، تأسست على يد علاء الدين حسن كنكو بهمان، وانتهت هذه الدولة على يد المغول. ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 224 وما بعدها.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 207، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 247.

الممالك الخمس، وبعد أن تم الفتح للسلطان جلال الدين محمد ساد الأمن وأحس الناس بالاستقرار، وقويت الدولة وهابها الجميع.

وهكذا استطاع السلطان جلال الدين محمد السيطرة على أجزاء كبيرة من الهند، وترك لخلفه السلطان جهانكير دولة مترامية الأطراف، وأكمل هذا السلطان مسيرة الأب في استكمال تلك الفتوحات في شبه القارة الهندية.

2- الفتوحات في عهد السلطان جهانكير (1014هـ-1037هـ):

لم يكن عهد جهانكير الذي امتد حوالي ثلاثة وعشرين سنة بعهد الفتوحات الكثيرة، فقد «ورث ملكاً واسعاً ثابت الدعائم، موطن الأركان، ساعدت السنوات الخمسون التي قضاها أبوه في الحكم مع حزمه على توطيده، ومع ذلك فإن حكمه لم يخل من بعض المتاعب التي أثارها ابنه «خسرو» في البنجاب، ورانا سنك الراجبوتي في «أودي بور» وقد ظل منذ أيام أبيه متمرداً، وكذلك القائد عنبر في أحمد نكر وكما حدث في كابل وقندهار»⁽¹⁾.

وقد استطاعت الدولة المغولية إخماد تلك الثورات والحفاظ على قدر الاستطاعة على ما حققه السلطان جلال الدين محمد من فتوحات في عهده.

وقد كتب لجهانكير التوفيق بالاستيلاء على حصن كنجرا الهندوكي الشهير عام 1031هـ/1631م بعد حصار طويل دام أربعة عشر شهراً، وكان قد امتنع من قبل على «فيروز تغلق» و«أكبر» نفسه، بل وكل الفاتحين المسلمين منذ أيام محمود الغزنوي⁽²⁾.

وقد انتهاز الشاه عباس ملك فارس فرصة ضعف قندهار فحاصرها، واستولى عليها في سنة 1622م، وقد ضاعت الاستعدادات الضخمة التي أعدها

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص230.

(2) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي

جهانكير لاستعادتها هباء؛ لأن شاه جهان رفض أن يطيع قرار والده ويقود الجيش المعد لمقاتلة «قندهار» بل وقام بثورة ضد أبيه⁽¹⁾.

ويمكن القول إن عهد جهانكير كان عهد المحافظة على ما حققه أبوه من انتصارات وفتوحات، وأن المشاكل الداخلية كانت أقوى من جهانكير نفسه، الذي فتح الباب لتدخل زوجته في الحكم، وفي تسيير أمور الدولة، وقد أدى بدوره إلى مشاكل عديدة وثورات كانت لها آثار سيئة على البلاد والعباد⁽²⁾.

3- الفتوحات في عهد السلطان شاه جهان (1037هـ-1068هـ) :

اتسم عهد شاه جهان بالهدوء النسبي للفتوحات؛ نظراً للمشاكل التي واجهته سواء كانت ثورات أو المجاعة التي ضربت بعض مناطق الهند في عهده، ولعل أبرز ما قام به هو حروبه في الدكن وكانت استكمالاً لما قام به أبوه وجده من قبل، وكان الهدف الذي يسعى إليه هو توحيد شبه القارة الهندية تحت سيطرة المغول، وكان حكام إمارات الدكن يحاولون نشر المذهب الشيعي بين المسلمين السنة ويتعاونون مع الصفويين في إيران، الذين كانوا يناوئون أهل السنة، والمعروف أن حكام المغول كانوا متمسكين بأهداب السنة، ويحرصون على منع انتشار المذهب الشيعي في المناطق التي يسيطرون عليها⁽³⁾.

فقاد شاه جهان بنفسه حملة كبيرة إلى الدكن، «فذهب الجيش أولاً وحاصر «بيجاپور» ولكن القحط والوباء جعلا الجيش المحاصر يفك حصاره عنها، ورجع شاه جهان، وترك محله في القيادة «مهابت خان» الذي قام بإخضاع فتح خان في أحمد نكر نهائياً، ولما توفي «مهابت خان»، وقام أحد المراهة بالثورة على المغول قرر شاه جهان الذهاب بنفسه على رأس الجيش، لعدم كفاية ابنه «شجاع» للوقوف أمام هؤلاء الأعداء، وكان ذلك سنة 1046هـ — 1636م،

(1) ينظر: تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال ص128.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص263.

(3) المرجع السابق ص282.

واتخذ من دولت آباد في مملكة أحمد نكر مقراً لقيادته، وأرسل الرسائل لملكي بيجابور وكولكنده، حيث طلب من الأول «عادل شاه» عدم مساعدة المفسدين والثائرين وإبعادهم عن مملكته، وطلب من الثاني أن يؤدي له الخراج ويذكر اسمه في الخطبة بدل شاه إيران، فاستجاب له هذا الملك، أما عادل شاه الديجابوري فلم يستجب فاجتاح بلاده، وقضى في طريقه على المراهتي الثائر، واضطر عادل شاه إلى الخضوع وتعهّد بدفع الخراج للمغول، وبذلك بدأت سيطرة شاه جهان على ما بقي من الدول الإسلامية في الجنوب، حيث أصبحتا شبه تابعتين له واقعتين تحت نفوذه، وبعد أن أتم شاه جهان ذلك رجع إلى «أكرا» وترك أمور الدكن في يد ولده أورنك زيب سنة 1047هـ-1637م⁽¹⁾.

سياسة شاه جهان في أواسط آسيا:

بدأ شاه جهان يتجه بنظره بعد هذا إلى أواسط آسيا، يريد أن يستعيد ملك المغول القديم هناك، وخاصة «بلخ» و«بدخشان»، وبدأ بمهاجمة قندهار لأهميتها التجارية والحربية، ونجحت جيوشه أول الأمر في الاستيلاء عليها، ولكن الصفويين في إيران لم يلبثوا أن استردوها بعد نضال طويل، وتقدمت جيوش شاه جهان بعد ذلك نحو بلخ، ودارت معارك كثيرة ظلت نحو ثلاث سنوات⁽²⁾، انتهت في آخر الأمر إلى انسحاب القوات المغولية بقيادة أورنك زيب من بلخ بعد أن أجلس على عرشها أحد أحفاد «نظرخان» حاكمها السابق متعهداً بالولاء للدولة المغولية⁽³⁾. فكان عهد شاه جهان ينحصر ما بين تثبيت أركان الدولة محافظاً بذلك على ما حققه أبوه وجده من فتوحات، وما بين توسع ومحاولة ضم باقي أجزاء الهند إلى الدولة المغولية.

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص245، 246.

(2) ينظر: تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال ص146.

(3) ينظر: تاريخ دولة المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 197/2.

4- الفتوحات في عهد السلطان أورنگ زيب عالمكير (1069هـ-1100هـ) :

شهد تاريخ السيادة المغولية على الهند في عهد السلطان محى الدين أورنگ زيب 1069هـ-1119هـ / 1659م-1707م، تطوراً كبيراً على صعيد الحملات العسكرية وفتح العديد من إقليم الهند، واستطاع أورنگ زيب تحويل شبه القارة الهندية إلى ولاية مغولية إسلامية متكاملة، ربط شمالها بجنوبها وشرقها بغربها، تحت قيادة واحدة، ولم يركن الزعيم الجديد، إلى حياة الدعة والرفاهية، رغم وفرة الإغراءات التي تحيط به من كل صوب، إلا أنه برغم كل تلك المغريات المادية، وظفها جميعاً في ساحات الجهاد والقتال على أرض الهند⁽¹⁾.

ويمكن تقسيم مدة حكم أورنگ زيب التي تجاوزت سبعة وأربعين عاماً إلى

فترتين:

الأولى : التي شغل فيها بإقرار الأمور في الهندستان.

والثانية : وهي التي قضاها في حروب متواصلة بالمكن والجنوب استوعبت ستة وعشرين عاماً واستنفذت أموالاً طائلة وهلك فيها ملايين عدة من الجند والأهلين وقد كان يهدف من ورائها نشر الاستقرار والأمن في ربوع هذه المنطقة، بعد أن حدث الاضطراب مع الهنادكة والشيعة⁽²⁾.

ويمكن تلخيص سياسته في الفتوحات فيما يلي:

أ- مناطق الحدود الشمالية الشرقية :

كان أورنگ زيب معنياً، بعد اعتلائه العرش، بحل مشكلات الحدود الشمالية الشرقية لبلاده في كوش بيهار وأسام، وهي منطقة تغطيها الغابات والأحراش،

(1) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص151.

(2) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 217/2.

وقد شكلت فيما مضى إحدى بوابات الدولة نحو الخارج، فخلال حروب الوراثة، التي نشبت بين المغول في أواخر عهد شاه جهان، هاجم «تارايان» حاكم «كوش بيهار» في عام (1067هـ/1657م)، الأراضي المغولية فنهبا وخربها، واحتاج الآساميون في العام التالي الأراضي المغولية أيضاً، واستولوا على مدينة «غوهاتي»⁽¹⁾.

وإزاء هذه التطورات فقد عين السلطان القائد «مير جملة» والياً على ولايتي «البنكال» و«وبهار» و«أريسه»، فظل عاماً ينظم الأمور الإدارية والعسكرية في هذه الولايات، ولما أتم ترتيباته العسكرية انطلق وجنوده في سنة 1072هـ/1661م، وقاد حملة عسكرية شاملة وبرغم المقاومة التي أبدأها حاكم «كوج بهار» إلا أنه هزم، واستطاعت القوات المغولية إخضاع المنطقة كلها لحكم الدولة المغولية، وقد قام القائد «مير جملة» بتغيير اسم كوج بهار إلى عالمكير نكر، كما قام القاضي سيد صادق بالآذان على سطح قصر الراجا، واعتق «بيشاننت» ابن الراجا الإسلام⁽²⁾.

وأدى ظهور قوات الدولة القوية عند منطقة الحدود إلى قدوم فريق من شيوخ العشائر الثائرة مستسلمين، حتى إذا ما أصم شجاعت خان أذنيه عن الاستماع إلى نصيحة «راجا جسوانت»، فلم يصطنع التريث والصبر حتى يأتيه بقية الشيوخ فيبرم الصلح معهم على خضوعهم للدولة، فاندفع بقواته إلى منازلهم في مناطق التلال المجاورة لكابل، انحدر البطمان إليه في ليل شتاء عاصف عام 1084هـ/1674م فأنزلوا بقواته هزيمة شاملة لاقى فيها حتفه⁽³⁾.

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص 311.

(2) ينظر: السلطان أورك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 158، 159.

(3) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 220/2، 221.

فاضطر السلطان بعد هذه الكارثة إلى قيادة العمليات العسكرية بنفسه، فانتقل في العام التالي إلى «حسن أبدال» من أجل هذه الغاية، وهو مكان يقع بين «روال باندی» و«بيشاور»، وعلى الرغم من معاناة القوات المغولية في حربها مع الأفغان إلا أن النصر النهائي كان حليفها، وقد استقطب عدداً من العشائر الأفغانية بالمال والمناصب في الجيش، وعين أمير خان حاكماً على كابل، فحقق الاستقرار والأمن على يديه في تلك المنطقة، وبخاصة ممر خيبر المهم عسكرياً⁽¹⁾.

وهكذا تمت السيطرة الكاملة على كابل وعلى ما يجاورها نتيجة للحروب التي خاضتها القوات المغولية في حدود الشمال الغربي ضد القبائل الأفغانية المتمردة لسنوات عديدة والتي كانت عبئاً على كاهل الدولة المغولية مادياً ومعنوياً⁽²⁾.

ب- مناطق الحدود الشمالية الغربية :

وبعد أن أمّن السلطان أورنگ زيب الحدود الشمالية الشرقية اتجه إلى تأمين الحدود الشمالية الغربية حيث قبائل البطهان الأفغانية التي لم تسلم هذه المناطق من غاراتها ابتداء من عام 1078هـ/1667م، وقد جهد السلطان «أكبر» من قبل في الحد من نشاطهم وحذا حذوه «شاه جهان» وتصدى لهم حاكم آتوك فردّهم وضرب منازلهم⁽³⁾.

وركنت هذه القبائل إلى الهدوء بضع سنين من بعد ذلك، كان راجا جسوانت نائب السلطان عند جامرود، يراقبهم فيها بعين ساهرة حذره، ثم برزت قبائل الأفریدی وعليها زعيمها «أكمل خان» تستنهض همم القبائل الأخرى وتستعين

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص313.

(2) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص133.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص312.

بها في السيطرة على المنطقة الواقعة بين كابل وبشاور، حتى أتيح لها آخر الأمر أن تنزل هزيمة قاصمة بقوات الدولة، عند ممر خيبر، سقط فيها عشرة آلاف من جند السلطان أسارى بأيديهم⁽¹⁾.

وعقب هذا النصر استولى «أكمل خان» على الأراضي المغولية الممتدة من أتاك إلى قندهار، وقد شجع هذا النصر القبائل الأفغانية الأخرى على التمرد، فاندلعت ثورة كبيرة ضد القوات المغولية خاصة بعد انضمام كل من الزعيم الأفغانى «خوشحال خان» وجماعة «كهتك» إلى صفوف القبائل الأفغانية في عام 1082هـ / 1672م⁽²⁾.

هنالك بعث أورنك زيب بـ «فداى خان» حاكم لاهور إلى بشاور، وسير قائده الآخر «مهابت خان» إلى كابل، حتى إذا ما تكشف له تواطؤ هذا الأخير مع الخصم جعل مكانه «شجاعت خان»، وأدى ظهور قوات الدولة القوية عند منطقة الحدود إلى قدوم فريق الاستيلاء على مملكتي بيجابور وكولكنده.

وفي السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر الهجري أخذ السلطان أورنك زيب يتجه إلى الجنوب حيث مملكتا بيجابور وكولكنده الشيعيتان واللذان أرغهما من قبل في عهد والده على تأديته الخراج، وعدم معاونة الخارجين على سلطان المغول في الجنوب ولكنهما لم يوفيا بعهدهما، فتباطأ في أداء الخراج، وأخذ يعاونان سيفاجى ثم سنبهاجى وغيرهما على المغول ولذلك سافر الملك للجنوب، وأخذ يعالج هذه الأمور⁽³⁾.

وقد اتجه السلطان أولاً إلى بيجابور، وأشرف بنفسه على حصار حصنها فلم يغن عن صاحبها فتية استجاده بأبي الحسن قطب شاه سلطان غولكونده

(1) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 120/2.

(2) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ / 1659-1707م): صاحب عالم الأعظمى الندوي ص 131 - 132.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص 277، 278 بتصرف.

أو بشمبهو جي أمير المرهتها، حتى أرغم على الاستسلام بعد دفاع مجيد، دام عاماً وبعض العام، استطاع إيانة البيجابوريون بمعاونة المرهتها أن يخربوا كافة الأراضي الزراعية ببلادهم ويحرقوا محاصيلها حتى عانى المغول شحاً شديداً في الأقوات كان يصرفهم غير مرة عن غايتهم، لولا عناد قائدهم أعظم بن السلطان وشده مراسه⁽¹⁾.

ودخل السلطان العاصمة في أوائل (1097هـ/1686م)، فهدم النقوش الهندية التي كانت تزين القصر الملكي، كما أزال رجاله بدورهم عدداً من المنشآت الفخمة الأخرى، وأصبحت بيجابور من أملاك المغول⁽²⁾.

أما كولكنده: فقد كانت أشد عداوة للمغول من بيجابور وكان ملوكها من الشيعة، وقد سبق أن أجبرهم «شاهجهان» على التعهد بدفع الخراج، وعلى ذكر اسمه في الخطبة بدلاً اسم شاه إيران، ولكن ملوكها لم يخلصوا في تعهدهم، لا سيما «أبو الحسن تاناشاه» الذي تأخر في دفع الخراج، وأمد سيفاجي بالسلاح، وعاونته ضد المغول، وأكثر من ذلك، كان قد أعد جيشاً كبيراً لمساعدة «بيجابور» حين حاصرها الملك، وزحف جيشه فعلاً إلى هناك في الوقت الذي كانت (بيجابور) قد انتهت، وشرع المغول إليه لتصفية الحساب معه هو الآخر⁽³⁾.

ونظراً لانشغال السلطان بالحرب مع بيجابور فقد أرسل على رأس هذه الحملة ابنه محمد معظم، وكان في عداد جيشه الزاحف إلى غولكونده أمراء وجند كثير من الإيرانيين الذين يتوافق هواهم مع هوى أبي الحسن أو على الأقل يتعاطفون معه لاتفاقهم جميعاً في المذهب، وقد تأثر محمد معظم بهؤلاء فعطف على الشيعة بعامة، وتعاطف مع أبي الحسن بخاصة متجنباً الدخول في الحرب، فعرض عليه اقتراحات سهلة مقابل الاستسلام، ولكن عداءه للمغول دفعه إلى

(1) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 238/2.

(2) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص309.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص278.

رفضها متجاهلاً نصيحة كثير من أمرائه بعدم معاداة المغول وبوجوب الوفاء لهم بالتزاماته⁽¹⁾. ولكنه خرج بجيشه للحرب، فلم يستطع أكثر الناس عطفاً أن يقف بجواره، ف وقعت الحرب وانتصر المغول، ودخلوا بلده (حيدر أباد) عاصمته فالتجأ أبو الحسن إلى حصن «كولكنده» قريباً منهما، ثم اضطر أخيراً إلى التسليم بالشروط المفروضة عليه، ومنها: حبس «مادنا بانديت» رئيس وزرائه، وأداء الخراج، وتسليم الأرض التي أخذها من المغول من قبل، وكانت شروطاً خفيفة بتأثير «معظم» والإيرانيين الذين كانوا معه أيضاً، لكن (أورنك زيب) رضى بها على ما فيها، وانتهى أمر «مادنا» بأن قتله بعض الخدم تخلصاً منه⁽²⁾.

غير أن أبا الحسن سرعان ما نقض شروط الصلح، وربما تشجع بتعاطف محمد معظم معه، ما اضطر السلطان إلى إعادة فرض حصار على كولكنده، واكتشف في غضون ذلك أن ابنه محمد معظم وجنده من الإيرانيين يتآمرون مع أبي الحسن على سلامته، فقبض عليه مع عدد من أتباعه وأمرائه وسجنهم⁽³⁾، وثبت مع جيشه برغم المطر وقلة المؤونة حتى بدأ التفرق في صفوف المحاصرين، وتقدم أحد قواد أبي الحسن، وفتح باب القلعة فدخلها المغول، واستولوا عليها وعلى ما فيها من أموال ومجوهرات واعتقلوا أبا الحسن سنة 1098هـ/1687م بعد ثمانية أشهر من الحصار، وبذلك انتهت «كولكنده»، وأصبحت هي الأخرى ضمن أملاك أورنك زيب، ولم يبق في القارة الهندية كلها خارجاً عن أملاكه إلا المملكة الهندوسية في الطرف الجنوبي للهند «فيجاياكر» فاتسعت مملكته اتساعاً لم يشهده ملك من قبله أو من بعده، حيث ضمت الهند وآسام وأراكان في بورما، وكذلك أفغانستان، وكانت تلك هي الذروة التي وصل إليها ملك المغول⁽⁴⁾.

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص310.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص279.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص310.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص279.

المبحث الثالث

أثر فتوحات المسلمين وأهدافها الدعوية في الهند

في القرن الحادي عشر الهجري

كان للفتوحات التي قام بها سلاطين دولة المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري آثار كثيرة على الدعوة الإسلامية في هذه الفترة الزمنية، ويمكن رصد بعضها على النحو التالي:

أولاً : توحيد الهند تحت راية واحدة:

لقد كان الهدف الأسمى لفتوحات المسلمين في الهند هو توحيد الهند تحت راية واحدة، بدلاً من الرايات المتنافرة التي كان يثور بينها النزاع والحروب، وتجلّى ذلك في عهد السلطان أورنگ زيب؛ الذي جعل من بلاد الهند وحدة إسلامية، تتبع التعاليم الإسلامية في العدالة والمساواة دون تعصب يضر بمصلحة غير المسلمين، فحينما أشير عليه بفصل الموظفين الذين لا يدينون بدين الدولة من المناصب العامة كتب يقول: إن الدين لا علاقة له بالمسائل العلمانية، وهذه المسائل التي نحن بصدد حلها لا مجال فيها للتعصب⁽¹⁾، وقال لأبي الحسن صاحب مملكة كولكنده أثناء الحصار الذي فرضه عليها: «إن أعمالك السيئة قد تفوق حدود الوصف، ولكن إذا ذكرنا واحداً منها وسردنا القليل من كثيرها فيمكن أن نكون عندك بعض الرأي، لقد وضعت مقاليد الحكم في يد وزرائك الكفرة المستبدين فظلموا وأهانوا الأشراف والمشايخ وعلماء وأولياء المسلمين، وانصرفت وأنت ملكهم إلى الفسق والفجور، وانغمست في اللهو واللعب وقمت بنشر ثقافة العصيان، وأغرقت نفسك في بحر المسكرات والخبائث ليلاً ونهاراً، وصرت لا تفرق

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص282، 283.

بين مسلم وكافر وبين الظلم والجور والعدل ولا بين الصلاح والفجور، وتقوم بإثارة الحروب في سبيل الدفاع عن الكفار، لا تأتمر بأوامر الله ولم تنته بنواهيه خصوصاً تأييد الكافرين ضد أمتك واستهتارك بكتاب الله أمام الله والناس، ولم تستفد من النصائح والتحذيرات المتكررة التي أرسلتها إليك مراراً وتكراراً، ولكن خلافاً لذلك أرسلت حالياً مئات الآلاف من النقود إلى الزعيم المراهتي سنبهاجي إعانة له ضدنا، وبدلاً من التنبه إلى جورك وظلمك، تتوقع أنت الخير والعافية في الدنيا والآخرة، ما هذا الوهم؟»⁽¹⁾. وهذا يربنا كيف كان السلطان أورنك زيب - شأنه في ذلك - شأن سلاطين دولة المغول من قبل - أراد بصنيعه توحيد الدولة حول العروة الوثقى التي لا انفصام لها بتعاليمها السمحة التي تجمع ولا تفرق، وتقرب ولا تبعد، وتقوي ولا تضعف، وتعز ولا تهين.

ثانياً: إزالة العوائق أمام الدعوة الإسلامية:

لا شك أن الفتوحات التي قام بها المسلمون في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، كانت وسيلة هامة من وسائل الدعوة، إذا حالت دون الصد عن دين الله من قبل الحكام الهنادكة الذين حالوا دون وصول الدعاة إلى الرعايا لإسماعهم كلمة الحق، فانساحوا في هذه الديار محررين ومنورين، وأقيمت المساجد، «وهذا ما حدث - على سبيل المثال - من حاكم منطقة «لداخ» وهي منطقة تقع على الحدود الهندية الصينية عندما اعترف بالسيادة المغولية على بلاده قام بإنشاء مسجد في عاصمة بلاده لإعلاء كلمة التوحيد وذلك في عام 1071هـ»⁽²⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص182، 183.

(2) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص156.

وكذلك ساعدت الفتوحات في الحفاظ على الهوية الإسلامية من التردّي في أحضان الهندوسية مرة أخرى، فلقد ضعفت الهوية الإسلامية في زمن السلطان «أكبر»، وكان لذلك أثر كبير على الإسلام في شبه القارة الهندية، ولكن خلفاء «أكبر» حافظوا على الإسلام وخاصة السلطان أورنگ زیب الذي أخذ على عاتقه الرجوع بالإسلام إلى منبعه الصافي، ولذلك لقب بمحي الدين، وهذا ليس من فراغ؛ إذ عمل هذا السلطان على تجسيد صورة الإسلام الصحيح في نفسه وفي مجتمعه الذي يعيش فيه، وبفضل تلك الفتوحات استطاع المسلمون أن يكونوا دولة كبرى، مترامية الأطراف، لم يكن لها مثيل في العالم الإسلامي آنذاك.

ثالثاً : القضاء على الأفكار العقدية والسلوكية الضالة التي كانت تثير النزاعات والفوضى داخل الدولة وفي أطرافها، وذلك بما صنعه سلاطين المغول في هذه الفترة مع الكيانات الأخرى الي عادتهم وأثارت القلاقل داخل الدولة، فكانت تتمكن منهم عنصر أمان واستقرار وتحصين الرعايا داخل الدولة من الأفكار الغربية على الإسلام الصحيح.

رابعاً : الخلافات بين أبناء سلاطين دولة المغول للإستيلاء على الحكم التي وصلت إلى حد استعمال السيف بينهم، وكان لها آثار سيئة على الأمة هناك، إذ استنفذت طاقة الأمة ومالها فيما عاد عليها بالضرر، وأطمع خصومها وعدوها فيها، ومن رحمة الله بالمسلمين آنذاك أن فتنتها وئدت ولم تدم طويلاً.

* * *

الفصل الثاني

المساجد في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وأثرها في خدمة الدعوة

ويشتمل على مبحثين:

◆ المبحث الأول : مكانة المساجد في الإسلام وجهود سلاطين المغول
في تشييدها.

◆ المبحث الثاني: الدور التعليمي للمساجد في الهند في القرن
الحادي عشر الهجري.

المبحث الأول

مكانة المساجد في الإسلام وجهود سلاطين المغول في تشييدها

للمسجد منزلة عظيمة ورائدة في الإسلام، وأهميته في حياة المسلم واضحة وظاهرة، ففيه يجتمع المسلمون كل يوم خمس مرات؛ لأداء الفرائض التي افترضها الله تعالى عليهم، في صورة بديعة من الخشوع والخضوع لرب العالمين سبحانه وتعالى، حيث قال: ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ ﴾⁽²⁾.

كان المسجد في عهد سلاطين المغول في القرن الحادي عشر الهجري امتداداً لما كان عليه المسجد في القرون السابقة والدول الحاكمة؛ لذا اهتمت الدول التي توالى على الهند منذ فتحها ببناء وتأسيس المساجد، ولم يتوقف ذلك على المدن الكبرى فقط، بل أسسوا المساجد في كل بلدة، وبذلوا أموالاً طائلة في تأسيسها وترميمها⁽³⁾.

فاهتم حكام دولة المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري ببنائها، وقد أتى هذا الاهتمام الكبير من حرصهم على الدين، وعاطفتهم نحو الصلاة، ففي عهد «شاهجهان» - كما تقدم - عندما بدأ في تأسيس المسجد الجامع عام 1060هـ/1560م أعلن في الناس أن الذي يتقدم لوضع الحجر الأساسي له هو الذي لم تفته التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة، ولا صلاة التهجد، فسكت الناس

(1) سورة النور الآيتان 36، 37.

(2) سورة التوبة الآية 18.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 349.

جميعاً، ثم تقدم الملك وقال: الحمد لله، فإنني لم يفتني من ذلك شيء طول العمر، ولكن آسف لإذاعة سرى المكتوم⁽¹⁾.

أما السلطان «أورنك زيب» فقد كان حريصاً أن يصبغ دولته بالصبغة الإسلامية الخالصة، فأمر بتعمير المساجد، وترميم الخرب منها، وأمدّها بطائفة مختارة من الأئمة والوعاظ والمدرسين⁽²⁾.

فجاء اهتمام حكام دولة المغول في الهند في القرن الحادي عشر الهجري بالمساجد نابعاً من تمسكهم بالدين الحنيف، ومن كونه أفضل أعمال البر والخير، ومن أعظم القربات التي يتقرب بها الإنسان المسلم إلى الله تعالى، وقد وعد الله تعالى بناء المساجد بالخير الكثير والفضل العظيم، فعن عمر بن الخطاب، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُذْكَرُ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»⁽³⁾.

وقد ذاع وانتشر حب أهل الهند سواء كانوا من الخاصة أو العامة ببناء المساجد وتشبيده؛ حيث برعوا في بنائها واهتموا بتعميرها وصيانتها وتهيئتها لرواد بيوت الله عز وجل، ولقد أنشأت العديد من المساجد في ظل دولة سلاطين المغول، ومن أشهرها:

1- مكة مسجد:

أول من شرع في بنائه محمد قطب شاه سنة 1023هـ بمدينة «حيدر آباد»، وكان بناؤه من الحجارة المنحوتة، وأنفق على بنائه عشرين ألف «هن» وقد سماه البيت العتيق»، ومات قبل أن يتم البناء، فاعتنى به «عبد الله قطب شاه» ثم

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص250.

(2) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: د/أحمد محمود الساداتي 215/2.

(3) أخرجه: ابن ماجه في سننه ك السنن والجماعات، باب ومن بنى لله مسجداً 243/1، ح رقم 735.

«الحسن تانا شاه»، ثم «عالمكير بن شاهجهان الدهلوي»، وهو الذي أتمه سنة 1098هـ وبذل اسمه بـ«مكة مسجد»، ويبلغ طوله سبعون ذراعاً وعرضه ثلاث وأربعون ذراعاً، وارتفاعه تسعة وأربعون ذراعاً⁽¹⁾.

2- مسجد اللؤلؤة:

يقع داخل القلعة الحمراء، وهي ذلك البناء الضخم الذي بناه السلطان شاه جهان لسكناه⁽²⁾، ويعد هذا المسجد تحفة في عالم البناء، وهو مبنى من الرخام الأبيض الخالص⁽³⁾.

3- مسجد «جهان نها»:

الجامع الكبير ببلدة شاهجهان آباد، بناه شاهجهان بن جهانكير الدهلوي، وقد استغرق بناؤه ست سنين، وأنفق عليه ألف ألف روبية، وهو على أكمه خارج القلعة على مسافة ذراع منها على جهة المغرب، وهو كبير الساحة، حيطانه وسقفه وفرشه من حمر الحجارة، وفي جهاته أربع إيوانات، وأربع قباب من تلك الحجارة، وفي داخل المسجد ثلاثة أصرح، وعليها ثلاث قباب بيض الحجارة المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصا ص أتنقن إلصاق، وفيه منارتان مرتفعتان غاية الارتفاع من بيض الحجارة، تتخللها الحجارة السوداء، وعليها قبتان، وفيه ثلاثة أبواب منيعة مرتفعة في الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية، وفي الساحة الكبيرة حوض ملأ من الماء للوضوء، وفي أبواب المسجد وطا قاته كتابات من الحجارة السود المنحوتة من الآيات الكريمة، وهو مما لا نظير له في الدنيا⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص352.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص248.

(3) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص294.

(4) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص352.

4- المسجد الجامع أو جامع مسجد :

يعد المسجد الجامع أضخم مسجد بناه سلطان في الهند كلها في مدينة «دلهي»، يقوم على مرتفع من الأرض وهو مكشوف في قسم كبير منه، وفي وسطه حوض كبير للوضوء، والجزء الغربي منه مسقوف، يقوم على أعمدة ضخمة، أرضه من المرمر الأبيض الناصع، ويتجلى على جدرانه وأعمدته الفن الرفيع والمجهود الجبار الذي بذل في تحليلته، أمر شاه جهان ببنائه في عام 1060هـ/1650م⁽¹⁾.

وقد تم بناؤه في ستة أعوام، وتنافس أمراء الأقاليم في إرسال الأحجار والمرمر لبنائه، وقد افتتح أول مرة بصلاة عيد الفطر فيه في موكب ملكي حافل، ثم توالى التحسينات فيه بعد ذلك، وله ثلاثة أبواب: الباب الكبير الشرقي المواجه للقلعة وباب شمالي وثالث جنوبي، يصعد إليه بدرجات كثيرة⁽²⁾.

وقد أشار الرحالة بيرنير إلى خطبة أمام المسجد الجامع يوم الجمعة، وذلك في حضور السلطان شاهجهان، جاء فيها: «يا إلهي، أعز الإسلام وشرفه، وأعز شيوخ الإسلام بقوة أبدية، وأعز عبدك السلطان، ابن السلطان، حاكم القارتين، وسيد البحرين، الفاتح الغازي المجاهد، السلطان أبو المظفر شهاب الدين محمد شاهجهان الغازي، أدام الله عزه وملكه، اللهم احفظه واحفظ عساكره، وكن له عوناً وعضداً، وامنحه القوة لقمع المردة والمنافقين، اللهم احفظ بلادنا وانشر الإسلام في ربوع مدننا الإسلامية، وأدم عليها نعمة الأمن والصحة والعافية، واحفظ عبيدك وحجاج بيت الله الحرام والمجاهدين، واحفظ كلمة المسلمين في البر والبحر»⁽³⁾.

(1) ينظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش ص294.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر ص250.

(3) مدني دلهي وأكره كما شاهدها الرحالة الفرنسي بيرنير دراسة تاريخية في طبيعة المدينة الإسلامية في الهند (القرن السابع عشر الميلادي): أ.د/أحمد محمد الجوارنة ص21، قسم التاريخ جامعة اليرموك.

5- موتى مسجد ببلدة أكبر آباد:

الذي أمر ببنائه شاهجان بن جهانكير، واستغرق بناؤه سبع سنين، وبذل عليه ثلاثمائة ألف روبية، كله من المرمم، ارتفاعه من سطح الأرض أحد عشر ذراعاً، وفيه ثلاث قباب، قطر كل واحدة منها تسعة أذرع، وفيه ثلاث ساحات، منها إحدى وعشرين أود وستة أبراج، وعلى كل واحدة منها قباب على الشكل المثلث، قطر كل واحدة منها أربعة أذرع، وطول المسجد ست وخمسون ذراعاً، وعرضه أحد وعشرون ذراعاً، وارتفاع المسجد عن الساحة الكبيرة بقدر ذراع، وفي جهتيه منارتان مرتفعتان، طول كل واحدة منهما مائة وسبعون ذراعاً، والعرض ثلاثة أذرع ونصف، وعلى ظاهره كتابة من الحجاره السوداء، وفي الساحة الكبيرة حوض ملأ بالماء للوضوء، وفي جهاته الثلاث إيوانات من المرمم، وأبواب ثلاثة من الشرق، والجنوب، والشمال، غاية في الحسن والارتفاع⁽¹⁾.

6- جامع كبير بلاهور:

بناه الوزير عليم الدين الجنيوتي اللاهوري، في أيام ولايته على لاهور من قبل السلطان شاهجهان بن جهانكير، وهو من أحسن الجوامع وأشهرها⁽²⁾، وهو عامر إلى اليوم⁽³⁾.

7- الجامع الكبير بأجمير:

أسسه شاهجهان بن جهانكير سنة 1037هـ، والجامع كله من المرمم وفيه أحد عشر محراباً، وطوله خمس وخمسون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، وطول الساحة سبعون ذراعاً، وعرضها أربعة عشر ذراعاً⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الهند في العصر الإسلامي: عبد الحي الحسني ص352.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني ص589 - 590.

(3) ينظر: الهند في العصر الإسلامي ص353.

(4) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص353.

8- المسجد الكبير بأكراه⁽¹⁾:

أسسه الأمير قاسم بن المراد الجنوبي في أيام السلطان شاهجهان بن جهانكير⁽²⁾.

9- الجامع الكبير بلاهور:

أسسه السلطان أورنگ زيب عالمكير وكان بناؤه من حمر الحجارة المنحوتة، وبيضاها، وكان في غاية الحسن والحصانة، وأنفق على بنائه خمسمائة ألف روبية، وهو المشهور بـ«شاهي مسجد».

10- الجامع الكبير بنمارس:

بناه «عالمكير» من الحجارة المنحوتة، وهو من أشهر المساجد في بلاد الهند⁽³⁾.

هذه أمثلة للمساجد التي أنشئت في الهند في القرن الحادي عشر الهجري، بجانب كونها داراً للعبادة فهي مدارس وجامعات يدرس فيها الطلاب على أيدي علماء أكفاء.

* * *

(1) تحتوي مدينة أكره وحدها على سبعون مسجداً. ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي: د/عصام الدين عبد الرؤوف ص498.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني ص603.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني ص603.

المبحث الثاني

الدور التعليمي للمساجد في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

كانت المساجد في هذا العهد امتداداً لمساجد القرن الأول في الإسلام، حيث إنها كانت دوراً للعبادة ومجالس شورى للمسؤولين والأمة، ومدارس وجامعات لطلاب العلم والمعرفة من كل الأنحاء، كما أنها كانت عامل جذب لما كانت تشعه من نور للإسلام لأصحاب الديانات الأخرى وخاصة الهندوسية، تلك الديانة التي كانت سائدة في هذه البقاع وما حولها.

على أن المهمة الكبرى للمساجد والرسالة العظمى لها هي التعليم، والتعليم نشاط بارز ومهمة أصيلة من مهامها، والناظر في النصوص الإسلامية يجد أنها حثت أتباعها على التعلم في المسجد، ووعد من يفعل ذلك بعظيم الأجر والثواب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ»⁽¹⁾.

فقد خرجت هذه المساجد علماء أجلاء؛ وذلك لأنهم تعلموا أيضاً على أيدي علماء كبار فرغوا أنفسهم للتدريس في تلك المساجد، على أنه مما لا شك فيه أن هؤلاء العلماء الذين درسوا في تلك المساجد كانت خطب ودروس متنوعة في شتى أصول الإسلام وفروعه العلمية والعملية، فحلقات التدريس كانت تعقد في المساجد الجامعة بالمدن الهندية، وفي كل مسجد من المساجد الجامعة في بلاد الهند في العهد المغولي كانت مزدهمة ازدهاماً كبيراً بطلاب العلم، فكانت الدروس المتنوعة من تفسير وحديث وفقه، لكن للأسف لم تذكر كتب التراجم

(1) جزء من حديث، أخرجه: مسلم في صحيحه ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعل الذكر 2047/4، ح رقم 2699.

والتاريخ شيئاً من هذه الدروس والخطب، ومن أشهر العلماء الذين درسوا في المساجد في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

- 1- **الشيخ العالم الفقيه أبو البقاء بن درويش محمد الحسيني الجونبوري (ت 1040هـ):** أحد الفقهاء الحنفية، ولد ونشأ بجونبور، وقرأ العلم على والده وعلى غيره من العلماء، ثم تصدر للتدريس وكان شديد الذكاء سريع الإدراك قوى الحافظة حلو المنطق، درس وأفاد مدة مديدة في بلدته⁽¹⁾.
- 2- **الشيخ العالم المحدث: أبو رضا بن إسماعيل الحقي الدهلوي (ت 1063هـ):** أحد كبار العلماء، ولد ونشأ بدهلى وأخذ العلم عن جده لأمه الشيخ المحدث عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوى، ولازمه ملازمة طويلة وتنبل في أيامه، أخذ عنه الشيخ مبارك بن فخر الدين البلراكى وخلق آخرون وكان يدرس ويفيد، سافر في آخر عمره إلى الحجاز، فحج وزار، ورجع إلى الهند⁽²⁾.
- 3- **الشيخ الفاضل العلامة: أحمد بن إسحاق بن محمد بن أحمد بن محمود بن العلاء الشريف الحسيني النصير آبادي (ت 1088هـ):** ولد ونشأ بنصير آباد، وقرأ المختصرات في بلدته ثم سافر إلى إله آباد، وأخذ عن الشيخ محب الله الإله آبادى صاحب «التسوية»، ولازمه مدة من الزمان، حتى برز في العلوم أصولاً وفروعاً تأهل للفتوى والتدريس، فرجع إلى بلدته واشتغل بالدرس والإفادة مدة طويلة، وقد أخذ علم التصوف عن الشيخ: آدم بن إسماعيل الحسيني البنورى بمدينة كواليار، فأخذ عنه ونال الخلافة منه حتى رحلته إلى الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً، وقد وافته المنية سنة ثمان وثمانين وألف بنصير آباد فدفن بفناء مسجده⁽³⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 465/5.

(2) ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 469/5.

(3) المرجع السابق 478/5.

- 4- الشيخ أحمد بن عبد الله التموريالي القصوري (ت 1030هـ): ولد ونشأ بمدينة «قصور»، وسافر للعلم إلى لاهور، وقرأ العلم على الشيخ إسحاق بن كاكو اللاهوري، ثم أخذ عنه الطريقة ولازمه مدة من الزمان، ثم تصدر للتدريس، وكان معاصراً للشيخ عبد الحق ابن سيف الدين الدهلوي، والشيخ عيسى بن قاسم السندي، والشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، قال اللاهوري في «خزينة الأصفياء»: أنه كان كثير الدرس والإفادة غير ميل إلى التصنيف، ويقول: إن في مصنفات القدماء كفاية لمن له دراية⁽¹⁾.
- 5- الشيخ الصالح بير محمد بن عبد النبي بن أبي الفتح بن إله داد ابن من الله بن بهاء الدين العمري الجونبوري، ثم السلوني «ت 1099هـ»: ولد سنة (996هـ) بمدينة «سلونو»، سافر للعلم إلى مانكبور، وجد في البحث والاشتغال حتى لقي الشيخ عبد الكريم بن سلطان المانكبوري فلازمه ستة أشهر، وقرأ عليه الهداية والبيضاوى، وأخذ عنه، ولما بلغ رتبة الإرشاد استخلفه الشيخ عبد الكريم ورخصه إلى بلدته، وكانت عامرة في ذلك الزمان بطائفة من الهنود يقال لهم «السياسيون» إذ قال لهم: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين، ثم اتبعوه وأسلموا لله رب العالمين، فصار مقصداً في الإرشاد والتلقين، وأخذ عنه غير واحد من المشايخ منهم: السيد علاء الدين السنديلوى، والسيد بدر الدين البريلوى، وغيرهما⁽²⁾.
- 6- الشيخ العالم الصالح جان محمد الحنفي الصوفي اللاهوري، كان يدرس بـ«لاهور» في مسجد القصاب «ت 1082هـ»⁽³⁾.

(1) المرجع السابق 487/5، 488.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحسني 506/5.

(3) المرجع السابق 510/5.

7- الشيخ العالم جمال الدين الحنفي البرهانپوري كان يدرس ويفيد في مسجد الشيخ إبراهيم الشطاري بمدينة «برهانپور»⁽¹⁾.

ويمكن تصور شكل التدريس بتلك المساجد، بأنه كان من عادة هؤلاء العلماء أن تعقد لهم حلقات للتعليم، فيجلس على حصير أو بساط ووسادة، أو كرسي مرتفع حتى يسمعه الحاضرون، ويلتف حوله الطلاب، ويكونون حلقة علمية، وكانت الحلقات في المساجد تتفاوت في حجمها حسب مكانة الشيخ العلمية، وحسب ظروف العمل للطلاب.

فالحلقات العلمية لم تكن يتساوى فيها عدد الحاضرين في كل حلقة، بل كان الأمر يختلف من عالم لآخر، فبعض الحلقات كان يتواجد فيها الآلاف من طلاب العلم، وحلقات أخرى ليس فيها إلا عدد قليل من الطلبة، وكلما كان شيخ الحلقة واسع الاطلاع متمكناً من علمه كلما زاد عدد المقبلين على حلقاته.

وقد يرجع الاختلاف لنوع العلم الذي يدرس وحسب رغبة كل طالب في دراسة علم من علوم، وكانت تلك الحلقات يدرس فيها دراسات مختلفة وعلوم مختلفة، فكانوا يدرسون العلوم الدينية من علوم القرآن وتفسيره والحديث والفقه وعلم الكلام، كما كانت أيضاً العلوم الأخرى مثل الفلسفة والطب والتاريخ والنحو والأدب إلى غير ذلك.

الأثر الدعوي للمساجد في القرن الحادي عشر الهجري:

سبق القول بتمتع المسجد في الإسلام بمكانة عظيمة في الإسلام، ولهذا لا يستطيع أحد أن ينكر دوره في نشر الدعوة الإسلامية وتربية الأجيال على الصلاح والتقوى، فهو وسيلة مهمة من وسائل الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان، فهو «قلب المجتمع الإسلامي وملئقى المؤمنين بالعدو والأصاال لأداء حقوق الله، واستلهاهم الرشد، واستمداد العون منه جل شأنه، وهو مصدر طاقة

(1) المرجع السابق 515/5.

عاطفية وفكرية بعيدة المدى، خصوصاً أيام الجُمع عندما تنصت جماهير المصلين في سكينه وخشوع لإمام وهو يشرح لهم تعاليم الإسلام، ويبين لهم حدود الله، ويفقههم على ما في الكتاب والسنة من عظات وآداب»⁽¹⁾.

فالمساجد جامعة الإسلام العليا، والمركز الرئيسي التي تنطلق منها الدعوة الإسلامية، ومن الآثار الدعوية للمساجد في العهد المغولي في القرن الحادي عشر الهجري ما يلي:

1- التزام الناس بتعاليم الإسلام وتطبيقها تطبيقاً عملياً على أرض الواقع: فمن هذا الأثر أصبحت حياة المسلمين على جملتهم في المجتمع الهندي حياة إسلامية، وجاء هذا الالتزام نتيجة طبيعية للدور والجهد الكبير الذي قام به الدعاة من العلماء الأفاضل الذين عملوا على تقوية الإيمان وترسيخه في النفوس، وتوثيق صلة الناس بربهم سبحانه وتعالى، وغرس قيم الإسلام النبيلة ومبادئه السامية في النفوس، وهذا التمسك بالدين الذي غرسه العلماء والدعاة في قلوب الشعب الهندي إنما كان في المسجد وفي غيره من أماكن التعليم، إلا أنه في المسجد كان أكبر، وكذلك نتيجة ارتباط الهنود بالمساجد واهتمامهم بعمارتها، فالإنسان المسلم حينما يجد نفسه مرتبطاً بالله خمس مرات في اليوم واللييلة، فهذا يدفعه دفعاً إلى المسارعة في فعل الخيرات والطاعات، وتجنب الآثام والمنكرات، ويحول بينه وبين ارتكاب المعاصي والموبقات، فالصلاة تحول بينه وبين الموبقات والآثام، إذ تضيق على الإنسان ليس فقط فعل المعاصي، بل تضيق عليه مجرد التفكير فيها؛ لأنه لا يكاد ينتهي من أداء صلاة من الصلوات المفروضة عليه حتى يأتي موعد الصلاة التي بعدها، ومع تكرار ذلك يبتعد المسلم نهائياً عن اقتراف

(1) ينظر: خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، إعداد: قطب عبد الحميد قطب، مراجعة د/ محمد عاشور ص19، القاهرة: دار الاعتصام، د.ت.

الذنوب، فالمسجد يربي ضمير المسلم ويعوده على مراقبة الله تعالى وخشيته في السر والعلن، فلا يقدم على ارتكاب أي معصية خوفاً من الله تعالى وطاعة له، ومتى تحقق ذلك حل السلم والسلام والأمن والأمان في المجتمع، كما كان للمساجد الدور المهم في غرس الإيمان في القلوب، وترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس، من الإيمان بالله تعالى وحده وأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وكذلك بقية أركان العقيدة وأسسها، والتحذير من كل ما يناقض هذه العقيدة من صور الشرك المختلفة ومداخل الشيطان المتعددة التي تنغص على المسلم عقيدته.

2- أشاعت المساجد بين روادها روح التعاون والتكافل، ففي كل وقت يجتمع فيه المسلمون في المسجد بعد الصلاة يتعرفون على بعضهم البعض، ويتفقدون أحوالهم، ويكفل الغني الفقير، ويعاون القوى الضعيف، ويمد الصحيح يد العون إلى المريض، ولا يقتصر التعاون والتكافل بينهم على المساندة المادية فقط، بل شملت كل ما يحتاجه الناس في دنياهم من أمور، فمتى وجد المسلم أخاه في محنة أو أزمة من أزمات الحياة، ساندته وعاونته بكل ما لديه من إمكانيات حتى يتمكن من الخروج من أزمته ومحنته، ويشاركه في كل أحزانه وأفراحه، ويقدم له النصيحة متى احتاج إليها، كل هذا مما فهمه المسلمون من قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽¹⁾. ومن قول النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي

(1) سورة المائدة من الآية 2.

عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...»⁽¹⁾. فالمساجد كان لها أثرها الطيب في تقوية أواصر المودة والمحبة والألفة والأخوة بين المسلمين في بلاد الهند؛ حتى إنهم كانوا يتنافسون فيما بينهم على أعمال الخير ومساعدة بعضهم البعض كميزة للمسلمين في كل مكان.

3- كانت المساجد على عهد سلاطين المغول في القرن الحادي عشر الهجري المدرسة والجامعة التي تربي فيها طلاب العلم، وتخرج منها عدد وفير من العلماء الأفاضل الذين صار لهم دور بارز في مجال الدعوة إلى الله تعالى، كما كانت لهم جهودهم في كل ميادين المعرفة، وكان هذا موازياً لما كانت تقوم به المدارس التي كانت منتشرة في هذا العصر بكثرة.

4- برز عدد كبير من العلماء الذين التف حولهم الدعاة وطلبة العلم ينهلون من علومهم، ويتعلمون كيفية الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وتعلم كيفية الجدل وأصوله ودعائمه وأأسسه.

5- برز دور المساجد الكبير في نشر الثقافة الإسلامية والعلم النافع بين كافة الهنود في هذا القرن، فرواد المساجد من الطلاب والعامة تعلموا الكثير من العلوم النافعة لهم في دينهم ودنياهم من خلال حضورهم حلقات العلم المختلفة وخطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد، وحلقات الذكر وقراءة القرآن، ومن ثم انتشر العلم والثقافة بين الهنود.

6- برز دور المساجد الفعال في تصحيح المفاهيم الخاطئة في المجتمع ومواجهة البدع والخرافات والأفكار الهدامة ورد الشبهات والأباطيل، وتصحيح الأوضاع الفاسدة فهذا كله كان يدور في أروقة المدارس والمساجد.

(1) جزء من حديث، أخرجه: مسلم في صحيحه ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعمل الذكر 4/2047، ح رقم 2699.

7- إحياء روح الجهاد في سبيل الله تعالى واستنهاض الهمم في الدفاع عن الإسلام وأرضه ومقدساته، فرايات الجهاد كانت تعقد وتخرج من المساجد، ففتح الله تعالى على المسلمين مشارق الأرض ومغاربها، وعلت راياته كل مكان.

* * *

الفصل الثالث

المدارس والمكتبات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري وأثرها في الدعوة الإسلامية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- ◆ المبحث الأول : المدارس في القرن الحادي عشر الهجري.
- ◆ المبحث الثاني : المكتبات في القرن الحادي عشر الهجري.
- ◆ المبحث الثالث : الأثر الدعوي للمدارس والمكتبات في القرن الحادي عشر الهجري.

المبحث الأول

المدارس في القرن الحادي عشر الهجري

شهدت بلاد الهند في القرن الحادي عشر الهجري تقدماً وازدهاراً ملحوظاً في ظل حكم المغول، وكانت هناك نقلة نوعية في المراكز المخصصة للتعليم، فقد كانت المراكز التعليمية في بادئ الأمر تقتصر على المساجد والكتاتيب والمجالس العلمية التي يعقدها العلماء في دورهم الخاصة أو في الأسواق أو في قصور الأمراء والوزراء أو غيرها، وكان العلماء في تلك المراكز التعليمية يلقون دروس العلم المختلفة من التفسير والحديث والفقه...، إلى غير ذلك، وظل الوضع على الحال إلى أن حصلت النهضة العلمية في العالم الإسلامي، فظهرت فكرة تشييد مؤسسات خاصة بالتعليم دون سواه، وسميت تلك المؤسسة بالمدرسة.

وقد اختلف المؤرخون حول بداية نشأة المدرسة الإسلامية، فمنهم من قال: إنها ظهرت في عهد نظام الملك⁽¹⁾ الذي أنشأ المدرسة النظامية سنة 459هـ، ومنهم

(1) الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي، عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم، وأدر على الطلبة الصلوات، وبعد صيته، وكان أبوه من دهاقين بيهق، وتنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكة على أتم ما ينبغي، وخفف المظالم، ورفع بالرعايا، وبنى الوقوف، وهاجرت الكبار إلى جنبه، وازدادت رفعت، واستمر عشرين سنة، وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسر ويكي، مولده في سنة ثمان وأربع مئة، وقتل صائماً في رمضان، بضربة بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك ليلة جمعة سنة خمس وثمانين وأربع مئة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله.

ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: الذهبي 94/19-96، الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ) 1-204/210، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، =

من قال: إنها كانت قد ظهرت قبل ذلك بكثير، ولكن تظهر المصادر والكتب المتخصصة أن المدرسة في أول ظهور لها كان في أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث الهجري، وهذه المدرسة هي مدرسة الإمام أبي حفص الفقيه البخاري (150هـ-217هـ)، ويبدو من نسبتها إلى مؤسسها أنها قد أسست أثناء حياته، وأبو حفص البخاري من الفقهاء الذين تزعموا الحركة الفكرية في «بخارى»، ثم نشطت حركة إنشاء المدارس في بلاد المشرق بعد هذا التاريخ⁽¹⁾.

وأما في الهند فلم يكن عندهم معرفة لإنشاء المدارس على الطريقة المعروفة الآن؛ فإن ملوك الهند كانوا يوظفون رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرون عليهم الأرزاق؛ ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة، رئيس ما يختاره فيأخذ عنه، وأولئك الرؤساء والعلماء كانوا يدرسون في المساجد والزوايا وفي بيوتهم، وبعضهم كانوا يدرسون حسبة لله، لا يترددون على الملوك والسلطين، ولا يقبلون نذورهم وجراياتهم، ومع ذلك فإن بعض الملوك والأمراء أسسوا قصوراً للمدارس، وبنوا فيها دوراً، ومسكن، ومقاصير، ورتبوا في كل موضع أهل العلم للإفادة والتدريس، ورتب الرواتب للطلبة⁽²⁾.

وقد اهتم المغول اهتماماً بالغاً بإقامة المنشآت التعليمية والمدارس والمعاهد، وخاصة في مدينة «دهلي» وبقية المدن الهندية الأخرى، إلا أن نصيب مدينة «دهلي» كان يفوق غيرها من المدن من حيث عدد المؤسسات التعليمية⁽³⁾ وعناية

= بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ/1997م، البداية والنهاية: ابن كثير 140/12، 141.

(1) ينظر: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي: د/محمد علي الصلابي ص299، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1428هـ/2007م.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص356.

(3) ذكر القلقشندي عن المدارس المنتشرة في دهلي، وقال: إن فيها ألف مدرسة واحدة للشافعية وبقايتها للحنفية.

ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلقشندي (ت 821 هـ) 66/5، =

الدولة بها، وكانوا يوفرّون كافة احتياجات تلك المدارس من خلال منحها أوقافاً واقطاعات خاصة بها تقوم على تمويلها مالياً⁽¹⁾.

إلا أن نظام التعليم في الهند خلال العصور الإسلامية يشبه نظام التعليم في البلدان العربية والإسلامية الأخرى، من حيث وحدة المناهج، لا سيما المتصلة بالعلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة، وكذلك الحال بالنسبة لبناء المدارس والكتاتيب والمساجد والمكتبات، وإن وجد اختلاف بين التعليم في الهند وبقية بلدان العالم الإسلامي، فلم يتعدى مضمار اللغة فقط؛ إذ أن اللغات التي كانت تنتشر في الهند هي لغات متنوعة، وكذلك هناك ثقافات متنوعة أيضاً، فهناك اللغة الفارسية واللغة العربية واللغة الهندية (السنسكريتية) واللغة الأردية، وذلك بحكم الموقع الجغرافي والتباين العرقي اللذين فرضا نفسيهما على دول الإسلام في الهند، وهو ما لم يتوفر في أي منطقة عربية وإسلامية أخرى، ويلاحظ أن التعليم في الهند انقسم إلى قسمين: تعليم عام، وتعليم خاص⁽²⁾.

فالتعليم الخاص أنه كان يأتي الأب بمعلم لأبنائه⁽³⁾، وهذا النوع من التعليم انحصر في الغالب في تدريس وتعليم أبناء الملوك والسلطين.. فنجد السلطان «جلال الدين أكبر» خصص لتعليم أبنائه أحد العلماء الكبار، وهو الشيخ أبو الخير بن المبارك الناكوري الدهلوي، أما السلطان «شاه جيهان» فقد عين الشيخ علي بن محمد المقيم الخطاط معلماً ومربياً لابنه «عالم كير» ومنه تعلم أنواع الخطوط العربية كالشكسته، والنسخ، والنسخ تعليق، والكوفي والفارسي...، أما التعليم العام: فإنه

= شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م.

(1) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص175.

(2) المرجع السابق ص176.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص423.

سيطر على مسار الحركة التعليمية في كافة المناطق الهندية الخاضعة لحكم المسلمين، حيث كان بمقدور طلبة العلم تحصيل علومهم في أماكن مخصصة لهذا الغرض كالمسجد، والخانقاه، والمدرسة، والكتاب⁽¹⁾.

ويمكن ذكر نبذة عن كل واحدة من هذه الوسائل على النحو التالي:

1- المساجد: سبق القول عن المسجد في الإسلام ومكانته وأثره وحلقاته الوعظية والتعليمية وإليها يرجع الفضل والسبق في نشر التعاليم الإسلامية واللغة العربية؛ فإنها كانت حينذاك معاهد لتعليم اللغة العربية ومراكز لتدريس العلوم الإسلامية، على أن المساجد كان ولا يزال لها حرمتها التي تفرض على روادها السكينة والوقار، والجدل والنقاش في بعض المسائل قد يؤدي في بعض الأحيان إلى رفع الصوت أو الخلاف والنزاعات مما استوجب استحداث مؤسسات تعليمية تحوي وتستوعب هذا الأمر، فظهرت المدارس بعد ذلك لتحقيق هذا الغرض.

2- الخانقوات أو الزوايا للصوفية: كانت هذه الأماكن وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية إذ كانت خاصة بالصوفية، الذين كان من مقاصدهم نشر العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة، وكان أكثرهم صاحب ذوق أدبي وعلمي رفيع، وكانت من طرائقهم أنه لا يمكن معرفة الله تعالى بدون العلم، وأن الصوفي الجاهل ألعوبة الشيطان، ولذلك نراهم لم يستخلفوا للدعوة إلى الله من النجباء ذوي الكفاءة والاستعداد إلا بعد التحصيل العلمي، وإلى هؤلاء الصوفية يرجع الفضل الكبير في تشجيع الحركة التعليمية في ذلك الوقت إما بطريق مباشر أو غير مباشر.

(1) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص176، 177.

3- **المدارس المستقلة:** وقد عرفت الهند بالمراكز التعليمية المشهورة⁽¹⁾، كما عرفت دولة المغول الراحية للثقافة والتعليم، وفي عصرها انتشرت آلاف المدارس في كل مدينة وقرية من أرض الهند⁽²⁾.

ولم تختلف مناهج التعليم ومقررات الدراسة في المدارس في عصر الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم الهند، عن بقية المناهج المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي، فالتعليم الديني هو الذي طغى على العملية التعليمية وسيطر على حركتها⁽³⁾، وكان المنهج المتبع هو إتقان اللغة والقرآن والكتابة والحساب وذلك في المرحلة الأولى⁽⁴⁾، ثم يلتحق التلميذ بشيخ يعلمه المنطق والفلسفة والنحو والصرف والفنون، هذا بجانب أصول الدين، وعقب ذلك يلتحق الطالب بإحدى المدارس الكبرى ليدرس أحد العلوم تفصيلاً. وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك مراكز ومؤسسات لتدريس العلوم المختلفة مع انتشار المدارس الخاصة والعامة، وكان

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 547 - 549.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص 178.

(3) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص 194، 195.

(4) تبدأ هذه المرحلة والأطفال في سن الخامسة، وتنتهي وهم في سن الثامنة، وكانوا يذهبون إلى المدرسة من شهر سبتمبر إلى شهر فبراير، وبعد تلك المرحلة يلتحق التلميذ بشيخ أو معلم ليعلمه الأدب والسلوك والنظام، وفي سن السادسة عشرة يلتحق بإحدى المدارس الكبرى في ربوع الهند، وأحياناً كان التلميذ يتم المرحلتين الأولى والثانية في قريته، ثم يلتحق في المرحلة الثالثة بكبرى المدارس المتخصصة، ومن ثم تتكفل الحكومة بتوفير المسكن اللازم له مع الطعام والشراب والأدوات الدراسية.

ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 443، السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 562.

يُدرس بها الأساتذة والعلماء في موادهم العلمية الخاصة، وكان طلبة العلم يشتركون في هذه المجالس العلمية الخاصة لتحصيل المواد على حسب التخصص، أما المقررات الدراسية في مرحلة الدراسات العليا؛ فكانت مواد التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والآداب وعلم المعاني والمنطق والفلسفة...، وهذه المقررات الدراسية كانت تدرس من خلال المؤلفات الشهيرة في ذلك الوقت⁽¹⁾.

أشهر المدارس التي أنشئت في الهند في القرن الحادي عشر الهجري: من أشهرها:

1- المدارس في مدينة دلهي:

أ- مدرسة الشيخ عبد الحق المحدث، أسس هذه المدرسة العليا السلطان المغولي «جيهان كير» تكريماً للشيخ الداعية عبد الحق بن سيف الدين، وقد اهتمت هذه المدرسة بنشر الدعوة الإسلامية في دلهي وأنحاء متفرقة من الهند، وساهمت المدرسة في تطور وازدهار العلوم والمعارف الإسلامية بأنواعها المختلفة في الهند، كما لعبت دوراً مميزاً في نشر الإسلام في ربوع الهند، وقام على خدمتها معظم علماء وفقهاء ذلك العصر⁽²⁾، وهي أول مدرسة بدلهي للحديث الشريف⁽³⁾.

ب- المدرسة الكبيرة والتي بناها شاهجهان بن جهانكير الدهلوي فيما بين سنة 1060هـ-1070هـ بمدينة جهان آباد عند الجامع الكبير، وسماها «دار البقاء»، وولي التدريس بها الشيخ يعقوب البياني، وتلك المدرسة كانت عامرة إلى مدة طويلة ثم درست، فعمرها المفتي صدر الدين الدهلوي،

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص555، 556.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص179.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص360.

وجددّها بنفقتّه، ثمّ وظف العلماء بها للتدريس، فدرّسوا بها زماناً صالحاً، ثم درست سنة 1273هـ⁽¹⁾.

ج- مدرسة فاتح بوربيكم: قامت ببنائها دراسة المملكة المغولية «نواب فاتح بوري بيكم» إحدى زوجات السلطان «شاه جيهان»، وذلك بجوار مسجدّها الشهير بفاتح بوري مسجد» سنة 1059هـ/1649م، وقد بنيت هذه المدرسة من الرخام والقرميد الأحمر، وهو ما أضفى عليها شكلاً معمارياً وهندسياً غاية في الجمال والروعة، أما المسجد فقد احتوى على غرف وقاعات صفيه للمدرسين والتلاميذ⁽²⁾.

د- مدرسة «أكبر آبادي بيكم» والتي أسستها «أكبر آبادي بيكم» زوجة السلطان شاهجهان سنة 1040هـ في الجامع الكبير، الذي بناه من الحجارة المنحوتة، وفيه دور ومقاصير، ومسكن لأهل العلم، ودكاكين كثيرة حولها، وكانت عامرة إلى آخر عهد الملوك التيموريين، درّس بها الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي مدة من الزمان، ثم قلّعها الإنجليز سنة 1273هـ⁽³⁾.

هـ- مدرسة مير جملة: تم بناء هذه المدرسة على يد الأمير «مير جملة»، أحد نبلاء وقادة الدولة المغولية في عهد السلطان «عالم كير الأول»⁽⁴⁾.

2- المدارس في البنجاب:

أ- مدرسة لاهور: أسسها الشيخ محمد فضل البدخشاني سنة 1634م، وكان يشغل منصب قاضي القضاة في البنجاب في عهد السلطان المغولي «جيهان كير» و«شاه جيهان»⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق ص360.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص180.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص361.

(4) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص181.

(5) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص183.

ب- مدرسة العلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي بمدينة «سيالكوت»، وقد منحه شاهجهان بن جهانكير الدهلوي لذلك قرى عديدة، فدرس بها العلامة المذكور مدة من الدهر، ثم ولده الشيخ عبد الله، ثم أولاده، وانتفع بها خلق كثير، إلى زمان بعيد⁽¹⁾.

ج- مدرسة تهانسير: وقد تم إنشاؤها على مقربة من ضريح الشيخ عبد الرحيم المعروف بشيخ «تشيلي»، وقد أعيد ترميم المدرسة سنة 1650م، على يد الأمير المغولي «دارا شيكوه»، وذلك بعد خرابها⁽²⁾.

3- المدارس في آكره:

المدرسة العظيمة في الجامع الكبير: بنتها الأميرة «جهان آرابيكم» بنت السلطان شاهجهان بمدينة أكبر آباد تجاه القلعة⁽³⁾، وقد خصصت لها اقطاعات كثيرة من أجل المحافظة عليها وعلى نشاطها العلمي⁽⁴⁾.

4- المدارس في جانبور وبيهار والبنغال:

أ- مدرسة الشيخ محمد أفضل: أسست على يد الشيخ العلامة «محمد أفضل العثماني» (ت 1650م)⁽⁵⁾، وقد تخرج منها خلق كثير منهم محمود بن

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص358.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص184.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص363.

(4) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص185.

(5) محمد أفضل بن محمد حمزة بن محمد سلطان بن فريد الدين بن بهاء الدين العثماني الجونبوري المشهور بأستاذ الملك، ولد «ببردولي» من أعمال «أوده» في 16 من رمضان سنة 977هـ، واشتغل بالعلم على أبيه، ثم سار إلى دهلي وأخذ عن الشيخ حسين العمري، وعن الشيخ أبي حنيفة، وجد في البحث والاشتغال حتى برع في العلم =

محمد الجونبوري صاحب الشمس البازغة، والشيخ محمد رشيد صاحب الرشيدية⁽¹⁾.

ب- مدرسة باتنا: وهي من المدارس التعليمية التي اشتهرت في نشر العلوم الإسلامية في الهند⁽²⁾، وقد بنيت هذه المدرسة ببلدة عظيم آباد، وقد بناها نواب سيف الدين خان سنة 1067هـ على ضفة نهر «كنك» في مكان رفيع، وبنى عنده مسجدًا رفيعًا، وحوله دورًا ومساكن للعلماء والطلبة، ووقف عليها قرى عديدة⁽³⁾.

ج- المدرسة الكبيرة بدانا بور: وتقع على بعد ستة أميال من عظيم آباد، وقد شرع في بنائها نواب آصف خان، وأتمها نواب «هيبه جنك» وبنى عندها مسجدًا كبيرًا، وقد بنى كلاهما من الحجارة المنحوتة في غاية الحسن والمتانة⁽⁴⁾.

= وأفتى ودرس وله نحو العشرين وصار من أكابر العلماء فدخل جونبور وسكن بها وأخذ الطريقة عن الشيخ عبد القدوس القلندر الجونبوري ودرس وأفاد، أخذ عنه الشيخ محمود بن محمد العمري الجونبوري «والشيخ عبد الرشيد وغيرهم، توفي في 19 من ربيع الآخر سنة 1062هـ.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 628/5، أبجد العلوم: أبو الطيب محمد صديق خان ابن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت 1307هـ)، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ/2002م، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام على آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص118.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص365.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص187.

(3) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص365.

(4) ينظر: المرجع السابق ص365.

5- المدارس في الكجرات:

- أ- مدرسة أحمد آباد: بناها «سيف الدين خان جهانكير»⁽¹⁾ بمدينة أحمد آباد، تجاه القلعة سنة 1032هـ، حين كان متولياً بديوان الخراج في كجرات في أيام جهانكير بن أكبر شاه التيموري⁽²⁾.
- ب- المدرسة التي بناها زاهد بيك التاجر بمدينة سورت سنة 1041هـ⁽³⁾. وقد أدت «تلك المجهودات في بناء المدارس؛ زاد عدد المتعلمين في البلاد، وانتشرت الثقافة، وتطور المجتمع»⁽⁴⁾.

أشهر من تولى التدريس بمدارس الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

- تولى التدريس في المدارس الهندية علماء أخذوا على عاتقهم تربية جيل كامل، ونشر الإسلام من خلال تلك المدارس، وجعلها وسيلة من وسائل الدعوة، وهم كثر في القرن الحادي عشر الهجري وهذه أسماء بعضهم:
- 1- الشيخ العالم أبو سعيد بن عبيد الله بن عبد الرزاق، الصالحي الأميتهوي: أحد رجال العلم والطريقة، ولد بأمتيه في رابع ربيع الأول سنة (1007هـ)، وقرأ العلم على أساتذة عصره، ثم صرف عمره في الدرس والإفادة، وكان صالحاً تقياً متورعاً باذلاً كريم النفس عظيم الزهد، توفي في ثاني محرم سنة (1061هـ) بأمتيه فدفن بها⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص189.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي ص368.

(3) ينظر: المرجع السابق ص368.

(4) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص554.

(5) ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي حسني 469/5.

- 2- الشيخ الفاضل العلامة: أبو الفتح الحنفي الملتاني أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول والعربية وأعرفهم في الفنون الحكيمة، كان يدرس في أيام شاهجهان بن جهانكير الدهلوي⁽¹⁾.
- 3- الشيخ الفاضل العلامة أبو الواعظ بن صدر الدين بن محمد إسماعيل بن القاضي عماد الدين أحمد العمري البدايوني ثم الهركامي، أخذ عنه عالمكير بن شاهجهان الدهلوي، وهو من مصنفي «الفتاوى الهندية»⁽²⁾.
- 4- الشيخ الفاضل إله داد الحنفي اللنكر خاني اللاهوري: أحد العلماء المتبحرين في علوم متعددة من المعقول والمنقول، لم يزل مشغلاً بالدرس والإفادة حتى وفاته، كان زاهداً متقلاً قانعاً عفيفاً ديناً متورعاً، لا يطمع في الملوك ولا يعرض عليهم الحوائج، حتى أنه لم يقبل الأرض ولا غيرها المعيشة قط، أخذ عنه غير واحد من العلماء⁽³⁾.
- 5- الشيخ العالم بير محمد بن عبد الحليم بن جلال محمد القادري البرهانپوري، أحد العلماء المبرزين في العلم والمعرفة..، كان يشتغل بالتدريس من الصباح إلى المساء (ت 1013هـ)⁽⁴⁾.
- 6- الشيخ العالم: بير محمد بن أولياء الجون بوري ثم اللكهنوي: أحد المشايخ المشهورين بالفضل والكمال، ولد بقرية «اتاوان» من أعمال «مندياهو» سنة سبع وعشرين وألف، توفي والده في صغر سنة، فتربى في مهد عمه وسار إلى مانكبور واشتغل بالعلم على أساتذتها، وكان يدرس ويفيد، أخذ عنه خلق كثير من العلماء وانتهت إليه رئاسة العلم والتدريس، له مصنفات

(1) المرجع السابق 471/5.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 476/5، 477.

(3) المرجع السابق 500/5.

(4) المرجع السابق 505/5.

جلبيلة منها: سراج الحكمة، حاشية شرح الهداية للصدر الشيرازي، وحاشية على هداية الفقه، وله الفتاوى الفقهية ورسائل إلى أصحابه في التصوف إلى غير ذلك من المصنفات، توفي في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة (1085هـ) بمدينة لكهنؤ فدفن بها⁽¹⁾.

7- الشيخ العالم جعفر بن نظام الدين الحنفي الصوفي الأميتهوي: كان من أهل بيت العلم والطريقة، سكن بقرية «بروا» فأقطعته جهانكير مئتي فدان من الأرض الخراجية في تلك القرية، وقد بنى في تلك الأرض مسجداً، ثم بنى له الشيخ حسن السارنكبوري عمارة عالية البناء للمدرسة ودوراً ومساكن للطلبة، (ت 1045هـ)⁽²⁾.

8- الشيخ الفاضل خوشحال بن قاسم بن مسكين الحنفي التاشكندي.. ولي التدريس بأحمد آباد فدرس وأفاد بها ثلاثاً وعشرين سنة⁽³⁾.

9- الشيخ الإمام العلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي، أحد مشاهير الهند، ومن كبار الأساتذة، لم يدرك شأنه أحد من العلماء في غزارة العلم وكثرة الدرس والإفادة، درس وأفاد ستين سنة (ت 1067هـ)⁽⁴⁾.

10- الشيخ الفاضل كمال الدين بن موسى الحنفي الكشميري، أحد فحول العلماء، انتقل من كشمير إلى سيالكوت سنة 971هـ، فدرس وأفاد مدة عمره، حتى ظهر تقدمه في فنون منها المنطق والحكمة وأصول الفقه (ت 1017هـ)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 506/5.

(2) المرجع السابق 511/5، 512.

(3) المرجع السابق 526/5، 527.

(4) المرجع السابق 558/5.

(5) المرجع السابق 606/5.

11- الشيخ العالم محمد ماه الحنفي الديوكامي، أحد العلماء المبرزين في المعقول والمنقول.. تصدى للدرس والإفادة بمدينة جونبور مدة خمس وعشرين سنة (ت 1095هـ)⁽¹⁾.

ويظهر من سيرتهم ما امتازوا به من العلم والمعرفة والهمة العالية، فخرجوا أجيالاً، حملت على عاتقها مهمة التدريس في المدارس المختلفة بنواحي الهند، مما ساهم في نشر الإسلام في تلك البلاد.

وقد ساهم السلاطين بالاهتمام بالعلماء وتقديرهم فأدي ذلك إلى دفع حركة التعليم؛ «حتى أن السلطان «شاهجهان بن جهانكير التيموري» قد قام بوزن العلامة عبد الحكيم السيالكوتي مرتين بالفضة ومنحه ما جاء بالوزن، وهو كل مرة ستة آلاف من النقود، وأنعم عليه بقرى متعددة؛ ليتفرغ للدرس والتصنيف»⁽²⁾.

فانتشار المدارس ونبوغ العلماء القائمين على التدريس بها أحدث حركة علمية موسعة، ظهرت آثارها في ذيوع الإسلام وعلو صيته في ربوع الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

* * *

(1) المرجع السابق 640/5، 641.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 558/5.

المبحث الثاني

المكتبات في القرن الحادي عشر الهجري

مما لا شك فيه أنه لا غنى لطالب العلم سواء أكان عالماً أم متعلماً عن الكتاب، فهو أداة المعرفة والثقافة له، يساعده على الدراسة والبحث والتعلم، والتعرف على العلوم المختلفة والثقافات المتعددة، ولمعرفة المغول لأهمية الكتاب ودوره الكبير في تنقيف الفرد بجميع أنواع الثقافة والعلوم، وتنمية قدراته الحوارية، فأنشأوا المكتبات، وجمعوا فيها الآلاف من الكتب والمراجع في شتى المعارف خدمة للعلم وأهله. وخصصوا لها أماكن ومبان خاصة لأنها لا تخلو من الحوار المباشر لطالب العلم مع من حوله، فيؤدي ذلك بدوره إلى احترام آراء الآخرين في نهاية الحوار، والفرد المسلم عندما تتكون شخصيته بهذه الطريقة، يؤدي ذلك إلى مجتمع قوي، قادر على مشاركة المجتمعات الأخرى في التبادل الثقافي فيما بينهم.

وقد تزامن وجود المكتبات الإسلامية في بداية الأمر مع بناء المساجد، ومن ثم دارت في فلكها، وعملت على تحقيق أهدافها الدينية، المتمثلة في تكوين الشخصية الإسلامية، وتعليم الناس أمور دينهم وتنقيفهم ثقافة دينية، وبناء المجتمع الإسلامي الفاضل القائم على الأخلاق والتقوى والصالح والعلم، وهذا أمر طبيعي، طالما أن الإسلام يدعو إلى العلم ويقدر قيمة العلماء⁽¹⁾.

وكان لتعاليم الإسلام أثر واضح في نشأة المكتبات؛ فقد دعا دعوة صريحة إلى القراءة وطلب العلم في كل وقت وحين، فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾⁽²⁾، والمسلمون على مر العصور جعلوا من هذا التوجيه الإلهي واقعاً ملموساً، وخاصة في بلاد الهند، «فعندما دخلوا الهند قاموا بتحرير العلم والثقافة

(1) ينظر: الكتب والمكتبات في الأندلس: د/حامد الشافعي دياب ص127.

(2) سورة العلق الآيات 1-5.

من سطوة البراهمة الذين حرموا على غيرهم الاشتغال بالعلم، وأدخلوا العلوم الجديدة في بلاد الهند منها علم الحديث والتفسير والفقه والتاريخ وما إلى ذلك»⁽¹⁾.

فأقبل المسلمون على القراءة والتعلم، فشهدت الهند نهضة علمية كبيرة في الفنون والآداب والطب والهندسة والرياضيات في العصور الوسطى، وانتشرت المدارس وتزايد أعداد طلاب العلم، فأصبح للكتاب أهمية كبرى؛ لتلبية حاجات أساتذة العلم وطلاب المعرفة، وضمت المدارس والجامعات مكتبات تضم أعدادًا كبيرة من الكتب.

1- المكتبات العامة :

أنشئت في عصر الدولة المغولية بالهند مكتبات عامة برعاية السلاطين وكان من بينها مكتبتان شهيرتان لهما مكانة لدى الناس آنذاك، وهما:

أ- المكتبة التي أنشأها السلطان جلال الدين محمد أكبر، وقد اعتبرها المؤرخون من المكتبات العالمية في زمانه، وقدر عدد الكتب التي احتوتها تلك المكتبة بحوالي 24 ألف مجلد ضخم في شتى المعارف والعلوم، وقدروا قيمتها المادية بحوالي سبعة ملايين من الروبيات الهندية⁽²⁾.

ب- المكتبة التي أنشأها السلطان أورنگ زيب، وقد كانت مكتبة ضخمة ضمن بين جنباتها الآلاف من الكتب، وكانت هذه المكتبة تدار بواسطة عدة موظفين، وكانت مسؤوليتهم متنوعة بين تنظيف وترتيب المكتبة، وترميم ما يتلف من الكتب، أما مدير المكتبة فكان يتم تعيينه من قبل السلطان مباشرة، وقد ولي «محمد صالح علي» الإشراف على المكتبة السلطانية

(1) الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص435.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص193، 194.

العريقة، ولقبه عالمكير «مكرمت خان» وكذلك كان «السيد علي الحسيني» مديراً على هذه المكتبة الغنية، وقد عين بهذا المنصب «هداية الله زرين قلم»، والشيخ «أبو الوالي قابل خان»، و«سيد علي جواهر»، وتولى المنصب نفسه كل من «محمد علي صالح»، و«محمد منصور»، و«سيد علي الحسيني» في فترات عديدة..، وقد قام السلطان أورنگ زيب بإضافة العديد من الكتب الخاصة بالشرعية الإسلامية والعلوم الإنسانية، وهي تشمل معارف شتى من تاريخ وطب وديانات ورياضيات، وأدب، وشعر، وهندسة، وفلك وتنجيم، وشؤون الحكم والحرب إلى المكتبة السلطنة في زمانه⁽¹⁾.

2- المكتبات الخاصة:

إلى جانب المكتبات العامة كانت هناك مكتبات خاصة أنشأها بعد العلماء والأمرء والأميرات، من ذلك على سبيل المثال:

- أ- المكتبة الذي أنشأها الوزير أبي الفضل وشقيقه فيضي، قد احتوت على ثروة علمية ضخمة من الكتب، بلغت حوالي خمسة آلاف كتاب⁽²⁾.
- ب- المكتبة التي أنشأها الشيخ المحدث والعالم الجليل عبد الحق الدهلوي التي جمع فيها النوارد العلمية من بلاد العرب والعجم، يظهر ذلك من مؤلفاته أنه كانت لديه ذخيرة كافية من الكتب ذات المستوى الرفيع، وحين ألّف «شرح سفر السعادة» كان عنده كنز كبير من مصادر الحديث والتفسير والفقه، ولما ألّف «أخبار الأخيار» سبّر كتابات الهند الإسلامية، وكان قد

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص543، 544.

(2) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص194.

أحرز كتباً كثيرة خلال إقامته بالحجاز، فكانت خزانته تحتوي على الكنوز العلمية الغالية في الهند⁽¹⁾.

ت- المكتبة التي أنشأها الشيخ «شاه عالم» والتي أسست على يديه عام 880هـ واستمرت حتى وصلت إلى القمة تحت إشراف السيد «جعفر بدر عالم» (ت 1085هـ)، الذي قام بنسخ كتب كثيرة جداً وأدخلها في هذه المكتبة الغنية⁽²⁾. فكانت المكتبات العامة والخاصة مصدر نور وإشعاع، ومقصداً لتلقي العلوم من أمهات الكتب الموجودة بهذه المكتبات، وذلك في كل أرجاء الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

أهم العلوم التي احتوت عليها المكتبات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

كان للكتاب أهمية قصوى في بلاد الإسلام الممتدة، لبناء الحضارة القوية، ولم يكن هذا ليتأتى دون وجود أعداد ضخمة وكافية من الكتب...، وقد سهل عمليات نسخ الكتب، وفرة المواد الخام ومنها الورق، حيث كانت لفائف البردي من خصائص المكتبة القديمة، ذلك قبل وصول المسلمين حضارياً إلى الهند، فكان يوجد في شمال البلاد وجنوبه نوع من لحاء شجر «التوز» أطلق عليها «بهوج» و«تار»، وهو في طول الذراع وعرض الأصابع ويدخلون عليه نوعاً من التطوير كالتذهين والصقل يصلب به ويتملى ثم يكتبون عليه، وهي متفرقة يعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي وتكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرهما، ويسمونه «بوتي». وعرف الهنود أوراق الكاغد التي كانت تستخدم أساساً في الصين وسمرقند، ذلك بعد وصول المسلمين إلى

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص140، نقله إلى العربية: د/محمد أكرم الندوي، تقديم: أ/محمد عوامة، ط1، دمشق: دار القلم، 1434هـ/2013م.

(2) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص545.

الهند، هذا بجانب الورق الذي كان يصنع من الحرير في عهد «أورنك زيب»، وقد تم تأسيس المصانع لصناعة الكاغذ، وذلك بفضل الدولة الإسلامية في أرجاء الهند⁽¹⁾، وأكبر هذه المصانع كانت في مدينة «سيالكوت»⁽²⁾. فأدت هذه الوفرة الكبيرة في الورق أدت في النهاية إلى وفرة الكتب في كل المؤسسات التعليمية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

ومن هذه العلوم التي اشتهرت وحفلت بها المكتبات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

1- التفسير وعلوم القرآن:

حظي علم التفسير بموقع مهم بين العلوم الإسلامية في الهند، «فكانت هناك كتب تفسير عديدة متداولة آنذاك، منها «التفسير الواضح»: للرازي، و«الجلالين»: للسيوطي، و«الكشاف»: للزمخشري، و«تفسير البغوي والبيضاوي»، والتي قام علماء الهند بالنقل والتأليف على منوالها، أو قاموا بكتابة الحواشي على هذه الكتب التفسيرية»⁽³⁾. ومن أهم التفاسير التي ظهرت في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

أ- زبدة التفاسير باللغة العربية: للشيخ العالم معين الدين بن خاوند محمود بن ضياء الدين بن مير محمد بن تاج الدين بن علاء الدين العطار النقشبندي البخاري (ت 1085هـ)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 540، 541.

(2) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص 193.

(3) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 568.

(4) أحد المشايخ النقشبندية والفقهاء الحنفية، ولد ونشأ بكشمير وتفقّه على والده، ثم سار =

ب- زيب التفاسير بالفارسي: ترجمة التفسير الكبير للرازي، لصفي الدين الأردبيلي الكشميري، وقد ألفه بأمر من الأميرة زيب النساء بيكم ابنة أورانك زيب⁽¹⁾.

ج- «إمارات الكلم في استخراج الآيات القرآنية»، و«نجوم الفرقان» بالفارسية، و«أقسام آيات القرآن»، و«فهرست لآيات القرآن بحسب الموضوعات»: للشيخ مصطفى بن محمد سعيد الجونبوري⁽²⁾.

د- تفسير القرآن الكريم على نهج الجلالين، ترجمة القرآن: صنفه في أيام جهانكير حين كان بهلي وسماء تفسير جهانكيري، للشيخ العالم جلال الدين نعمة الله بن عطاء الله النارنولي الفيروزبوري (ت 1072هـ)⁽³⁾.

هـ- التعليق الحاوي على تفسير البيضاوي «شرح الصدور في تفسير آية النور»: للعلامة عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي (ت 1052هـ)⁽⁴⁾.

= إلى دهلي وقرأ العلم على الشيخ عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي، ولازمه وأخذ عنه الفقه والحديث، ثم رجع إلى كشمير وتولى الشياخة بها، وصار مرجوعاً إليه في المذهب والفتوى، وانقاد العلماء لأوامره وخضعوا له، وله مصنفات منها: الفتاوى النقشبندية، والرضوانى في (السير والسلوك)، توفي في محرم سنة 1085هـ بكشمير. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 650/5، السلطان أورانك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص568.

(1) ينظر: الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة ص203، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص165.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 649/5، السلطان أورانك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص569.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 657/5، 658، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص165.

(4) أحد المشايخ القادرية، ولد ونشأ بنارنول، وسافر إلى بلاد شتى وتردد إلى جونبور، =

و- حاشية على تفسير البيضاوي: للعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (ت 1067هـ)⁽¹⁾.

ز- أنوار الأسرار في حقائق القرآن ومعارفها، والفتح المحمدي: كتاب فيما يتعلق بالتفسير، للشيخ العالم عيسى بن قاسم بن يوسف بن ركن الدين بن المعروف بن الشهاب المعروف بالشهابي الشطاري السندي (ت 1031هـ)⁽²⁾.

2- الحديث الشريف وعلمه :

يعتبر علم الحديث في المرتبة الثانية بعد علم التفسير في الأهمية عند المسلمين في الهند، «وقد دخلت الهند في حلبة علم الحديث متأخرة - في القرن العاشر الميلادي -، ولكنها سبقت كثيراً من الأقطار، ونهض منها الأئمة الكبار،

= وأخذ الهيئة عن الشيخ محمد أفضل العثماني الجوبنوري، ثم تزوج وسكن بفيروز بور، ثم بايعه شجاع بن شاهجهان حين كان والياً من قبل أبيه في بنكاله، فحصل له القبول والوجاهة عند الناس، ثم لما هوجم شجاع وفر إلى أقصى بلاد الهند أعطاه عالمكير خمسة آلاف من النقود، توفي سنة 1072هـ.

ينظر ترجمته في: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص151، 152.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/558، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص132، 133، أبجد العلوم: القنوجي 3/230231.

(2) ولد بايرجيور من أرض برار سنة 962 هـ، وكان والده إذ ذاك في السفر فسماه عمه الشيخ طاهر بن يوسف السندي باسمه المذكور سافر مع عمه إلى برهانپور بعد موت والده، وقرأ العلم على عمه وعلى غيره، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ لشكر محمد العارف الشطاري البرهانپوري، أخذ عنه أبنائه وخلق كثير توفي في 14 من شوال سنة 1031هـ بمدينة برهانپور.

ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/596-598، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص165.

- وانتهى إليهم تدريس هذا الفن والقيام بحقوقه، حتى أصبحت هذه البلاد مركزاً لهذا الفن الشريف، يُشد إليه الرحال، ويُضرب إليه أكباد الإبل»⁽¹⁾. ومن أهمها:
- أ- «أشعة اللمعات في شرح المشكاة» بالفارسية، و«لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح» بالعربية، و«جامع البركات منتخب شرح المشكاة» وهو تلخيص لشرح المشكاة في مجلدين، و«جمع الأحاديث الأربعين في أبواب علوم الدين»، و«ترجمة الأحاديث الأربعين في نصيحة الملوك والسلطين»، و«رسالة أقسام الحديث»، و«ما ثبت بالسنة في أيام السنة»، وغيرها من المؤلفات القيمة للإمام عبد الحق الدهلوي (ت 1052هـ)⁽²⁾.
- ب- «الخير الجاري في شرح صحيح البخاري»، و«المعلم في شرح صحيح الإمام مسلم»، و«المصفي في شرح الموطأ»: الشيخ المحدث أبي يوسف يعقوب البناني اللاهوري (ت 1098هـ)⁽³⁾.
- ج- تخرّيج أحاديث السبعين: المحدث فتح محمد بن عيسى بن قاسم بن يوسف السندي البرهانپوري⁽⁴⁾.

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 9/1.
- (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 553/5-557، الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خلّيق أحمد نظامي ص 154-164، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 143.
- (3) أبو يوسف يعقوب البناني اللاهوري، ولد ونشأ بـلاهور، قرأ العلم على أساتذة عصره، جعله شاهجهان مير عدل في معسكره، كان عالماً عارفاً، جمع بين المعقول والمنقول، ولى التدريس في المدرسة الشاهجهانية فانتفع به كثير من الناس، وكان له باع طويل في الحديث، من كتبه: الخبر الجاري في شرح صحيح البخاري، والمعلم في شرح صحيح مسلم، توفي بدهلي سنة 1098هـ.
- ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/665، 666، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 150-152.
- (4) كان من المشايخ الصوفية وعلمائهم المشهورين ممن تبحر في العلوم، وتخرج على والده=

د- «شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري» في ستة مجلدات كبار بالفارسي، و«شرح على شمائل الترمذي» بالفارسي: الشيخ نور الحق بن عبد الحق بن سيف الدين البخاري (ت 1073هـ)⁽¹⁾.
وغير هؤلاء كثير من العلماء ممن لهم باع طويل في علم الحديث الشريف، والذين بفضلهم لم تنتكس رأيتهم ولم تكسد بضاعته.

3- الفقه وأصوله :

تعددت المذاهب الفقهية في الهند وإن انتشر فيها المذهب الحنفي بصفة خاصة، أما المذهب الشافعي فقد دخل البلاد على يد التجار العرب في جنوب الهند وعلا شأن أتباعه في العهد الغوري. وأما المذهب المالكي والحنبلي، فلم ينتشرا في الهند؛ لأن أهل الهند في معظمهم على مذهب أبي حنيفة، وقد زاد الاهتمام بعلم الفقه؛ لأن المدارس كانت أصلها مدارس فقهية، تعلم الطالب أولاً فقه أحد المذاهب الذي ينتمي إليه، ثم يدرس باقي المذاهب، وكانت مدارس الفقه

= وأخذ عنه الطريقة، ثم درس وأفاد مدة مديدة بمدينة برهانپور، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار وسكن بها، وتوفي بمكة المباركة.
ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 600/5، 601، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص158.

(1) أحد كبار الفقهاء الحنفية ولد ونشأ بمدينة دهلي، وقرأ العلم على والده وأخذ عنه الحديث، وولى القضاء بأكبر آباد. قال والده في كتابه «أخبار الفضلاء» إنه جيد القريحة سليم الذهن غاية في الفضل والكمال، ينظم أحياناً ويتلقب بالمشريقي، وإن توجه إلى الشعر بالكلية كما هو عادة الشعراء لكان يقتدر أن يتتبع خمسة النظامي وخسرو وينسج على منوالهما ولكنه اشتغل بالعلم والصالح وبما هو نفس الأمر فغلب عليه ذلك، مات سنة 1073هـ، وله 92 سنة وقبره بدهلي.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 658/5، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص117، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص153.

الحنفي هي السائدة، وجاء في المصادر العربية أن عدد المدارس الفقهية التي وجدت في عاصمة دلهي ألف مدرسة منها مدرسة واحدة للفقهاء الشافعي والباقي للحنفية⁽¹⁾.

وقد صنف العلماء في القرن الحادي عشر الهجري الكثير من الكتب، منها:

أ- «التصريح على التلويح» في أصول الفقه من البداية إلى المقدمات الأربع: للشيخ العالم عبد الله بن عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (ت 1093هـ)⁽²⁾.

ب- «فتح المذاهب الأربعة»: للشيخ فتح محمد بن عيسى بن قاسم بن يوسف السندي البرهانپوري⁽³⁾.

ج- «فتح المنان في تأييد مذهب النعمان»، و«الفوائد»، و«هداية الناسك إلى طريق المناسك»: للشيخ عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (ت 1052هـ)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص570.

(2) ولد ونشأ ببلدة «سيا لكوت» وقرأ العلم على والده، وأخذ الحديث عن المفتي نور الحق بن عبد الحق المحدث الدهلوي، واشتهر بالفضل، أخذ عنه خلق كثير، وكان عالمكبر بن شاهجهان وأبناءؤه يكرمونه غاية الإكرام، ومن كتبه: التصريح على التلويح في أصول الفقه، وتفسير على سورة الفاتحة، ورسالة في حقائق التوحيد صنفها بأمر عالمكبر، وغيرها. ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/577، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص125.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/600، 601.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/553-557، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص115، 116، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص112.

- د- «حاشية على المقدمات الأربعة من التلويح» في الأصول: العلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (ت 1067هـ)⁽¹⁾.
- هـ- «الفتاوى الهندية» أو «الفتاوى العالمية» للشيخ نظام الدين الحنفي البرهانپوري، وقد قام بتدوين هذه الفتاوى بناءً على تكليف من سلطان الهند السلطان عالمكير بن شاهجهان الدهلوي، ولهذا نسبت إليه، وقد جعل تحت أمره أربعة من العلماء، فقسم نظام الدين أرباعها على أربعتهم، وهؤلاء العلماء هم القاضي محمد حسين الجونپوري، والسيد علي أكبر أسعد الله خاني، والشيخ حامد الجونپوري⁽²⁾، والمفتي محمد أكرم اللاهوري، وقد قام «نظام الدين» ومن معه من العلماء بإنجاز هذا العمل في سنتين⁽³⁾، وتم هذا العمل الضخم في ستة مجلدات، وأنفق عليه من الخزانة السلطانية مئتا ألف رُوبية - وهي تساوي الآن ملايين الروبيات - ويعرف هذا العمل الفقهي العظيم في الهند بـ«الفتاوى العالمية» وفي بلاد مصر والشام وتركيا بـ«الفتاوى الهندية»، ويحتل لبعض خصائصه وميزاته أهمية كبيرة في كتب الفقه والفتاوى⁽⁴⁾. ومن مميزاتها:

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/558، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص132، 133، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص125.
- (2) حامد الحنفي الجونپوري، أحد كبار الفقهاء، قرأ أكثر الكتب الدراسية على السيد محمد زاهد بن محمد أسلم الهروي وبعضها على العلامة محمد شفيع اليزدي وجد في البحث والاشتغال حتى برز في كثير من العلوم والفنون في حياة شيوخه، وقد جعله عالمكير معلماً لولده محمد أكبر.
- ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 6/710.
- (3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/656، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص110، 111.
- (4) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/338، 339.

- أنه لم ينفرد بتأليفه عالم واحد، إنما قامت لجنة من العلماء والفضلاء والفقهاء المشهورين بمراجعة كل كبيرة وصغيرة بالعودة إلى المصادر والمراجع المختلفة.
- رتبت المادة العلمية فيه حسب ترتيب كتاب «الهداية».
- بذلت في تأليفه جهود مضمّنية لشرح جميع المسائل الفقهية.
- الاعتدال بين الاختصار المخل والإسهاب الممل.
- خلا الكتاب من البراهين الثانوية والمكررة.
- يقتصر على ذكر الوجوه المعتمدة للأحاديث التي استشهد بها، ولا يعطي حكمًا شاذًا إلا إذا لم يوجد حل آخر.
- يستشهد دائماً بالمصادر الأصلية.
- عندما يكون في المشكلة حلان متعارضان في المصادر الكبرى؛ فإنه يرجح مصدرًا على آخر، إذا تفوق في الحجة، وزاد على نظيره، مدعماً بالبرهان والدليل⁽¹⁾.

4- علم اللغة والأدب:

أبدى أهل الهند في القديم اهتمامًا بعلم اللغة، والذي كان معروفًا عندهم باسم «بياكرن»، وتعني تصحيح الكلام والمشتقات التي تؤدي إلى البلاغة في الكتابة والفصاحة في الخطابة، ومن كتبهم في هذا العلم: كتاب «إيندر» وهو منسوب إلى «إندر»، وكتاب «جاندر» لصاحبه «جندر»، وكتاب «شاكّت» وسمي باسم صاحبه، إلى غير ذلك من الكتب المشهورة عندهم في هذا العلم⁽²⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص576، 577.

(2) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص104.

وكان مسلمو الهند شغوفين بمعرفة قواعد وأصول العربية بهدف إتقان القرآن والحديث والفقه واللغة العربية، ومن ثم ظهرت العديد من مؤلفاتهم القيمة من بداية القرن السابع الهجري، ولعل أول كتاب كُتب في الآداب العربية هو شرح على كتاب «تحصيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك، ألفه الشيخ محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني، وهو عالم مصري بارز في النحو والصرف، انعطف في الفترة الأخيرة من عمره إلى الهند بسبب الرعاية الملكية للعلماء بها، وقد كتب المؤلف شرحه هذا في بلدة «كهمبان» التابعة لولاية كجرات، وأهداه إلى ملك كجرات أحمد شاه في عام 814هـ/1411م⁽¹⁾.

ومن الكتب المهمة - أيضاً - والتي ألفت في القرن السابع الهجري كتاب «الشوارد في اللغة»، وكتاب «الافتعال»، وكتاب «العروض»، و«العباب» في اللغة، وكلها من تأليفات العالم: حسن بن محمد بن حسين بن حيدر الصغاني (ت 650هـ)⁽²⁾.

وقد حظيت علوم اللغة والأدب اهتماماً كبيراً من علماء القرن الحادي عشر الهجري في الهند، ومن أشهر ما كتب في هذا المجال:

أ- «شرح على الوافي في النحو»: للشيخ: أبي البركات بن المبارك الناكوري⁽³⁾.

ب- «فصول أكبري» بالفارسية «أصول أكبري» بالعربية في الصرف: للشيخ علي الأكبر الحسيني الحنفي الإله آبادي (ت 1090هـ)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الآداب العربية في شبه القارة الهندية: أحمد زبيد ص 204، ترجمة: عبد المقصود محمد شلقامي، بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1978م.

(2) ينظر: أبجد العلوم: القنوجي 216/3، 217.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 465/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 21.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 590/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 24.

- ج- «مدار الأفاضل» في اللغة العربية والفارسية والتركية: للشيخ إله داد بن علي شير السرهندي، وقد فرغ من تصنيفه سنة إحدى وألف⁽¹⁾.
- د- «خزائن الدرر» في اللغة العربية والفارسية والتركية: للشيخ محمد بن عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي⁽²⁾.
- هـ- «مفتاح الصرف»: للشيخ عبد الوهاب القدوائي الراجكيري نواب منعم خان⁽³⁾.
- و- خلاصة النحو بالعربية: محمد رشيد بن محمد مصطفى بن عبد الحميد العثماني الجونبوري (ت 1083هـ)⁽⁴⁾.
- وغير ذلك من المؤلفات القيمة في علم اللغة والأدب، والتي قام بتأليفها علماء كبار، تخصصوا في هذه العلوم وفي غيرها، مما ترك أثراً كبيراً في الدعوة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/499، 500، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص35.
- (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/593.
- (3) ينظر: المرجع السابق 5/584، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص25.
- (4) أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول والتصوف، كان من ذرية الشيخ الكبير سري بن مفلس السقطي العثماني، مولده في «برونه» في 10 ذي القعدة سنة 1000هـ، تتلمذ على الشيخ فضل الله الجونغوري وغيره، اشتغل في أوائل حاله بالتدريس ثم تركه واكتفى بمطالعة كتب الحقائق، لا سيما تصانيف الشيخ محي الدين بن عربي، وكان يحمل عبارات الشيخ التي هي محل الطعن على العلماء الظاهر على محامل حسنة ونأى بجانبه عن اختلاط الأمراء والأغنياء، واستمر على ذلك حتى مات يوم الجمعة في 9 رمضان سنة 1083هـ، ومن مصنفاته: الرشيدية في فن المناظرة، وشرح على أسرار المخلوقات للشيخ الأكبر، وغير ذلك.
- ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/632، 633، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص21.

5- الشعر:

أقبل الشعراء على نظم القصائد الشعرية؛ وذلك لما وجدوه من تشجيع من سلاطين دولة المغول الإسلامية، وخاصة في العهد العالمي، فقد كان السلطان عالمكير يقرض الشعر باللغة الفارسية كما أنه حفظ كثيراً من الأشعار العربية والفارسية، وكان دائماً يقرأ في دواوين الشعراء مثل: الشيخ السعدي الشيرازي، حافظ، نظري، صائب، ملاشاه، فافي، كما حفظ كثيراً من أشعارهم، ومع أنه قد ألغى لقب «أمير الشعراء» في البلاط الملكي، إلا أنه كان يشجع الشعراء الذين كانوا يقرضون الأشعار في مجال المعرفة والتصوف بالعربية والفارسية واللغات الهندية⁽¹⁾.

وكان أشهر الشعراء في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

- أ- الشيخ الصالح إبراهيم بن صالح، الهندي ثم الصنعاني (ت 1100هـ)، من الشعراء المفلقين، قال الشوكاني: كان أشعر أهل عصره بلا مدافع، وله ديوان شعر في مجلد ضخم رأيتُه فوجدت فيه ما هو في الطبقة العالية والمتوسطة والسافلة وكان الجيد أغلب، وكان يتشبهه في مدحه بأبي الطيب⁽²⁾.
- ب- الشيخ الفاضل أبو طالب الهمداني الشاعر المشهور الملقب في الشعر بكليم (ت 1061هـ)، لقبه السلطان شاهجهان بن جهانكير الدهلوي بملك الشعراء وخصه بأنظار العناية والقبول⁽³⁾.
- ج- الشيخ العلامة: أحمد بن عبد المعطي بن الحسن بن عبد الله باكثير المكي ثم الهندي الكجراتي، أحد الأدباء الفاضلين والشعراء المفلقين⁽⁴⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص 584، 585.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 462/5، 463.

(3) المرجع السابق 469/5، 470.

(4) المرجع السابق 488/5.

د- الشيخ الفاضل إله داد بن علي شير السرهندي، كان من العلماء المبرزين في الشعر، كان يتلقب في شعره بالفيضي⁽¹⁾.

هـ- الشيخ الفاضل طالب بن أبي طالب الآملي ملك الشعراء في الهند على زمانه (ت 1036هـ)، له قصائد غراء في مدح السلطان جهانكير بن أكبر شاه الدهلوي وصاحبته نور جهان بيكم ووالدها اعتماد الدولة.. وغيرهم من الملوك والأمراء⁽²⁾.

و- الشيخ الفاضل محمد طاهر الكشميري المشهور بالغني (ت 1079هـ)، اعترف بفضل محمد علي الصائب التبريزي، وله ديوان شعر مقبول متداول⁽³⁾.

6- التاريخ:

أولى حكام المسلمين عناية فائقة بقراءة التاريخ وتشجيع القائمين عليه، حتى ألف المسلمون فيه كتبًا لا تحصى، وما من أمة بلغت في هذا العلم ما بلغه المسلمون، وكان من أثر الفتوحات الإسلامية للأقطار المختلفة قيام عملية تبادل ثقافي بين المسلمين وأهالي تلك المناطق، استفاد منها كلا الطرفين، وأكثر ما يتضح هذا التأثير في شبه القارة، حيث نقل المسلمون للهنود علومًا لم يكن لها علم بها من قبل ومنها التاريخ؛ بحيث لم يكن لهم قبل الفتح الإسلامي معرفة حقيقية بهذا العلم، وكانوا في الغالب يضطرون إلى التخمين لمعرفة تواريخ الحوادث الكبرى⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق 499/5.

(2) المرجع السابق 546/5.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 638/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص333.

(4) ينظر: السلطان أورك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص614، 615.

وقد تطورت الدراسات التاريخية في الهند في عصر المغول⁽¹⁾ الذين كتبوا عن تاريخ الهند في عصر هذه السلطنة، وبعض هؤلاء المؤرخين كانوا مقربين من السلطة الحاكمة، حتى أنهم تمكنوا من دراسة تاريخ المغول من واقع الحياة الهندية، واستندوا في دراساتهم إلى القرارات والرسوم السلطانية ورسوم الدواوين والقرارات الإدارية وسير السلاطين والحكام، وأصبح لديهم مادة غزيرة عن الفترة التي كتبوا عنها، بل أصبح لديهم مصادر هامة من السلاطين المغول - صانعي القرار - ذلك أن بعض سلاطين المغول كتبوا مذكرات عن الفترة التي قضوها في حكم الهند⁽²⁾.

ومن أهم الكتب التاريخية التي ألفت في الهند في القرن الحادي عشر الهجري:

- أ- «أكبر نامو وآنين أكبري»: للشيخ أبو الفضل بن المبارك الناكوري (ت 1011هـ)⁽³⁾.
- ب- (باد شاه نامو) وهو كتاب في أخبار السلطان شاهجهان بن جهانكير الدهلوي من جلوسه على سرير الملك إلى عشر سنين: للشيخ الفاضل أمين بن أبي الحسن القزويني⁽⁴⁾.

(1) وقد زاد هذا التطور خصوصاً بعدما قام السلطان أكبر لأول مرة بتعيين مؤرخ رسمي، أو المؤرخ الدربالي أي المؤرخ الرسمي في البلاط الملكي، ثم سار على هذه السنة كل من السلطان جهانكير وشاهجهان وأورنك زيب. المرجع السابق ص 616، 617.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص 479.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 471/5، 472، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 62.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 501/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 63.

- ج- (مرآة العالم)، «رياض الأولياء» في أخبار المشايخ: للشيخ الفاضل نجت ياورخان العالمكيري المشهور ببختاورخان (ت 1096هـ)⁽¹⁾.
- د- «باد شاه نام» المشهور بـ «شاهجهان نام» وهو كتاب في أخبار شاهجهان بن جهانكير التيموري: للشيخ عبد الحميد اللاهوري (ت 1065هـ)⁽²⁾.
- ه- «منتخب التواريخ»: للشيخ الفاضل عبد القادر بن ملوك شاه الحنفي البدايوني (ت 1004هـ)⁽³⁾.
- و- «الطاهري» وهو كتاب في تاريخ السند، وهو مرتب على عشر طبقات من ظهور الإسلام في السند إلى عهد جهانكير التيموري: للشيخ الفاضل طاهر بن الحسن التتوري السندي، المشهور بطاهر محمد النسياني⁽⁴⁾.
- ز- «الصبح الصادق» مؤلف ضخم في أربع مجلدات في أخبار الأنبياء والأولياء والملوك والوزراء والحكماء والعلماء والشعراء: للشيخ الفاضل صادق بن صالح الأصفهاني⁽⁵⁾.
- ح- «تذك جهانكيري» للسلطان: نور الدين محمد جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر الكوركاني، والكتاب مذكرات كتبها «جهانكير» بنفسه عن فترة حكمه، وواصل كتابة مذكراته حتى العام السابع عشر من حكمه، وتوقف

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/503، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص63.
- (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/558، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص63.
- (3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/570، 571، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص62.
- (4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/546.
- (5) المرجع السابق 5/540، 541.

بعد أن اعتلت صحته، وقام «معتمد خان» - أحد رجال البلاط - بإتمام هذا الكتاب، وأعاد محمد هادي كتابة هذا الكتاب، وأتم ما فيه من ثغرات وسنوات أو فترات زمنية لم يكتب عنها⁽¹⁾.

ط- «إقبال نامه»: لمعتمد خان محمد شريف بن دوست محمد الإيراني، وهذا المؤرخ تمتع بمكانة رفيعة في بلاط جهانكير، وبدأ في هذا الكتاب بالكتابة عن سلاطين المغول بابر وهمايون وأكبر وجهانكير، ويتميز كتابه بدقة المعلومات التاريخية؛ لأن كاتبه أُتيحت له فرص الاطلاع على وثائق ومراسم الدولة وقوانينها ولوائحها والاتصال بصانعي القرار⁽²⁾.

ي- «عالمكير نامه»: لمرزا محمد كاظم بن محمد أمين القزويني، والكتاب يشتمل على أخبار عشرة سنين من أيام عالمكير من سنة 1066هـ إلى سنة 1078هـ⁽³⁾.

ك- «ذكر الملوك»: للشيخ عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي، والكتاب يتناول تاريخ الهند منذ فجر الإسلام إلى عهد الشيخ المحدث⁽⁴⁾.

ل- «زبدة التواريخ»: للمفتي نور الحق بن عبد الحق بن سيف الدين البخاري أبو السعادات جمال الدين الدهلوي (ت 1073هـ)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: المرجع السابق 5/516، 517، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص63، الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص484.

(2) ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص63، الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص484.

(3) ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص63.

(4) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص183، 184.

(5) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/658، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص63.

وغير ذلك من المؤلفات التاريخية، والتي كانت «لمؤرخين عظام عاصروا الأحداث، وكتبوا عنها بأسلوب جيد وواضح وصادق»⁽¹⁾.

7- علم الكلام والفلسفة والمنطق والمناظرة:

اشتهرت المؤلفات في هذا القسم، منها:

- أ- «فيوض القدس» في علم الكلام: أحمد بن سليمان الكردي الكجراتي (ت 1092هـ)⁽²⁾.
- ب- «رسالة في حقائق التوحيد»: عبد الله بن عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (ت 1093هـ)⁽³⁾.
- ج- «بحر المذاهب في الكلام»: للشيخ عبد الوهاب القدوائي الراجكيري، المشهور بمنعم خان⁽⁴⁾.
- د- «المذهب في المنطق»، و«أنوار الهدى» في الإلهيات، و«الصراط الوسيط في إثبات الواجب تعالى وتقدس»: للشيخ الفاضل علاء الملك بن العلامة نور الله الحسيني المرعشي⁽⁵⁾.
- هـ- «مفتاح فتوح العقائد»: للشيخ فتح محمد بن عيسى بن قاسم بن يوسف السندي البرهانپوري⁽⁶⁾.
- و- «الشمس البازغة في الحكمة»: للشيخ محمود بن محمد العمري الجونپوري (ت 1062هـ)⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص486.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 479/5.

(3) المرجع السابق 577/5.

(4) المرجع السابق 584/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص238.

(5) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 588/5.

(6) المرجع السابق 600/5، 601، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص238.

(7) ولد بجونپور سنة ٩٧٣هـ، ونشأ في معهد جده «شاه محمد» وقرأ عليه الكتب الدراسية،=

ز - «حاشيته على شرح المواقف»، وعلى «شرح العقائد للتفتازاني»، وعلى «حاشيته للخيالي»، وعلى «شرح العقائد للدواني»، وحاشيته على شرح الشمسية وعلى حاشيته للسيد الشريف، وعلى شرح المطالع، كلها في المنطق، وله الدرر الثنية في إثبات علم الواجب: للعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيكالوتي (ت 1067هـ)⁽¹⁾.

ح - «الرشيدية» للعلامة محمد رشيد بن مصطفى العثماني الجونبوري (ت 1083هـ)⁽²⁾.

ط - «البناء المرفوع في ترصيص مباحث الموضوع»، «الدرة البهية في اختصار رسالة الشمسية»، و«شرح الشمسية»: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (ت 1052هـ)⁽³⁾.
وغير ذلك من المؤلفات التي ألفت في هذه العلوم.

- = لازم الشيخ محمد أفضل بن محمد حمزة العثماني الجونبوري وأخذ عنه، وأقبل على المنطق والحكمة إقبالاً كلياً حتى برز فيها تلك وله سبع عشرة سنة، وكان غاية في الذكاء وقوة الحفظ، كان يحضر المجالس في صغره فيتكلم ويناضر ويأتي بما يتحير منه أعيان البلدة في العلم... ومن كتبه: الشمس البازعة في الحكمة، والفرائد، وله ديوان شعر فارس، توفي لتسع خلون من ربيع الأول سنة 1062هـ بمدينة جونبور.
- ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 646/5.
- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 558/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 236-238، سبعة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص 132، 133.
- (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 632/5، 633، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 252.
- (3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 553/5-557، الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 180.

8- الطب:

الطب من العلوم الضرورية واللازمة لل عمران البشري، ولقد لازم هذا العلم الإنسان سواء من الناحية الوقائية أو العلاجية؛ فأخذت الأمم منه بقدر استعدادها وحاجتها وظروفها الخاصة والعامة⁽¹⁾. ولقد اهتم المسلمون بالطب، وبأماكن العلاج وشمس المارستان وأول من بناها في الإسلام الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة ثمان وثمانين، وجعل فيها الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، وأول من بناها في الهند هو السلطان فيروز تغلق الدهلوي؛ فإنه بنى خمس مارستانات أعلاها الذي كان ببلدة دهلي، رتب فيه الأطباء، وأجرى عليهم ما يسعهم، وأودعها العقاقير، وشرط أنه إذا جيء بالعليل من مقيم أو مسافر، حر ومملوك، وضع أو شريف؛ يعطي الأدوية ويطعم حتى يبرأ⁽²⁾.

ولقد اهتمت الدولة المغولية وخاصة في القرن الحادي عشر الهجري اهتماماً بالغاً بالمستشفيات، وكان أكثر السلاطين اهتماماً بذلك هو السلطان جهانكير؛ حيث إنه أعلن منشوراً حول إنشاء المستشفيات من بين المنشورات التسعة عند جلوسه على العرش، وها هو النص التاسع في العبارة التالية: «إنشاء المستشفيات والمارستانات في المدن الكبرى، وتعيين الأطباء بها، وإجراء الرواتب عليهم، وستقوم الإدارة المغولية بتغطية جميع النفقات والمصروفات لهذا المشروع على حسابها الخاص»⁽³⁾.

(1) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص591.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص375.

(3) ينظر: السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م):

صاحب عالم الأعظمي الندوي ص597، 598.

وقد اشتهر كثير من الأطباء في الهند في القرن الحادي عشر الهجري،

منهم:

أ- الحكيم أبو القاسم بن شمس الدين محمد حكيم الملك الكيلاني، أحد العلماء المبرزين في الفنون الحكيمة، ولد ونشأ بأرض الهند، وقرأ العلوم الفاضلة وتطبب، واشتغل بالمداءاة، وذلك في أيام جهانكير بن أكبر التيموري وولده شاهجهان⁽¹⁾.

ب- الحكيم أحمد بن عبد الله بن علي محمد بن العلامة جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكيمة، وكان حاذقاً بها، يعالج المرضى بهمة صادقة ولا يقدم الأغنياء على الفقراء ولا يطمع فيهم (ت 1077هـ)⁽²⁾.

ج- الأمير نواب أمان الله الكابلي (ت 1046هـ)، له «أم العلاج» كتاب في الطب، صنفه للسلطان جهانكير سنة 1036هـ⁽³⁾.

د- الشيخ الفاضل بينا بن الحسن العثماني السرهندي، أحد الأطباء الماهرين في صناعة الطب⁽⁴⁾.

هـ- الحكيم حاذق بن عبد الرزاق الكيلاني الأكبر آبادي (ت 1067هـ)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 475/5.

(2) ينظر: المرجع السابق 487/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص37.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 501/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص307.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 505/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص307.

(5) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 519/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص307.

- و- الطبيب حسن بن بهينا بن الحسن الكرانوي، أحد كبار الجراحين، لم يكن له نظير في زمانه في العمليات الجراحية⁽¹⁾.
- ز- الشيخ رزق الله بن حسن بن بهنيا الباني بتي الكرانوي، أحد الجراحين المبرزين في الطب⁽²⁾.
- ح- الشيخ الفاضل قاسم بن عبد الرحيم بن بهينا العثماني الكرانوي، أحد كبار الجراحين، له اليد الطولي في الطب وسائر الفنون⁽³⁾.
- ط- الحكيم خو شحال بن همام بن عبد الرزاق الكيلاني الهندي الأكبر آبادي (ت 1050هـ)، أحد الأفاضل الماهرين في الصناعة الطبية⁽⁴⁾.

9- العلوم الرياضية :

العلوم الرياضية، هي العلوم التي تجري في الأعداء المجردة «الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات والفلك والموسيقى»، وإن خرجت - في بعض الأحيان - عن أن تكون مجردة تجريدًا تامًا كما يحدث في المساحة «الهندسية»⁽⁵⁾. وهذا النوع من العلوم قد برع فيه أهل الهند، واشتهر منهم عدد من العلماء في القرن الحادي عشر الهجري، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 521/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص307.
- (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 529/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص307.
- (3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 603/5، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص307.
- (4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 527/5.
- (5) ينظر: السلطان أورنك زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي ص599.

- أ- الشيخ العلامة شكر الله الشيرازي (ت 1048هـ): أحد فحول العلماء، لم يكن له نظير في عصره في الحساب والهيئة والهندسة وسائر الفنون الرياضية⁽¹⁾.
- ب- الشيخ الفاضل طبيب بن إبراهيم الدهلوي المهندس: كان نادرة عصره في الهيئة والهندسة والنجوم وغيرها من الفنون الرياضية، صنع اصطراًلاباً عجباً لعبد الرحيم بن بيرم خان فوزنه بالذهب وأعطاه إياه⁽²⁾.
- ج- الشيخ العلامة: فريد الدين بن إبراهيم الدهلوي، المتوفي سنة 1039هـ، كان معدوم النظر في عصره في الفنون الرياضية... له مصنفات عجيبة منها: «الزيج الشاهجهاني» صنفه سنة 1038هـ في أيام شاهجهان بن جهانكير، وبذل جهده في تصحيح الجداول وتسهيل الأعمال وإصلاح الخلل في الأعمال القديمة وتأسيس الأصول الدقيقة الصحيحة في استخراج المسائل⁽³⁾.
- د- الشيخ محمود بن محمد العمري الجونبوري (ت 1062هـ): أحد الأفاضل المشهورين، لم يكن في زمانه مثله في العلوم الحكيمة والمعارف الأدبية، أراد أن يبني مرصداً في عهد شاهجهان بن جهانكير، ولكنه لم يوفق في ذلك⁽⁴⁾.

- (1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/538.
- (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/548، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص282.
- (3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/601، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص281.
- (4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/645، 646، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص279.

هـ- العالم ضياء الدين محمد بن قائم بن عيسى بن الهداد الاصطرلابي الهمايوني: من أعماله: أنه عمل اصطرلاب عجيب في خزانة ندوة العلماء بلكنو صنعه أيام شاهجهان بن جهانكير التيموري⁽¹⁾.
وغير هؤلاء الكثير من العلماء الذين اشتهروا في شتى مجالات المعرفة وشيدوا صرح الحضارة الإسلامية في كل مكان، ومن تلك البقاع بلاد الهند ذات العجائب والغرائب، فأنثروا الحياة العلمية وساروا بها نحو التقدم والرقى.

* * *

(1) ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص282.

المبحث الثالث

الأثر الدعوي للمدارس والمكتبات في القرن الحادي عشر الهجري

أصبحت الهند في القرن الحادي عشر الهجري بلداً ذات مكانة علمية راقية تضاهي تلك التي كانت في الحجاز ومصر والعراق والشام واليمن وغيرها من البلدان الإسلامية التي اشتهرت آنذاك بالعلم ونشره، وبالتالي تأثرت الدعوة الإسلامية وغدت هي الأخرى ذات تأثير على المجتمع الهندي، والأمر في هذا كله راجع إلى وسائل عدة وعلى رأسها المدارس والمكتبات، ويظهر ذلك فيما يلي:

1- نشر الإسلام وتعاليمه بين الهنود:

من البدهي أن من يتعلم أمراً أو قيمة أو نحوهما أن يحب ذلك الخير للغير، تلك من أهم صفات المسلم، فساهمت المدارس والمكتبات في نشر تعاليم الإسلام وهداية الناس إليه، فالطلاب الذين تخرجوا من هذه المدارس انطلقوا في أرجاء البلاد الهندية ناشرين للإسلام ومعلمين له، وآخذين بأيدي الناس إليه، وما ذلك إلا لما فهموه وعلموه من نصوص الإسلام التي تعلموها في تلك المدارس وما قرأوه في المكتبات التي انتشرت في كل البلاد الهندية.

فمن الآيات التي حثت على هذا قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣١) (١).

ف«المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه» (٢). فتعليم الناس الخير وإن كان واجباً على آحاد الأمة فهو على من تعلم وفقه أوجب، فمن هذه الآية انطلق

(1) سورة آل عمران الآية 104.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 91/2.

الدارسون في المدارس الهندية، ورواد المكتبات في الهند إلى نشر الإسلام وهداية الناس إليه.

ومن الأحاديث المهمة في هذا الأثر، عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَهْلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ: أَيُّهُمْ يُعْطَى فَعَدَّوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ: انْفِذْ عَلَى رَسُولِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»⁽¹⁾.

يشير الحديث إلى فضل وعظم من يكون سبباً في دخول أحد الناس في الإسلام، ولعل هذا ما دفع الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في وضع ترجمة لهذا الحديث بقول: «باب فضل من أسلم على يديه رجل». فتعلم الطلاب في المدارس والقراء في المكتبات مثل هذه الأحاديث، وانطلقوا في رحابها معلمين وناشرين للإسلام، فشهدت الحركة الدعوية نشاطاً ملحوظاً في العهد المغولي في القرن الحادي عشر الهجري، وكان نتيجةً لازدهار العلمي الذي ساد في ذلك القرن، فكثرت الدعاة إلى الله تعالى، فأنْتَجَوْا ثروة ضخمة ووفيرة من المؤلفات النافعة، والتي كان لها أبلغ الأثر في نشر الإسلام وتعليم قضاياه.

وكما هو معلوم أن الهند كانت تنتشر بها ديانات متعددة إلا أن الإسلام شق طريقه بينهم في سرعة هائلة؛ نظراً لما قام به هؤلاء الطلاب والقراء من جهود مضنية في نشره، وما تتمتع وتتميز به تعاليم الإسلام ومبادئه من وضوح لا غموض فيها، فالإسلام دين واضح بين، لا تعقيد فيه ولا تعتيم، لا خفاء فيه ولا ألغاز، خالياً من الطلاسم والأساطير والخرافات، فيتسم بالظهور والوضوح

(1) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل 60/4، ح رقم ٣٠٠٩.

والبساطة والمنطقية والمعقولية في كافة جوانبه وأركانه وأصوله وفروعه، فكان هذا أولاً دافعاً إلى دخول الهنود في الإسلام، ثم في جهود هؤلاء الخريجين من المدارس المنتشرة في بلدان الهند، ودور المكتبات الرائد في نشر الثقافة والعلم.

2- تنشئة الدعاة والعلماء وإعدادهم:

عملت المدارس على تنشئة الدعاة والعلماء؛ حيث كانت الدراسة فيها منصبة على علوم الإسلام ودعوته إلى جانب الاهتمام بالعلوم الأخرى، وفي تلك المدارس وعلى يدي علمائها تربي الدعاة إلى الله تعالى، وضموا إلى جانب التربية التعلم للكيفية التي يدعون بها إلى الله تعالى، وكيف يبلغون رسالته إلى الناس، والأساليب المتبعة في الدعوة، ومن ثم أصبحوا يدعون إلى الله تعالى على بصيرة وعلم، فالعلم هو العاصم بعد معونة الله تعالى للدعاة من الانحراف والزيغ والضلال والإفراط أو التفريط، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾.

فـ«يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، أمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي»⁽²⁾.

وهذه المدارس هي التي أهلتهم وهيئتهم وأعدتهم لحمل لواء الدعوة الإسلامية.

3- نشر الوعي الإسلامي في المجتمع الهندي:

يعتبر الوعي من أول ما جاء الإسلام لتدعيمه في المجتمعات، فلقد جاءت

(1) سورة يوسف الآية 108.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 4/422.

رسالة الإسلام لتنتشر الإنسانية من جهالاتها وضلالاتها، وتنقلها إلى الوعي الصحيح بقيمة الدين والحياة والأحياء، حتى كانت بعثة النبي ﷺ وسيلة عملية لبناء الوعي الصحيح في حياة الناس جميعاً.

يقول الله تعالى في شأن نبيه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽¹⁾.

فمهمة رسالة الإسلام في حياتنا كمهمة صاحبها رسول الله ﷺ؛ حيث يتلو ويطهر النفوس بتلاوته وسلوكياته ويعلم أمته الحكمة، فكان النبي ﷺ من أول لحظه في دعوته يحرص على بناء وعي الإنسان لتنميته الإدراك وتصحيح المفاهيم لتوضيح مسار الحياة الفاضلة، وللدلالة على الطريق المستقيم نحو الدار الآخرة والنجاة يوم القيامة، وما ذلك إلا لأن الوعي هو بداية النور الحقيقي للأمة.

فقامت المدارس والمكتبات بدور رائد في نشر الوعي بتعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه عبر خريجيه، فمن الطبيعي أن تخرج هذه المدارس الآلاف من العلماء والدعاة، ومهمة هؤلاء العلماء والدعاة ليس فقط التعلم من أجل إصلاح النفس فقط، بل إن العلم بطبيعته لا بد أن ينتشر بين الناس ويعلو ويكون هو الضابط لشئون الناس، فانتشر هؤلاء العلماء والدعاة في ربوع الهند وعلى امتداد أراضيها يعلمون الناس تعاليم الإسلام وشرائعه، ويرشدونهم إلى ما ينفعهم ويصلح أحوالهم في دنياهم وأخراهم، فاصطبغت حياتهم بالصبغة الإسلامية، وكانوا من أكثر الأمم التزاماً بتعاليم الإسلام.

فقد يتبين من ينظر إلى بلاد الهند في العصر الحاضر أن من يدخل منهم في الإسلام يكون من أكثر الناس التزاماً به، وتمسكاً بتعاليمه، فكيف يكون تصور الحال في القرن الحادي عشر الهجري ولم تكن هناك المعوقات الموجودة في

(1) سورة الجمعة الآية 2.

عالم اليوم، فخريجوا المدارس ورواد المكتبات من العامة والعلماء كان لهم دورهم في تمسك الناس والتزامهم بتعاليم الإسلام، فعملت المدارس في رفع مستوى الوعي والثقافة، وانتشار العلم بين أهل الهند وما جاورها من بلاد، حتى غدا العوام من الحرفيين والصناع وغيرهم أصحاب ثقافة وعلم، وكتب التراجم والتاريخ تحفظ الكثير من الأسماء اللمعة في العلوم المختلفة من ينتسبون إلى حرف، كالخواص، والزجاج.. وغيرهم، وهذا أمر مشهور ومعلوم على امتداد تاريخ الإسلام.

ومن المعلوم أن المجتمع الهندي كان من أكثر المجتمعات التي ينتشر فيها الخرافات والأساطير، ويسيطر عليه الجهل، وقد سجل البيروني هذا في العديد من كتبه، وقد عمل البيروني وإخوانه العلماء والدعاة الذين تخرجوا من المدارس المنتشرة في أرجاء الهند على علاج تلك الأوضاع، فغدا المجتمع الهندي مجتمعاً نظيفاً إلى حد كبير من الجهل والأساطير، المدارس وقراء المكتبات كان لهم دور فعال في إحداث تطور ورفعة للمجتمع الهندي وإحداث نقلة نوعية للحالة العلمية للأمة.

4- تقويم الأخلاق وتهذيب السلوك وغرس القيم الأخلاقية الرفيعة :

ظهر أثر المكتبات والمدارس العظيم في إحداث طفرة هائلة في المجتمع الهندي، فعملنا على تقويم الأخلاق، وتهذيب السلوك، وغرس القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة، والمبادئ السامية في نفوس الطلاب، فهذه المدارس كانت ولا تزال بيئات تربوية للطلاب، وتعمل بجد على إكساب التلاميذ والمنتمين إليها السلوك الأخلاقي عن طريق القدوة الحسنة الصالحة المتمثلة في الأساتذة والمعلمين والمربين، وعن طريق ما تعلموه وما درسوه من مبادئ وقيم إسلامية، وهؤلاء الطلاب بعد تلقيهم هذه الجرعات الأخلاقية انتشروا في أرجاء البلاد طولاً وعرضاً يطبقون ما لمسوه في أساتذتهم وما تعلموه منهم وما قرأوه في المكتبات، فأعطوا لأهلهم ومجتمعهم صورة أخلاقية حية، وواقعاً مشاهداً فاقتدى

الناس بهم، فعمت الآداب الإسلامية الحسنة والقيم النبيلة المجتمع الهندي، واستطاع هؤلاء الدعاة تغيير الكثير من العادات والأخلاق والسلوكيات الذميمة التي كانت موجودة، وتلك هي مهمة الدعاة والعلماء على مدى العصور.

ومن هذا الأثر الكبير استفاد الدعاة والعلماء المصلحون من كتاب الله تعالى، ومن سنة النبي ﷺ، وهاك بعض النصوص الدالة على ذلك: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾.

فـ«يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: دعا عباد الله إليه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل ياتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك»⁽²⁾.

فدلت الآية على أن الذي يعلم شيئاً لابد أن يعمل على تعليمه لغيره، ويأخذ بيده إلى الصلاح الذي أصبح عليه هو، ولا شك أن المدارس تعمل على تعليم الخلق القويم والسلوك النبيل، فينطلق المتعلم به في بيته وجيرانه داعياً إليه ومعلماً له لإيصال النفع به إلى غيره.

وعَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»⁽³⁾.

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، فالواجب على من تعلم شيئاً أن ينطلق به معلماً، والحديث وإن كان نص على تعلم القرآن الكريم، فلا شك أنه

(1) سورة فصلت الآية 33.

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 179/7.

(3) أخرجه: البخاري في صحيحه ك فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه 122/6، ح رقم ٥٠٢٧.

يشمل كل ما يعلمه القرآن الكريم للناس من أخلاق وسلوك وقيم وعقيدة وغيرها، فالقرآن نص محوري لكل العلوم النافعة، فيتعلم الطلاب ورواد المكتبات من القرآن الكريم وما انبثق عنه من علوم القيم والأخلاق والسلوك النبيل، فينطلقوا به مربين ومعلمين، راغبين في إيصال النفع الذي تعلموه إلى غيرهم، ويبغون الخير لمن سواهم.

5- القضاء على المعتقدات المنحرفة:

يعتبر هذا الأثر من أخطر الآثار المترتبة على المدارس والمكتبات، فقد عملت المدارس والمكتبات بجهد كبير في التحذير من المعتقدات المنحرفة عن طريق ما خرجته من علماء، وبالطبع درس هؤلاء الخريجين على أيدي علماء أفاض في شتى المجالات، فدور العلماء ليس فقط تعليم الطلاب العلم النافع منفصلاً عن الواقع، بل انطلق الكل معلمون وخريجون إلى مجابهة ما ينتشر في المجتمع من انحرافات فكرية ومعتقدات باطلة، فلم يقتصر نشاط خريجي المدارس ورواد المكتبات داخل أبنية المدارس وما ضاهاها فقط، بل تجاوزها إلى أرجاء الدولة المغولية كلها وما حولها، فتلك المكانة التي تبوأتها النصيحة في الدين الإسلامي لما لها من عظيم الأثر في استقامة الأمة، وتقويم الانحراف، والقضاء على الشر والفساد، ورد الناس إلى طريق الهدى والرشاد، وإصلاح تصرفات الحكام والجماعات والأفراد، وإقامة العدل إلى غير ذلك.

وتقديم النصيحة من واجب العلماء الذين يقومون أي انحراف في المجتمع. فالعلماء هم الحصن الحصين للأمة من الزلل والشطط والاعوجاج والانحراف والفتن والمهلكات، ولقد أحدثت النصائح التي قدمها كل من الإمام السرهندي والإمام عبد الحق الدهلوي للأمرء المعاونين للسلطين أثراً إيجابياً في تغيير الأوضاع، وأظهروا وسطية الإسلام بجميل العبارة وحسن المنطق، وقوة الاستدلال، وما ذلك كله إلا بفضل ما أحدثته المدارس والمكتبات التي امتدت في طول البلاد الهندية وعرضها من علم ومعرفة وثقافة.

6- تخريج أجيال قدموا خدمات جليلة للأمة:

في النهاية لابد من تقرير أثر مهم هو أن المدارس والمكتبات عملت تخريج أجيال قدموا خدمات جليلة للأمة المسلمة في شتى مجالات الحياة وميادينها، تخرج منها الجندي الشجاع الذي دافع عن دينه ونافح عن وطنه، تخرج منها القضاة الذين قاموا بالعدل والقسط حكماً بين الناس، فأرسوا دعائم العدل والحق، ونشروا به الأمن والأمان بين الناس، وأقاموا القسط بين المتنازعين، فلم يعرفوا إلا الحق ولم يقضوا إلا بالعلم الذي تعلموه، فلم يظلموا ولم يجوروا ولم يحابوا أحداً لمنزلة أو جاه أو سلطان، بل عاملوا الكل بمنطق العدل، تخرج منها التجار الصادقون الأمانة الذي لم يعرفوا الغش ولا التزوير ولا الخداع، ولا التدليس، وكانوا صورة مشرفة للدين الإسلامي، تخرج منها العلماء النصحاء.

كما تخرج من هذه المدارس العلماء الذين كان لهم جهد كبير ودور متميز في الحفاظ على كيان الأمة والحفاظ على الهوية الإسلامية، والنهوض بالأمة إلى الرقي والمجد والرفعة والتقدم والازدهار، كما تخرج منها الأطباء الماهرون في تخصصاتهم، فعالجوا المرضى وداووا الجرحى وخففوا آلامهم وأوجاعهم، وتخرج منها المهندسون الذين برعوا في تشييد البنايات النافعة، كما تخرج منها الزراع والصناع الذين اتقوا الله في أعمالهم، فانتفعت بهم الأمة كثيراً على النحو الذي يصلح الأمة، فكان لكل ذلك أثره الإيجابي على المجتمع.

* * *

الباب الثالث

أبرز رجال الدعوة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

ويشتمل على وفصلين :

◆ الفصل الأول : الإمام السرهندي وجهوده في الدعوة.

◆ الفصل الثاني : الإمام عبد الحق الدهلوي وجهوده في الدعوة.

الباب الثالث

أبرز رجال الدعوة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري

أنجبت بلاد الهند الكثير من العلماء العاملين، والذين كان لهم باع طويل في الدعوة، وكان أبرزهم عطاءً وتأثيراً في زمانهم وما بعد زمانهم في الهند وغيرها داعيان كبيران، وهما:

1- الإمام السرهندي.

2- الإمام عبد الحق الدهلوي.

ونذكرتهما لميزات عدة امتازا بها، ومنها:

1- تميز هذان العالمان بالتأثير الشديد فيمن حولهم من أهل الهند.

2- سعة وكثر المؤلفات التي تميز بها هذان العالمان عن غيرهم من علماء القرن الحادي عشر الهجري.

3- كان لكل منهما منهجه المستقل.

4- قرب هذين العالمين من دوائر الحكم في الهند في ذلك الوقت والذي كان له أثر كبير في تغيير الوضع والحال في القرن الحادي عشر الهجري.

5- الاستعداد التام لتحمل تبعات الدعوة إلى الله تعالى.

* * *

الفصل الأول

الإمام السَّرهندي وجهوده في الدعوة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- ◆ المبحث الأول : التعريف بالإمام السرهندي.
- ◆ المبحث الثاني : جهود الإمام السَّرهندي لإصلاح الدولة والعودة بها إلى تعاليم الإسلام الحقّة من جديد.
- ◆ المبحث الثالث : حملة الإمام السَّرهندي على الاتجاهات المخالفة السائدة في عصره.

المبحث الأول

التعريف بالإمام السرهندي⁽¹⁾

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه:

ينتهي نسب الإمام السرهندي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو: الشيخ أحمد (الفاروقي السرهندي) بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد بن حبيب الله، وقد عدد الأستاذ أبو الحسن الندوي نسبه حتى وصل به إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽²⁾.

لقبه: لقب ببدر الدين، وتكنى بكنية أبي البركات⁽³⁾.

ثانياً: ولادته وأسرته ونشأته وتعلمه:

● مولده:

ولد الإمام المجدد (السرهندي) ليلة الجمعة في الرابع عشر من شوال عام 971هـ، الموافق: 26 من شهر يوليو عام 1564م، بمدينة سرهند⁽⁴⁾.

(1) تذكر بعض المصادر والمراجع السرهندي، وبعضها: السهرندي، وهي نسبه إلى سهرند، بكسر السين المهملة وسكون الهاء وكسر الراء وسكون النون والذال المهملة؛ وهي بلدة عظيمة بين دهلي ولاهور.

ينظر: سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص106.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص137، 138.

(3) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص80.

(4) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص145، الحقائق الوردية ص247، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 479/5، أبجد العلوم: القنوجي 225/3، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص106، تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص81.

● أسرته:

أما والده فهو: عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد بن حبيب الله ابن رفيع الدين العمري السرهندي، أحد المشايخ الجشتية، ولد ونشأ ببلدة سرهند، واشتغل بالعلم أياماً، ثم سافر إلى ككوه، وأدرك بها الشيخ عبد القدوس بن إسماعيل الحنفي الككوهي، وأراد أن يدخل في أصحابه؛ فأبى الشيخ وأمره بتكميل العلوم المتعارفة⁽¹⁾، فعاد إلى سرهند وجد في البحث والاشتغال، حتى برع في العلم وتأهل للفتوى والتدريس، والشيخ المذكور قد مات قبل تكميله؛ فسافر إلى أقطار الهند، وأدرك كثيراً من المشايخ، واستفاض منهم، ثم دخل ككوه ولازم الشيخ ركن الدين بن عبد القدوس الككوهي مدة طويلة، فاستخلفه الشيخ سنة تسع وسبعين وتسع مئة؛ فرجع إلى بلدته، وتصدر بها للدرس والإفادة⁽²⁾.

وكان للشيخ عبد الأحد - عدا أستاذه في التربية والسلوك الشيخ عبد القدوس والشيخ ركن الدين - علاقة خاصة بالشيخ كمال الكيتيلي، أحد المشايخ المعروفين في السلسلة القادرية، وكان الشيخ من نوابغ الرجال وأصحاب الأحوال والمقامات السنية⁽³⁾.

وكان الشيخ عبد الأحد من خيرة العلماء في عصره؛ فكان يدرّس العلوم الدينية بتحقيق تام وتدقيق كامل، وكانت له اليد الطولى في الفقه وأصول الفقه، وكان يجمع مع علمه الغزير ومعرفته الواسعة ذوقاً دينياً عميقاً ونظرة عميقة في الفكر الصوفي، وكان يقوم بتدريس أمهات الكتب الصوفية، مثل: (عوارف المعارف)

(1) ينبغي لمن أراد أن يتعلم التصوف وأن يكون من أهله أن يكمل تعليمه الأساسي من تعلم الفقه والحديث والتفسير وغيرها، ثم يُقبل على علوم التصوف؛ كي لا يقع في الضلال بسبب جهله بعلوم الدين.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/550.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص143.

و(فصوص الحكم)⁽¹⁾، وله مصنفات في العلوم الدينية، منها: (كنوز الحقائق)، ومنها: (رسالة في أسرار التشهد)، وله غير ذلك من الرسائل⁽²⁾.

وأما عن والدته: فعندما كان الشيخ عبد الأحد في رحلته إلى (سكندره)، ومكث هناك أياماً قليلة، تقدمت إليه أسرة كريمة؛ لما توسمت فيه من شرف وكرم محتد، ورأت صلاحه وتورعه، وجمعه بين العلم والعمل، وخطبت إليه فتاة طيبة صالحة من بناتها؛ فحصل الزواج، وكان جميع أبناء الشيخ عبد الأحد من هذه الزوجة الكريمة الصالحة، وقد رزق الشيخ عبد الأحد سبعة أبناء، وقد كان الإمام السرهندي واسطة العقد وبيت القصيد من بين إخوته⁽³⁾.

يقول الإمام السرهندي عن والده: «وكانت له اليد الطولى في علوم كثيرة عقلية ونقلية، وكان متأدياً غاية التأديب للشعائر والشرائع الدينية، متواضعاً غاية التواضع، كثير الاهتمام باتباع السنة، عاملاً بالعزيمة»⁽⁴⁾، «وقد توفي في 17 رجب عام 1007هـ في مدينة سرهند»⁽⁵⁾.

وهذا يظهر لنا أن البيئة الخاصة المتمثلة في الوالدين كان لها أثر طيب على حياته العلمية عملاً وقولاً.

● نشأته وتعلمه :

نشأ الإمام السرهندي في بيت علم؛ فأبوه عالم جليل، واهتم به اهتماماً بالغاً، وكان المشايخ الربانيون والعلماء الصالحون - لا سيما الشيخ كمال الكيتهلوي الذي كان والد الإمام وثيق الصلة به - يحبونه ويعاملونه معاملة خاصة، ويؤثرونه على أتراكه وزملائه.

-
- (1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص80.
 - (2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 550/5.
 - (3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص144.
 - (4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 550/5.
 - (5) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص145.

بدأ تعلمه بحفظ القرآن الكريم، فحفظه في زمن يسير، ثم بدأ يتعلم مبادئ العلم عند والده، وبعد مدة يسيرة برزت مواهبه وصلاحيته، وظهرت مزيتته في سرعة إدراك المواد الدقيقة، والتعبير عنها في عبارة واضحة مفصحة عن الموضوع، وأخذ أكثر العلوم المتداولة عن والده وبعضها عن غيره من علماء عصره الكبار⁽¹⁾.

وقد أخذ العلوم العقلية عن الشيخ الكبير كمال الدين الكشميري، الذي كان يعتبر من أكابر علماء عصره الجامعين بين العلم العميق والبحث والتدقيق وبين الورع والتقوى، وتتلذذ على يديه عدد كبير من أصحاب العلم والمعرفة، منهم: العلامة عبد الحكيم السيالكوتي، والعلامة سعد الله خان؛ رئيس الوزراء للإمبراطورية المغولية في عهد شاه جهان، وبعد أن فرغ من دراسة العلوم اللغوية والعقلية، انصرف إلى التخصص في علوم الحديث والتفسير⁽²⁾؛ فأخذ الحديث عن مولانا يعقوب الكشميري، وتناول حديث المسلسل بالأولية، وهو: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»⁽³⁾، بواسطة واحدة عن الشيخ عبد الرحمن الذي كان من كبراء المحدثين بالهند، وتعاطى عنه إجازة كتب التفسير والصحاح وسائر مقروءاته، وفي عمر سبع عشرة سنة فرغ من تحصيل العلوم الدراسية واشتغل بالتدريس والتصنيف؛ فصنف في تلك الأيام رسائل لطيفة باللسان العربي والفارسي⁽⁴⁾، منها: الرسالة التهليلية، ورسالة في الرد على مذهب الإمامية⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق ص 145.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 82، 83.

(3) أخرجه: أبو داود في سننه ك الأدب، باب في الرحمة 285/4، ح رقم 4941. وقال الشيخ شعيب: صحيح.

(4) ينظر: سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البكرامي ص 106، 107.

(5) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص 147.

وبعد أن فرغ الإمام السرهندي من دراسة العلوم الشرعية واللغوية، اتجه إلى علم التصوف، وقبل الخوض في الكلام عن هذه المرحلة في حياة الإمام يطرح سؤال: لماذا الحاجة إلى دراسة علم التصوف؟ وخاصة في عصر الإمام السرهندي، وأترك الإجابة للعلامة أبي الحسن الندوي؛ الذي استفاض في الإجابة فقال: «لا بُد - في هذا الصدد - من أن نشير إلى أن ذلك الوسط والعهد الذي قام فيهما الإمام السرهندي بدوره التجديدي، ومهمته الإصلاحية العظيمة، كان التصوف فيهما قد تغلغل في أحشاء المجتمع الإسلامي، وامتزج بلحمه ودمه، حتى أصبح التصوف له طبيعة وذوقاً، وسمّة وشعاراً، ولم يكن الأمر مقتصرًا على طبقة خاصة من الناس، بل كانت العامة لا تعبأ بعالم أو مُربٍّ، أو مصلح، ولا تقيم له وزنًا، ولا تعتقد فيه الخير والصلاح، ولا تنتفع بمواعظه وكتاباتاته، ما لم يكن له إلمام بالتصوف والسلوك، ويكون قد صحب بعض المشايخ المعروفين، وانخرط في سلك بعض الطرق السائدة المقبولة في الناس، ثم إنه لا تقوم ثورة حقيقية على أساس الخطابة الساحرة، وغازاة العلم، وسعة الثقافة إذا لم تكن وراءها النفسُ الزكية الخاشعة، والقلب العامر الفائض بالإخلاص واليقين، والتوجه لحال المسلمين، والتألم مما أصاب الدين، وهي صفات لا تنشأ غالبًا إلا مع كثرة الذكر والعبادة، ومجالسة الصالحين، وترسم خطى المتقين، وكان مَنْ يُمنّي نفسه بقلب الأوضاع التي استحكمت ورسخت، وإصلاح المجتمع الذي استشرى فيه الفساد، وتضافرت عليه عوامل الهدم والإفساد، والتأثير في بيئة زخرت بكبار العلماء، وحذاق الأساتذة، ونوابغ الأدباء والشعراء، ثم لا يزيد على أن يشاركهم في بضاعتهم وقد يتفوقون عليه في بعض العلوم والفضائل، ولا يكون عنده ما يحتاجون إليه ويُقرُّون بتخلفهم فيه، من صلة قوية بالله، ومعرفة مصائد الشيطان، ومكايد النفس، ووصول إلى درجة الإحسان، وأعلى مراتب الإيمان، واستقامة على اتباع الشريعة والسنة النبوية، وعزوف عن الشهوات، وزُهد في الدنيا، واستهانة بأربابها، وإقبال على الآخرة، كان من هذا شأنه كمثل

من يخوض في ساحة القتال من دون تجنيد وتدريب وتمارين، ويقا تل جيشاً مدرباً مدعماً بالأسلحة والوسائل، أعزل لا يحمل سلاحاً، أو يحمل ما يحملونه، أو كمثل الأخرس الذي يحاول البيان والتعليم والإفهام»⁽¹⁾.

وشاءت الأقدار فجمعت بين الإمام السرهندي والإمام عبد الباقي النقشبندي، الذي كان إماماً للطريقة النقشبندية؛ ليأخذ عنه هذه الطريقة، ويشغل بها، وقد أجاز له الشيخ في نهاية مدة لزومه⁽²⁾.

وقال عنه: «الشيخ أحمد: رجل من سهرند، كثير العلم، قوي العمل، جالسه الفقير عدة أيام، وشاهد عجائب كثيرة في أوقاته، يترأى أن سيصير شمساً يتتور بها العوالم»⁽³⁾.

ثالثاً: صفاته :

حبا ه الله تعالى بحسن الخلق والخلق معاً كما وصفه الشيخ بدر الدين السرهندي⁽⁴⁾ - الذي صحبه سبعة عشر عاماً، وكان من خلفائه - بالوصف التالي: «كان أسمر اللون، ضارباً إلى البياض، يلمع جبينه وخداه نور يخلب الأبصار، أزجُ الحاجبين، وكان حاجبه مثل القوس مع طول، أسود، دقيقاً، أنجل العينين، موضع سوادهما غاية في السواد، وموضع بياضهما غاية في البياض، دقيق الأنف، رقيق الشفتين في حمرة، معتدل الفم، متراص الأسنان تقتزُّ عن مثل

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 148/3، 149.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 480/5.

(3) ينظر: سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص108.

(4) الشيخ الفاضل بدر الدين الحنفي السرهندي، أحد المشايخ المشهورين، في زمانه، أخذ الطريقة عن الشيخ يحيى السنديلوي، وأخذ عنه أمان الله السرهندي ومولانا مير علي كنبو وخلق آخرون، ذكره محمد بن الحسن في كلزار أبرار.

ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 366/4.

اللؤلؤ المنظوم، كثّ اللحية مع وقار ورزانة، لحيته طويلة مربعة، ولم تتجاوز شعراتها على خديّه أكثر من الحد الطبيعي، متوسط القامة، ناعم الجسم»⁽¹⁾.

وكان معظماً لدينه متبعاً لهدي النبي ﷺ في أقواله وأفعاله منذ شبابه، يقول عن نفسه: «ليست أعمالنا وما نقوم به إلا بفضل من الرحمن وكرمه، ولا يتشرف المرء ولا يسعد إلا بفضل الرحمن ولطفه وكرمه وابتغاء سيد الأولين والآخرين - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحابته أجمعين وسلم -، وكل ما شرفني الله به من أحوال فبفضل اتباعه ﷺ، وما لم يشرفني به فذلك بسبب قصور عملي وقلة باعي في اتباع سيدنا رسول الله ﷺ، فإن الإنسان يصدر منه أحياناً بمقتضى بشريته كثير من الأخطاء والتقصيرات، فيوماً كنت أدخل المستراح فنسيت وأدخلت قدمي اليمنى قبل قدمي اليسرى، خلافاً لسنة رسول الله ﷺ، الذي كان يدخل قدمه اليسرى الشريفة في المرحاض، فشعرت بسبب هذا التقصير انقباضاً روحياً شديداً لعدة أيام»⁽²⁾.

وقال يوماً لصالح الختلائي: هات عدداً من القرنفل من كيس، فذهب وجاء بست حبّات من القرنفل، فأبدى استيائه وغضبه، وقال: لا يعرف هذا الصوفي⁽³⁾ أنه جاء في الحديث: «إن الله سبحانه وتعالى وتر يحب الوتر»⁽⁴⁾، فتستحب مراعاة الوتر، ماذا يعتقد الناس في المستحبات، لو وهبت الدنيا والآخرة لإنسان كفاء عمل يستحبه الله ويرضاه، لما كان لهما قيمة⁽⁵⁾.

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص186.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص100.

(3) يستتج من هذا أن التصوف الحقيقي إنما هو في اتباع سنة النبي ﷺ، والعمل بكل ما جاء فيها، وأن كل ما خالف السنة النبوية فليس بتصوف وإنما هو من قبيل البدع والتي انتشرت كثيراً في الطرق الصوفية في هذه الأيام.

(4) جزء من حديث، أخرجه: أحمد في مسنده 389/2، ح رقم 1216.

(5) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 179/3، 180.

وكان يواظب في الوضوء على ذكر جميع الأدعية المأثورة التي وردت في الأحاديث النبوية، وكان يراعي في الوضوء استقبال القبلة مراعاة تامة، والتسوك عند كل وضوء، وكان يتوضأ في أكثر الأحيان عند كل صلاة، وكان يراعي طول القنوت في الصلوات التي كان يؤديها منفرداً، وكان يتلو أحياناً في صلاة التهجد سورة يس، وأحياناً أجزاء وسور أخرى من القرآن الكريم، وكان ينسئ قليلاً بعد أداء التهجد كما كانت عادة رسول الله ﷺ الشريفة⁽¹⁾.

وكان يصلي الفجر في آخر وقت الغلس وأول وقت الإسفار حتى يجمع بين المذهبين في ترجيح الغلس أو الإسفار، ويؤم بنفسه في هذه الصلاة، ويقرأ الطوال⁽²⁾، ثم يجلس من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس في الحلقة، ثم يتطوع عند الإشراف يطيل فيها القراءة، ويشغل بالأوراد والأذكار حتى ينتهي منها؛ فيأتي البيت ويتعهد الأهل والعيال، ويعطي تعليماته وإرشاداته في الأمور البيتية اليومية، ثم يذهب إلى الخلوة، وينهمك في تلاوة القرآن انهماكاً تاماً، ويطلب بعد الفراغ من التلاوة المريدين والمسترشدين، ويسألهم عن أحوالهم وشؤونهم، ويرشدهم فيها، ويطلب في نفس الوقت خواص أصحابه وتلامذته، ويفيدهم بالعلوم والحقائق والمعارف العالية، ويتوجه بقلبه إليهم، ويخبرونه بأحوالهم وكيفياتهم فيؤكد عليهم بدوام الاستحضار وسر حال، واتباع السنة، وعلو الهمة⁽³⁾.

ثم بعد ذلك كان يتناول الغداء، وكان يقيل قليلاً بعد تناوله، ويتوجه إلى الظهر عند سماع الأذان، ثم يؤدي سنة الزوال، ويقول: إن رسول الله ﷺ لم يترك هذه السنة من زمن بعثته الشريفة إلى وفاته الطيبة، ثم يدعو أحد تلامذته بعد صلاة الظهر الذي كان يقرأ أمامه جزءاً من القرآن الكريم؛ فإن لم يجد أحداً

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص101.

(2) وهي من سورة الحجرات إلى سورة البروج.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 181/3، 182.

دخل المنزل وتلا جزءاً بنفسه، وكان يؤدي تطوع الأوابين بعد صلاة المغرب، وكان يصلي أحياناً أربعاً وأحياناً ستاً، ويقرأ فيها سورة الواقعة كما هو السنة عند العلماء، ويقرأ في الوتر في أكثر الأوقات سورة الأعلى وسورة الكافرون وسورة الإخلاص، وكان يجمع بين القنوت الحنفي والقنوت الشافعي، وكان يؤدي الوتر أحياناً في أول الليل وأحياناً في آخره⁽¹⁾.

وقد وصفه تلميذه الشيخ بدر الدين السرهندي فقال: «وكان غاية في التواضع، ولين الجانب، ودمائة الخلق، وحسن العشرة، والشفقة على الخلق، متسنماً ذروة الرضا، والتوكل والتفويض، أؤدي من أقربائه وأصدقائه وأحبابه ومن الحكام الجائرين إيذاءً شديداً، ولكنه التزم جانب الرضا والتفويض، وما تكلم لسانه بشيء ينم عن التبرم والشكوى، وكان إذا زاره أحدٌ قام احتراماً وتكريماً له، ويجلسه في مكان بارز، ويتحدث معه بما يناسب ذوقه ونفسيته، ولكنه لم يكن يحترم غير المسلمين ويعظمهم وإن كانوا ولاة وأمراء، وأصحاب السلطة والجاه، وكان يبدأ بالسلام، لا أذكر أحدًا سبقه في البدء بالسلام، وكان يراعي من له عليه حقٌ غاية المراجعة، وإذا نعي إليه إنسان يتأثر ويحزن ويسترجع، ويحضر جنازته، ويدعو له ويثيبه بالطاعات والقربات»⁽²⁾.

رابعاً: زواجه وأبناؤه:

تزوج الإمام السرهندي من ابنة والي منطقة تهانيسر، ويدعى الشيخ سلطان التهانيسري، وحدث ذلك وهو في طريق عودته من أكره إلى سرهند وكان بصحبته والده، وقد نزلا ضيفين على الشيخ سلطان الذي رحب بهما ترحيباً حاراً وأكرمهما إكراماً كبيراً، وكل واحد منهما أحب الآخر، فأدت هذه المحبة إلى زواج الإمام المجدد ببنت الشيخ سلطان ورجع إلى وطنه بالأهل⁽³⁾.

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 101، 102.

(2) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 185/3.

(3) المرجع السابق 147/3، 148، تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 86.

وقد رزق الإمام السرهندي من هذه الزيجة سبعة أبناء، توفي اثنان منهما في الصغر في حياة الإمام، وهما الشيخ محمد فرخ، والشيخ محمد عيسى، وكان الشيخ محمد أشرف مات في أيام الرضاعة، وتوفي ابنه الأكبر الشيخ محمد صادق بعد الفراغ من تحصيل العلوم الدينية والسلوك عام 1025هـ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وبقي الثلاثة من أبنائه الأماثل الشيخ محمد سعيد، والشيخ محمد معصوم، والشيخ محمد يحيى أحياء تتجمل بهم هذه الأسرة العظيمة، وأطلق عليهم السلسلة الذهبية والشموس المضيئة⁽¹⁾.

خامساً: وفاته:

توفي يوم الثلاثاء 28 من صفر عام 1034هـ، بمدينة سرهند، وله 63 سنة، وصلى عليه ابنه محمد سعيد، وقبره هناك مشهور⁽²⁾.



(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 186/3، 187، أبجد العلوم: القنوجي 227/3.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 486/5، رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 178/3، أبجد العلوم: القنوجي 226/3.

المبحث الثاني

جهود الإمام السرهندي لإصلاح الدولة والعودة بها

إلى تعاليم الإسلام الحقّة من جديد

الحديث عن الإسلام وغربته في بلاد الهند في بداية القرن الحادي عشر الهجري، يكون بعين من واكب الأحداث وذاق قلبه مرارة التوجع والحسرة على الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت؛ وأحسن من يصف الداء ويصف له الدواء هو الإمام السرهندي، فقد عبر في أكثر من مكتوب من مكتوباته عن حال الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت فقال: «... الإسلام صار ضعيفاً وطفق كفار الهند يهدمون المساجد بلا تحاشي ويعمرون في مواضعها معابدهم، كان في «تانيسر» في داخل حوض «كركيهت» مسجد، وقبر واحد من الأعزة فهدموه، وبنوا موضعه ديراً كبيراً، وأيضاً الكفار يجرون مراسم الكفر على الملأ كما شاءوا والمسلمون عاجزون عن إجراء أحكام الإسلام»⁽¹⁾.

ويقول في مكتوب آخر يصف فيه حال الإسلام وما آل إليه أمر المسلمين في عهد «أكبر»: «... وأما في القرن الماضي فقد أجرى الكفار أحكامهم في دار الإسلام على الملأ بطريقة الغلبة والاستيلاء، حتى عجز المسلمون عن إظهار أحكام الإسلام، بحيث من أظهره قتلوه، وا ويلاه، وامصيبتاه، واحسرتا، واحزنا على ما صار مصدقو محمد رسول الله ﷺ محبوب رب العالمين، أذلاء حقيرين عديمي المقدار ومنكره في غاية العز والاعتبار، والمسلمون في تعزية الإسلام مع قلوب مجروحة، والمعاندون يرشون الملح على جراحاتهم بالسخرية

(1) ينظر: المكتوبات: الإمام الرباني المجدد للألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي، تحقيق: عبد الله أحمد الحنفي المصري، القاهرة: توزيع مكتبة النيل، مكتوب رقم 92، المجموعة الثانية، ص 198، 199.

والاستهزاء وشمس الهداية مستورة تحت أفق الضلالة، ونور الحق متروك ومنعزل في حجب الباطل»⁽¹⁾.

والسؤال الآن: من أين يبدأ الإصلاح؟ وما هو المنهج الصحيح لبلوغ ذلك الإصلاح المنشود؟

جهود الإمام السرهندي لإصلاح الدولة والعودة بها إلى الإسلام من جديد:

إن المشروع الإصلاحي والتجديدي الجبار الذي قام به المجدد كان يتضمن إصلاح البيئة والمجتمع، الذي كان تحت تأثير ونفوذ الحكومة؛ وقد صمم الشيخ أحمد على أداء رسالته، وقد اهتم في تفكيره المخلص المجتهد إلى نقطة مهمة، وهي نقطة الفتح. هذا هو الطريق الذي اختاره الإمام السرهندي، وهو أن يبدأ باتصالات خاصة، مع أركان الدولة وأعيانها الذين كانوا مسلمين، وكان الإمام السرهندي يعرف بذكائه الموهوب معرفته العميقة للنفوس، أنه لم يكن لهم في هذه المؤامرة والكيد على الإسلام في عهد السلطان «أكبر»، ناقة ولا جمل، بل كانوا يستنكرون كثيراً من إجراءاته، ولكن السلطة لم تكن بأيديهم حتى يعملوا شيئاً، وكان عدد منهم يتصف بالحب العميق للإسلام والحمية الدينية، وعدد آخر معجبين بشيخ الإمام ومرشده الشيخ الكبير عبد الباقي، ويحبونه ويعتقدون في علو مكانته، وإن لم يكونوا من مريديه، والمبايعين على يديه، وكانوا يعرفون إخلاص الإمام السرهندي، وتحرقه للإسلام وتوجعه للدين وزهده وعفافه. وكان أشهر هؤلاء الأعيان، وأجلهم شأنًا النواب السيد مرتضى المعروف بالشيخ فريد (ت 1025هـ)، وخان أعظم مرزا كوكه (ت 1033هـ) وخان جهان اللوذي (ت 1040هـ)، وصدر جهان البهانوي (ت 1027هـ)، والإله بيك جهان نكير⁽²⁾.

(1) المكتوبات، مكتوب رقم 47، المجموعة الأولى ص90.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 309/3، 310.

إن الناظر في الشخصيات التي بعث إليها الإمام السرهندي، يرى من أول وهلة مدى عظم تلك الشخصيات وأهميتها في الدولة المغولية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هذه الشخصيات تجلّى فيها شرف النسب، وكريم الخلق، ورفعة المكانة؛ فكان لها تأثيرها في الأحداث بعد ذلك، وأول تلك الشخصيات هو الأمير «فريد الدين» هذه الشخصية التي كانت تتمتع بحظوة كبيرة عند السلطان «أكبر» وعند ولده «جهانكير» حتى لقبه بصاحب السيف والقلم، وقد بدأ الإمام السرهندي رسالته إليه داعيًا له بأن يثبتته الله على جادة آبائه الكرام، ثم بين له فضل السلطان وأنه بمثابة القلب من الجسد، وأنه ينبغي على أهل الإسلام أن يعاونوه، ثم حذره من خطر علماء السوء على الإسلام والمسلمين.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «... وقد وصل الآن زوال مانع ظهور الإسلام وبشارة جلوس سلطان المسلمين على سرير السلطنة إلى مسامع الخاص والعام، فينبغي لأهل الإسلام أن يعدوا معاونة السلطان وإمداده لازمة لذمتهم، وأن يدلوه على ترويج الشريعة وتقوية الملة، وهذا الإمداد والتقوية يمكن أن يكون باللسان وأن يكون باليد وأسبق الإمداد باللسان وأفضله هو تبیین المسائل الشرعية وإظهار العقائد الكلامية على طبق الكتاب والسنة وإجماع الأمة النبوية؛ لئلا يظهر في الدين ضال ومبتدع فيفسد الطريق، وينجر الأمر إلى الفساد، وهذا القسم من الإمداد مخصوص بعلماء أهل الحق المقبلين على الآخرة، فإن علماء الدنيا الذين همتهم التهاافت على متاع الدنيا وجمع حطامها، صحبتهم سم قاتل، وفسادهم فساد متعد، وكل بلاء ظهر في القرن الماضي إنما ظهر بسبب شامة هؤلاء الجماعة فإنهم هم الذين أخرجوا السلطان من الطريق الحق، بل ليست فرقة من اثنتين وسبعين فرقة إلا ومقتداهم في اختيار طريق الضلالة هم العلماء السوء...»⁽¹⁾.

فبين الإمام السرهندي للأمير السيد فريد أن كل ما جرى في القرن الماضي إنما كان بسبب علماء السوء، وأن عليه أن يساعد السلطان الجديد ويبين له

(1) المكتوبات، المکتوب رقم 47، المجموعة الأولى ص 90، 91.

الصواب وأن يأخذ بيده إلى طريق الحق؛ كي تخرج الأمة الهندية من محنتها، ويخرج الإسلام من غربته.

ويقول في رسالة أخرى بعث بها إليه بين له فيها أن النجاة من لجة بحر الضلالة في هذه الأيام إنما ترجى بسفينة أهل البيت، واستنهض همته مذكراً إياه بما أفاء الله عليه من الجاه والجلال والعظمة والشوكة، فقال: «والنجاة لغرباء أهل الإسلام في مثل هذه الأيام من لجة بحر الضلالة إنما ترجى من سفينة أهل بيت خير البشر معدن الرسالة عليه وعلى آله من الصلوات أكملها ومن التسليمات أفضلها، قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، فِي قَوْمِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ»⁽¹⁾، فينبغي صرف الهمة العالية في تحصيل هذه السعادة العظمى، وقد تيسر لكم بعناية الله ﷻ الجاه والجلال والعظمة والشوكة كلها، فإن انضمت هذه العلاوة إلى هذه المذكرات مع وجود الشرف الذاتي فقد أحرزتم قصب السبق في ميدان السعادة على جميع الأقران، وهذا الفقير متوجه نحوكم بإرادة إظهار أمثال هذه الكلمات في تأييد الشريعة الحقة وترويجها...»⁽²⁾.

نتائج الرسائل التي بعث بها الإمام السرهندي إلى أمراء الدولة في تغيير اتجاه الدولة المغولية إلى تطبيق تعاليم الإسلام من جديد:

أولاً: وقوف الأمراء بجانب الرجل القادر على الإصلاح:

كان لتلك الرسائل التي بعث بها الإمام السرهندي إلى رجال الدولة، والتي كان يحرضهم فيها على نصر الإسلام وحماية الدين، وتوجيه السلطان إلى احترام شعائر الإسلام وتنفيذ الشريعة الإسلامية، وإصلاح الأوضاع الفاسدة، الرسائل التي تبرق وترعد حماساً وحمية، وتتدفق قوة وغيرة، وتكاد تسيل رقة

(1) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير 45/3، ح رقم 2637.

(2) المكتوبات، المكتوب رقم 51، المجموعة الأولى، ص 93، 94.

وعذوبة، لم تذهب هذه الجهود عن طريق الرسائل سدى في تكميل خطته، وأداء دوره، وقد لعب من وُجِعت إليهم هذه الرسائل دورهم، لا سيّما الأمير السيد فريد الذي قام بمهمة موفقة أساسية في تغيير تيار الدولة، وتحويل اتجاهها إلى الإسلام من جديد⁽¹⁾.

وقد كانت أول تلك المحاولات وقوف هذا الأمير بجانب السلطان سليم «جهانكير» ومساعدته في تولية السلطنة في بلاد الهند، وذلك بعد ما عقد عدة اجتماعات هامة مع الأمراء المسلمين من أهل السنة والجماعة، وكلهم أيده في اقتراحه اسم الأمير «سليم» كسلطان المستقبل للهند، فدخل به القلعة من أحد أبوابها، والذي كان في حراسة فرقة تابعة له، واستولى على العرش وأجلس الأمير «سليم» عليه ونودي به سلطاناً على البلاد، ولما رأى الأمراء الآخرون الذين كانوا يؤيدون «خسرو» أن آمالهم قد خيبت واعتلى «سليم» عرش السلطنة جاءوه تائبين، فعفا عنهم السلطان الجديد وقربهم وأحسن إليهم، وعفا عن الأمير «خسرو» أيضاً، واعترف «جلال الدين أكبر» أيضاً بابنه «سليم» قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ومنح ابنه الذي خلفه سيفه الخاص وعمامته⁽²⁾.

ثانياً: إصلاحات السلطان جهانكير:

كان السلطان جهانكير في أول جلوسه على العرش يجهل مكانة الإمام السرهندي ومنزلته في العلم والربانية؛ لأنه لم يكن من العلماء والمشايخ الذين يترددون إلى البلاط، ويختلفون إليه⁽³⁾، ولكن إذا أراد الله تعالى شيئاً كان، وربما يأتي الخير من عبادة الشر، والبلاط الملكي في هذه الأثناء امتلأ بالذين زينوا للسلطان أن يطلب الإمام ويمتحنه، وحضر الشيخ فعلاً، وكان من العادات المتبعة أن كل من يدخل على السلطان يسجد له تحية، فامتنع الشيخ وحياء بتحية الإسلام،

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 323/3.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص129.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 324/3.

فثار ثائر السلطان وسجنه في معتقل كواليار، ولبث في السجن بضع سنين، يشتغل بالعبادة ويدعو المسجونين إلى الإسلام، فأسلم على يديه مئات من المسجونين، ثم ظهرت للسلطان براءة الشيخ؛ فأطلقه ودعاه وأكرم مثواه⁽¹⁾، فاشتراط الإمام لحضوره عدة شروط:

- 1- إلغاء سجدة التحية.
- 2- بناء المساجد المنهدمة كلها على حساب الدولة.
- 3- إلغاء منع ذبح البقر.
- 4- إحياء نظام القضاء الإسلامي.
- 5- إحياء نظام الفيتا والاحتساب.
- 6- إعادة فرض الجزية على غير المسلمين.
- 7- القضاء على البدع.
- 8- تنفيذ الأحكام الشرعية.
- 9- إطلاق سراح جميع المعتقلين.

فقبل السلطان جميع هذه الشروط ووعد بتنفيذ كل ما طالب به الإمام، وبعد أن أطلق عنه السراح مكث الإمام المجدد مع السلطان مدة تتأهز أربع سنوات، يجالسه ويناقش معه في شؤون الدين وأحكام الشريعة، فبذلك حصل له الفرصة أن يعلم السلطان المثقف ويرشده إلى الطريق القويم⁽²⁾.

10- ومن إصلاحاته أنه أظهر شعائر الإسلام في أماكن الكفر التي كان يحارب فيها الله ورسوله، وهذه الحادثة التي سجلها السلطان «جهانكير» نفسه قال عنها: «خرجنا يوم 24 من شهر «دي»⁽³⁾ المذكور للتفرج والنزهة في قلعة

(1) ينظر: الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها: أبو الحسن الندوي ص16.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص131، 132.

(3) الموافق غرة ربيع الأول سنة 1031هـ.

«كانكره»، فأمرنا أن يرافقنا القاضي ومير عدل وغيرهما من العلماء؛ ليظهروا في هذه القلعة شعائر الدين الإسلامي، وأحكام الشريعة المحمدية، على سبيل الإيجاز، ووصلنا بعد سير فرسخ واحد إلى ذروة القلعة، فأمرتُ - بتوفيق الله تعالى - بالأذان، فأذن، ثم أَلقيتُ خطبة، وأمرتُ بذبح البقرة - ولم يتفق ذلك قط منذ بناء هذه القلعة - ثم خررتُ لله ساجدًا على أن وفقتني إلى ما لم يوفق إليه أي سلطان قبل، وأمرتُ ببناء مسجد واسع عال في داخل القلعة»⁽¹⁾.

يتضح من هذا مدى التحول الكبير في اتجاه الدولة من إظهار لشعائر الإسلام، وترك ما كان معهودًا في العهد السابق من تعظيم للبقرة وعدم ذبحها تقليدًا للهنداكة في عدم ذبحهم إياها، كما يتضح مدى احترام وتقدير السلطان للإمام السرهندي، حيث أُلح عليه في الحضور معه في هذه المناسبة العظيمة.

عهد السلطان شاهجهان والتحول الكبير نحو تطبيق شعائر الإسلام:

توفي السلطان جهانكير سنة 1037هـ - 1628م، وخلفه ابنه الصالح المتدين، وتلقب بلقب شهاب الدين محمد شاهجهان، واستقبل المسلمون عامة ورجال الحركة المجددية خاصة اعتلاءه على العرش بكل سرور وحفاوة؛ لأنه كان من مؤيدي الحركة المجددية الكبار ومن محبي الإمام المجدد، وكان رجالًا صالحًا متدينًا يأتمر بأوامر الشريعة وينتهي من نواهيها⁽²⁾.

يقول الإمام عبد الحي بن فخر الدين الحسني في ترجمته: «افتتح أمره بالعدل والسخاء، ورفع سجدة التحية التي اخترعها جده أكبر شاه، وأزال المظالم من البلاد وعمرها، وأحمد الفتنة والبدعة، وأسس المساجد والمشاهد، وكان كثير

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/325، 326، نقلًا عن:

توزك جهانكيري ص34.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص133.

الإحسان إلى السادة والعلماء، قصده الناس من جميع البلدان فغمرهم بإحسانه، وكان عصره أحسن الأعصر وزمانه أنضر الأزمنة»⁽¹⁾.

السلطان أورنگ زيب من غرس الإمام السرهندي:

وخلف شاه جهان السلطان أورنگ زيب عالم كير، وهو ممن عني أولاد المجدد بتربيته وثقافته، فنشأ متعبداً متبعاً للشرعية فقيهاً في الدين غيوراً عليه، حريصاً على تطبيق أحكامه وإصلاح المجتمع الفاسد وتقويم الحكومة الزائفة، وكان الشيخ محمد معصوم ابن الشيخ أحمد السرهندي وخليفته مهتماً بتربيته ومستقبه، يخاطبه في رسائله «بناصر الدين ومعدل الشريعة»، وقد طلب منه الأمير الشاب أن يرسل له من يربيه التربية الروحية، فأرسل إليه ابنه الشيخ سيف الدين السرهندي، فلقنه الذكر على طريق السادة النقشبندية، وداوم عليه الأمير حتى ظهرت فيه آثار الذكر، وبشر به الشيخ سيف الدين والده الشيخ محمد معصوم⁽²⁾، وقد بعث إليه برسالة بين فيها ما وصل إليه السلطان من مقامات روحية عالية فقال: «إن إخلاص السلطان الحامي لذار الإسلام لسيدي الشيخ من طراز آخر، وقد مرَّ بمقام ذكر اللطائف الستة، وسلطان الأذكار، إلى مقام ذكر النفي والإثبات، وهو يقول: إنه لا تُدغغه الوسوس - بإطلاق - وإذا طرأت وسوسة من الوسوس، لا يكون لها إقرار، فهو في مأمن من خطرهما، ويقول: إنه كان - قبل ذلك - يقلق ويضطرب لزحمة الوسوس والخطرات، ويشكر هذه النعمة، وأثنى الشيخ محمد معصوم على الله سبحانه وتعالى وحمده كثيراً في تلك الرسالة التي بعث بها ردّاً على رسالة الشيخ سيف الدين، وشكر الله عز وجل أن وهب السلطان هذه المقامات الروحية العالية»⁽³⁾.

(1) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 536/5.

(2) ينظر: الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها: أبو الحسن الندوي ص 19، 20.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/331، نقلاً عن: رسائل

الشيخ محمد معصوم، الرسالة رقم 220.

وهكذا استطاع الإمام السرهندي وأبناؤه من بعده بقوة إرادتهم وصدق عزمهم، وإيمانهم القوي على إنهاض الإسلام من كبوته في هذه الديار⁽¹⁾.

* * *

(1) ينظر: الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها: أبو الحسن الندوي ص21.

المبحث الثالث

حملة الإمام السرهندي على الاتجاهات المخالفة السائدة في عصره

شاعت في عصر الإمام السرهندي اتجاهات وأفكار مخالفة متعددة نتيجة اعتبارات كثيرة تمثلت فيما يلي:

1- علماء السوء.

2- أصحاب البدع.

3- أهل الأهواء.

فكانت له مواقف جريئة في مقاومة أصحاب هذه الأفكار والاتجاهات، وبيانها كالاتي:

أولاً: حملته على علماء السوء:

العلماء هم مشاغل الأمة المضيئة، وهم ورثة الأنبياء، وإذا ضل العلماء أضلوا، وضل بسببهم كثير من الخلق، وكم من عالم ساق الأمة إلى فلاحها، بثباته على الحق، ودفاعه عنه، بل والتضحية بكل غال في سبيله وهم كثر على مدار تاريخ هذه الأمة، وكذلك كم من عالم حاول سوق الأمة إلى حلقها باتباع الهوى، فهلك بسببه كثير من الناس.

وهكذا كان الحال في بداية القرن الحادي عشر الهجري في الهند، حيث السلطان «أكبر» وارث الدولة التيمورية، الأمي الذي لا يعرف قراءة ولا كتابة، وكانت عنده رغبة جامحة في البحث والدراسة؛ فجمع حوله عددًا كبيرًا من العلماء، والتف حوله علماء الدنيا بطبيعة الحال، وكان مولعًا بمطارحة العلماء ومناظرتهم، وطمع علماء السوء في رفد الملك وصلاته وتنافسوا في إرضائه وسروره، كل يريد أن يستأثر به الملك ويحله في نفسه المحل الأرفع ويطلق يديه في المملكة والأموال، ولم يكن عندهم شيء يثبتون به براعتهم وتفوقهم إلا هذا العلم الذي يحملونه والدين الذي يدينون به؛ فأجروا خيلهم في هذا الرهان

ووضعوا علمهم في الميدان، وتناقروا كالديكة، هذا يغزل وذلك ينقض، وهذا يثبت وذلك يرد، والسلطان يستمع وينصت إلى مناظراتهم الدينية ومباحثهم العلمية وهو أُمي لا يستطيع أن يحكم ويستقل بفكرته؛ فنشأت عنده الشكوك وترعزت العقيدة، واضطرب في الحقائق الدينية اضطراباً عظيماً، وأصبح يشك في الحقائق الدينية، ثم رأى من أخلاق هؤلاء العلماء، وحجهم للجاه، ونهامتهم للمال، وتحاسدهم، وتباغضهم، ما أساء ظنه بالعلماء أولاً، وبهذا الدين الذي يمثلونه ثانياً⁽¹⁾.

كان هذا هو حال علماء السوء في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وكان الإمام السرهندي يعرف أن السبب الرئيسي للمشاكل التي واجهها - والتي تواجهها البلاد في ذلك الوقت - يرجع إلى فتنة علماء السوء الذين كان همهم الأول جمع الأموال والتهافت على حطام الدنيا؛ والتقرب إلى الملوك والأمراء وأصحاب الحكم والنفوذ في الدولة واسترضائهم بكل وسيلة؛ فكانوا يسعون دائماً في تحقيق هدفهم في كل صغيرة وكبيرة، ولم يكونوا يترددون في جعل الحلال حراماً والحرام حلالاً؛ إرضاءً للسلطين، وجعل المنكر معروفاً والمعروف منكراً؛ تحقيقاً لأهوائهم، فكان من اللازم أن يقوم بجهد علمي وكفاح عملي ضدهم⁽²⁾.

وقد قام الإمام السرهندي في دفع اعتداء علماء السوء على الدين بثلاث

طرق:

الأول: أنه كشف عن عوراتهم وانتقد أعمالهم انتقاداً مرّاً، وأظهر للملأ ضررهم على الدين بكتمانهم الحق واستبدالهم الحياة الدنيا بالآخرة، واشترائهم بآيات الله ثمناً قليلاً⁽³⁾، فمنها على سبيل المثال لا الحصر، الرسالة التي بعث لها

(1) ينظر: الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها: أبو الحسن الندوي ص 8، 9.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 154.

(3) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص 106.

إلى «السيد فريد» أوضح له فيها أن علماء الدنيا صحتهم سم قاتل وفسادهم فساد متعدد، يقول رَحِمَهُ اللهُ في رسالته: «... فإن علماء الدنيا الذين همتهم التهافت على متاع الدنيا وجمع حطامها، صحتهم سم قاتل وفسادهم فساد متعدد.

وعندما أمر السلطان بتعيين لجنة فتوى تحتوي على أربعة علماء، وتكون مهمة هذه اللجنة أن تتقدم إلى السلطان وأعضاء الحكومة بتوصياتها واقتراحاتها عن الإجراءات الإسلامية والمشاريع الإصلاحية التي ينبغي للإمبراطور أن يجريها في الدولة؛ فطلب السلطان إلى الشيخ "قريد مرتضى خان" أبرز مريدي الإمام المجدد أن يقترح أسماء أربعة علماء لهذا الغرض؛ فكتب الشيخ فريد إلى الإمام المجدد ليستشيريه في هذا الأمر ويطلب تعليماته وإرشاده في هذا الصدد، فأجابته الإمام أن يختار أربعة من العلماء الأفاضل.

ويلاحظ في اختيارهم شرطين:

- 1- أن يكون العلماء متدينين مخلصين لا يميلون إلى المال والجاه، ويهدفون إلى تنفيذ الشريعة الغراء وإحياء الدين الحنيف.
- 2- ولو اختير لهذا الغرض عالم واحد لكان أحسن⁽¹⁾، وها هي نص رسالة الإمام، يقول رحمه الله: «ثبتكم الله سبحانه على جادة آبائكم الكرام، قد سمعت أن سلطان الإسلام والمسلمين، أمر جنابكم من حسن نشأته الإسلامية التي أودعت في جبلته أن تنتخب أربعة أنفار من العلماء المتدينين؛ ليلازموه ويبينوا له المسائل الشرعية، حتى لا يقع أمر على خلاف الشريعة، وماذا يكون للمسلمين أحسن بشارة من ذلك؟ وأي شيء يكون لأهل المأتم أشد تسلية مما هناك؟ ولكن الفقير حيث كنت متوجهاً نحو

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص166.

جانبكم العالي بواسطة هذا الغرض، كما أظهرت ذلك مكرراً، لا أسامح نفسي ولا أرخص لها في السكوت والقعود عن الكتابة في هذا الباب بالضرورة، فالمرجو مسامحتكم إياي؛ فإن صاحب الغرض مجنون، والمعروض الآن هو أن العلماء المخلصين أقل من القليل، وهم الذين جاوزوا حب الجاه والرياسة، وخلفوه وراءهم، وليس لهم مقصد ومطلب سوى ترويج الشريعة وتأييد الملة، فإنه إذا كان فيهم حب الجاه يأخذ كل واحد منهم طرفاً، مما يلايم مرامه، ويتمسك به ويظهر من ذلك الطرف أفضليته ويورد الاختلافات ويوقع الخلافات من البين، ويجعل ذلك وسيلة لقرب السلطان؛ فيكون معهم الدين أبتى وأقطع، واختلافات العلماء هي التي ألقت العالم إلى البلاء في القرن السابق؛ فإذا كان هذا الداء مستمراً وتلك الصحبة دائمة، من أين يرجى ترويج الشريعة؟ وكيف يكون المجال لتأييد الملة؛ بل يكون باعثاً على التخريب، والعياذ بالله سبحانه من ذلك، ومن فتنة العلماء السوء؛ فإن انتخبتم لهذا الغرض عالماً واحداً فهو أفضل وأحسن فإن تيسر ذلك من علماء الآخرة فنعمت السعادة، فإن صحبته كبريت أحمر؛ فإن لم يتيسر فاخترأوا أفضل هذا الجنس بعد التأمل الصحيح، ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولا أدري ماذا أكتب؟ فكما أن نجاة الخلائق مربوطة بوجود العلماء، كذلك خسران العالم أيضاً منوط بهم، وأفضل العلماء أفضل العالم، وشرهم شر الخلائق، قد نيّطت الهداية والضلالة بهم، رأى واحداً من الأعزة إبليس اللعين قاعداً على الفراغ على خلاف عادته، فسأله عن سر ذلك يعني متعجباً، فقال اللعين: إن علماء هذا الوقت قد كفوني مؤنتي وتكفلوا بالإغواء والإضلال، والغرض إقدامكم على هذا الأمر وشروعكم فيه بعد رعاية الفكر الصحيح والتأمل الصادق، فإن الأمر إذا خرج من اليد لا يقبل العلاج، وإنني وإن كنت مستحيباً من إظهار

أمثال هذه الكلمات لأرباب الفطنة الصحيحة، ولكن لما علمت أن هذا الأمر وسيلة للسعادة العظمى كنت باعثاً على التصديق»⁽¹⁾.

وقد تناول الإمام المجدد الموضوع نفسه في رسالة بعث بها إلى «صدر جهان» أوضح له فيها أن علماء السوء سبب كل فساد ظهر في القرن السابق، وأنهم لصوص الدين، يقول رحمه الله: «.. وقد سمعنا أن سلطان الإسلام من حسن استعداده الإسلامي، طالب للعلماء وراغب فيهم، الحمد لله على ذلك، ومن المعلوم أن كل فساد ظهر في القرن السابق كان ذلك من شأمة علماء السوء؛ فينبغي رعاية التتبع التام في هذا الباب، وانتخاب العلماء المخلصين؛ فإن علماء السوء لصوص الدين، مطلبهم الجاه والرياسة والمنزلة عند الخلق، والعياذ بالله سبحانه من فتنهم، نعم إن أفضلهم أفضل الخلائق حتى يوزن مدادهم يوم القيامة بدم الشهداء في سبيل الله؛ فيترجح مدادهم، شر الناس شرار العلماء، وخير الناس خيار العلماء»⁽²⁾.

الثاني: «أنه رأى أن علماء السوء، على ما بهم من الجهل والانغماس في الشهوات، قد ادعى نفر منهم الاجتهاد، وحرفوا الكلام عن مواضعه، وتذرعوا بذلك في إنجاح دعوتهم الباطلة، وتحقيق آمالهم المشؤومة في انتكاس راية الإسلام، وخفوق لواء الكفر وعموم الفوضى الدينية والفساد في الأرض».

فاعتزم معالجة هذا الداء العضال، بالدعوة إلى الكتاب العزيز والسنة النبوية، والاعتصام بما جرى عليه الصحابة والتابعون لهم، ومن جاءوا من بعدهم من الأئمة الأربعة والسلف الصالح، ومن ثم تراه في رسائله

(1) المکتوبات، مکتوب رقم: 53، المجموعة الأولى، ص، 96، 97.

(2) المکتوبات، مکتوب رقم 193، المجموعة الأولى، ص 225.

يتكلم في شأن تصحيح العقيدة، ويهيب بالناس إلى الأخذ بما كان عليه السلف الصالحون والأئمة المجتهدون، ويدعوهم دائماً إلى الاستمسك بما استمسك به جمهور العلماء⁽¹⁾.

الثالث: «أنه قد أدرك ببصيرته وثقوب ذهنه أن كل ما يأتي به علماء السوء من المنكرات وقبائح الأعمال، إنما أتوا به مستظلين بظل البدعة الحسنة⁽²⁾، حتى اتخذوها جنة من كل ما يقترفون من المحدثات والكبائر.. فلما تيقن من ذلك أعلن الجهاد على هذا المنكر، وبذل كل ما آتاه الله من تصلب في الفكرة، وحكمة في الدعوة، وبراعة في الحجة، وبلاغة في البيان؛ لدرء هذه الفتنة، والكشف عن عورتها»⁽³⁾.

لهذا أراد المجدد أن يضع حداً لذلك دفعاً لضرر هؤلاء، فأعلن موقفه من البدعة الحسنة بأن ردها مستندلاً بشواهد من أحاديث رسول الله ﷺ، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «قال بعض الناس: إن البدعة على نوعين حسنة وسيئة، فالحسنة هي كل عمل صالح حدث بعد زمن نبينا وزمن خلفائه الراشدين، ولم يكن رافعاً للسنة، والسيئة ما تكون رافعة للسنة، وهذا الفقير لا يشاهد في شيء من البدعة شيئاً من الحسن والنورانية، ولا يحس فيها شيئاً سوى الظلمة والكدورة، ومن رأى اليوم فرضاً طراوة ونضارة في الأمر المبتدع بسبب ضعف البصيرة، ولكن سيعلم غداً بعد حصول الحدة في بصره أن ليس له شيء من نتيجة غير الندامة والخسارة: ووقت الصبح يبدو كالنهار حقيقة من هويته في الظلام

(1) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص106.

(2) البدعة: إدخال شيء في الدين لم يدخله الله ورسوله فيه، ولم يأمروا به، واعتقاد أنه جزء من الدين، يعمل به احتساباً، والتزام آدابه، وشروطه المزعومة، كالتزام الحكم الشرعي. ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 259/3، 260.

(3) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص108، 109.

وأوضح في رسالة أخرى كتبها إلى الشيخ «مير محب الله» بين له فيها معنى النصيحة، وأنه من معانيها الاجتناب عن البدعة غير المرضية، وأن البدعة ترى مثل فلق الصبح؛ لأنه لا نور فيها ولا ضياء؛ لأنها في الحقيقة إما رافعة للسنة، أو ساكتة عنها، فلا خير فيها ولا حسن فيها.

يقول في رسالته: «... النصيحة هي الدين، ومتابعة سيد المرسلين وإتيان السنة السنية، والاجتناب عن البدعة الغير مرضية، وإن كانت البدعة ترى مثل فلق الصبح، لكنها لا نور لها في الحقيقة ولا ضياء، ولا للعليل منها شفاء، ولا للداء منها دواء، كيف والبدعة إما رافعة للسنة أو ساكتة عنها، والساكتة لا بُد وأن تكون زائدة على السنة، فتكون ناسخة لها في الحقيقة أيضاً؛ لأن الزيادة على النص نسخ له، فالبدعة كيف كانت، تكون رافعة للسنة نقيضة لها فلا خير فيها ولا حسن فيها، ليت شعري من أين حكموا بحسن البدعة المحدث في الدين الكامل والإسلام المرضي بعد إتمام النعمة، أو لم يعلموا أن الإحداث بعد الإكمال والإتمام وحصول الرضا بمعزل عن الحسن؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولو علموا أن الحكم بحسن المحدث في الدين الكامل مستلزم لعدم كماله، ومنبئ عن عدم تمام النعمة لما اجتروا عليه: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِثْ عَلَيْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾⁽¹⁾»⁽²⁾.

ومهما يكن من أمر فإن البدعة الحسنة للعلماء فيها موقفان:

الأول : هو القبول بها.

والثاني : وهو ردها، والشيخ السرهندي ضمن هذا الفريق من العلماء للأسباب التي بينها.

ثانياً : حملته على مروجي فكرة وحدة الأديان :

تجاوزت الثقافة والحضارة الإسلامية جميع الثقافات والحضارات التي اعترضت طريقها أو استحوذت عليها، وكذا الحال في الهند، فإن الأمم الكبيرة الفاتحة التي

(1) سورة البقرة من الآية 286.

(2) المكتوبات، مكتوب رقم: 19، المجموعة الثانية، ص 48.

زحفت إلى الهند لم تلبث بعد استقرارها في الهند أن استسلمت أمام تأثير الهندوكية ونفوذها، فكان هذا الصراع التاريخي الطويل بين هاتين الحضارتين من طبيعة الحال، وشهد التاريخ الإسلامي الطويل أزمت حضارية أو ثقافية أو فكرية أو سياسية متعددة، ظهرت من جراء هذا الصراع العنيف بين هاتين الثقافتين والحضارتين...، فجاء الهجوم الهندوكي في هذه المرة في صورة بسيطة المظهر هائلة المحتوى خطيرة النتيجة، وكان هذا الهجوم الجديد عبارة عن نحلة جديدة ادعت الجمع بين مزايا الإسلام والهندوكية بخاصة، والأديان الأخرى بعامة، والتخلي عن نقائصها كلها، وسماها منتحلوها باسم الدين الإلهي⁽¹⁾.

وتولى كبر هذا الأمر السلطان المغولي «جلال الدين محمد الأكبر» (ت 1014هـ/1605م)⁽²⁾، وعلى الرغم من محاولته هدم الإسلام لحساب الهندوسية، إلا أن المقاومة اشتدت ضد دين «أكبر» الإلهي، وبقي المسلمون في الهند متمسكين بدينهم، وبقي الإسلام قويًا في الهند، وانتهت عقيدته بموته. وقد بدا جهد الإمام السرهندي في مواجهة هذه البدعة من خلال رسائله التي حث فيها على اتباع شريعة الإسلام، وأنها جامعة الشرائع السماوية السابقة، وأن النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم هي جامع النبوات السابقة.

فيقول رَحْمَةُ اللَّهِ: «وقد تقرر أن محمدًا رسول الله ﷺ جامع لجميع الكمالات الأسماوية والصفاتية، ومظهر جميع الأنبياء على سبيل الاعتدال، والكتاب الذي أنزل إليه خلاصة جميع الكتب السماوية المنزلة على سائر الأنبياء، وأيضًا أن الشريعة التي أعطيها زبدة الشرائع المتقدمة والأعمال بمقتضى هذه الشريعة الحقة منتخبة من أعمال الشرائع، بل من أعمال الملائكة أيضًا، فإن بعض الملائكة مأمورون بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالقيام، وكذلك الأمم السابقة كان بعضهم مأمورين بصلاة الصبح، وبعضهم بصلاة أخرى، وورد الأمر في هذه

(1) سيق الكلام عن هذا الموضوع في الباب الأول من الرسالة.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 57، 58.

الشريعة بإتيان الأعمال المنتخبة من خلاصة أعمال الأمم السابقة، والملائكة المقربين وزبدها، فالتصديق بهذه الشريعة تصديق بجميع الشرائع والعمل بمقتضاها عمل بمقتضى تلك الشرائع، فلا جرم يكون مصدقو هذه الشريعة خير الأمم، وكذلك تكذيب هذه الشريعة تكذيب لجميع الشرائع، وترك العمل بموجبها ترك العمل بموجب سائر الشرائع، وكذلك إنكار نبينا ﷺ إنكار لجميع الكمالات الأسماوية والصفاتية، وتصديقه تصديق لجميع ذلك، فلا جرم يكون منكره ﷺ ومكذب شريعته شر الأمم، قال الله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (1). (2).

فأوضح أن الشريعة الإسلامية جاءت جامعة لكل خير كاملة صالحة لكل زمان ومكان، فلا تحتاج لأن تتدمج مع غيرها من الشرائع؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (3). كما أوضح أن التصديق بها تصديق بكل الشرائع، والعمل بمقتضاها عمل بمقتضى تلك الشرائع، وأن مصدقوها خير الأمم، وأن منكر نبوة النبي ﷺ ومكذب شريعته هو شر الأمم.

ثالثاً: حملته على الشيعة في عصره:

وجد الفكر الشيعي طريقه إلى الهند مع عودة «همايون» إلى ملكه - كما سبق ذكره -، وكانت إيران هي الملجأ الذي وجد به الأمان، وساعدته إيران ليسترد عرشه، وكان في الجيش الذي ساعده عدد كبير من القادة والجنود الشيعيين، وقد دخل هؤلاء الهند واستقر بها عدد كبير منهم؛ وكان لـ«همايون» مستشار إيراني شيعي اسمه «بيرم خان» وكان شديد التشيع وشديد التأثير في توجيه «همايون» (4).

(1) سورة التوبة من الآية 97.

(2) المكتوبات، المکتوب رقم 79، المجموعة الأولى، ص 129.

(3) سورة المائدة من الآية 3.

(4) لا توجد وثيقة صحيحة تثبت اعتناق همايون للتشيع، ولكن لا يستبعد بعد إقامته في إيران، وضيافة شاه إيران له بسخاء وأريحية، وإكرام وفادته، وإيواء هذا الغريب، =

وعلى هذا فأكثر ما نراه الآن من الأفكار الشيعية بالهند إنما هو وليد هذه الظروف. وامتداداً لذلك - أيضاً - كان لرجال البلاط الشيعيين تأثير على ولي العهد «جلال الدين أكبر»، وقد عيّن «همايون» «بيرم خان» الشيعي مستشاراً لابنه «أكبر» عندما عينه أبوه حاكماً على «البنجاب»، وكان لا يزال حدثاً في الثانية عشرة من العمر، فغرس «بيرم خان» في نفس ولي العهد الذي أصبح امبراطوراً بعد ذلك بعام واحد، كل ما فيه من مبادئ شيعية كانت شديدة الأثر على تفكير «أكبر» وعلاقته بالإسلام⁽¹⁾.

واستمر هذا الوضع كذلك في عهد جهانكير، وقد حلت في عصره العادات والتقاليد الشيعية محل العادات الهندوكية التي كانت منتشرة في عهد أبيه «أكبر»⁽²⁾. وفي هذه الأجواء حاول الإمام السرهندي محاربة الشيعة، فسلك ثلاث طرق:

الطريق الأول: كان يشترك في المناظرات الشفهية التي تعقد بين علماء الشيعة والسنة، وكان يستخدم الأدلة القطعية من النقل والعقل.

الطريق الثاني: تأليف كتابه الشهير «رد روافض» وهو ضد الشيعة الاثنى عشرية في الهند، مما جعلهم يكيدون له في بلاط الملك «جهانكير» حتى تمكنوا من زجّه في السجن.

الطريق الثالث: كتابة الرسائل والمكتوبات إلى أتباعه في أرجاء الهند⁽³⁾.

= والمساعدة العسكرية السخية، وما أنتج كل ذلك من عواطف تقدير وشكر أن يكون قلبه قد مال إلى المذهب الإمامي، الذي لم يكن مذهب سلفه التيموريين، وكانوا متمسكين بالعقيدة السنية والمذهب الحنفي، وكان بعضهم له ارتباط وثيق بالمشايخ النقشبندية، فما كان لأفراد أسرته ورجال بلاطه، أن يقبلوه، أو يفسحوا له صدورهم.

ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 51/3.

(1) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: د/أحمد شلبي 297/8، 298.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 139.

(3) ينظر: فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة ص 641، رسالة دكتوراة: إعداد/ محمد كبير أحمد شودري (عقيدة).

رابعاً : حملته لتصحيح العقيدة والأفكار الغربية على الإسلام :

لقد كان معين الإسلام الصافي في الهند - التي لم يزل أساس الإسلام فيها ضعيفاً؛ لأسباب وعوامل تاريخية مختلفة، وكانت موطن شعوب مشركة وديانات وثنية - تتسرب إليه المخلفات والرواسب من الديانات السائدة، وكان يخشى أن يغيب هذا الينبوع في الظلمات المترامية؛ ولذلك لما بدأ الإمام السرهندي رحلته التجديدية، كانت أول خطوة خطاها على طريق الأنبياء، وعلى نفس المنهج الذي سار عليه الرسل، هي الخطوة نحو إصلاح العقائد، وتصحيح الاتجاه⁽¹⁾.

ففي رسالة له بعث بها إلى «السيد فريد» يحثه فيها على تصحيح العقائد على وفق آراء أهل السنة والجماعة، يقول فيها: «اعلم أن أول الضروريات الواجبة على أرباب التكليف تصحيح العقائد على وفق علماء أهل السنة والجماعة - شكر الله تعالى سعيهم -؛ فإن النجاة الأخروية مربوطة باتباع آراء هؤلاء الأكابر، وهم وأتباعهم الفرقة الناجية، فإنهم على طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والمعتبر من العلوم المستفادة من الكتاب والسنة هو ما أخذه واستنبطه منهما هؤلاء الأكابر، فإن كل مبتدع وضال يأخذ عقيدته الفاسدة من الكتاب والسنة بزعمه الفاسد، فلا يكون كل معنى مفهوم من معاني الكتاب والسنة معتبراً...»⁽²⁾.

وحمل هذا المعنى أيضاً في رسالة بعث بها إلى «الحكيم عبد الوهاب» حثه فيها على تصحيح العقائد على مقتضى الكتاب والسنة، ثم العلم بالأحكام الشرعية، ثم العمل بها، ثم طريق التزكية والتصفية، يقول في رسالته: «إن ما هو اللازم لنا ولكم تصحيح العقائد على مقتضى الكتاب والسنة على نهج، أخذها علماء أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة بعدما فهموها كما ينبغي، فإن فهمنا وفهمكم ساقط عن حيز الاعتبار إذا لم يوافق فهم هؤلاء الكبار، ألا ترى أن كل مبتدع وضال يدعي أخذ أحكامه الباطلة من الكتاب والسنة وفهمها منهما، والحال أنه لا يغني من الحق

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 254/3.

(2) المكتوبات: مكتوب رقم 193، المجموعة الأولى، ص223.

شيئاً، ثم علم الأحكام الشرعية ثانياً من الحلال والحرام والفرض والواجب، ثم العمل ثالثاً بمقتضى هذا العلم، ثم السلوك رابعاً طريق التصفية والتزكية الذي خص بالصوفية الكرام قدس الله أسرارهم، فما لم تصح العقائد لا ينفع العلم بالأحكام الشرعية، وما لم يتحقق كلا هذين لا يجدي العمل شيئاً، وما لم تحصل الثلاثة كلها فحصول التصفية والتزكية محال، وما سوى هذه الأركان الأربعة ومتماتها ومكملاتها كالسنة المكملة للفرض كله من الفضول داخل في دائرة ما لا يعنى، قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، واشتغاله بما يغنيه»⁽¹⁾ «⁽²⁾».

وقد ألف الإمام رسالة سماها «الرسالة التهليلية في تحقيق معاني الكلمة الطيبة» عام 1007هـ أو 1008هـ، ولها خلفية تاريخية مهمة؛ حيث جاءت رداً على ما ورد في الدين الإلهي الذي ابتدعه «أكبر»؛ حيث كان يُكتفى بالجزء الأول من الكلمة الطيبة، ويعبرها بتعبيرات فاسدة ويضيف إليها: «أكبر خليفة الله» مكان «محمد رسول الله»، فجاءت هذه الرسالة رداً، وتحتوي على مباحث تالية:

1- بحث في تقدير خبر لا.

2- سر تحير العقلاء في تحقيق كلمة الله.

3- لطائف عجيبة في كلمة الجلالة.

4- دليل الوجدانية.

5- فضائل الكلمة الطيبة.

6- توحيد العوام.

7- توحيد الخواص.

8- مذهب الفلاسفة.

(1) أخرجه: أحمد في مسنده 259/3، ح رقم 1737.

(2) المكتوبات: مكتوب رقم 157، المجموعة الأولى، ص 189.

9- الجزء الثاني من الكلمة الطيبة.

10- دليل النبوة.

11- أخلاق النبي ﷺ دليلاً على نبوته⁽¹⁾.

ولم يكتف الإمام السرهندي بالدعوة إلى تصحيح العقائد فقط، بل بعث برسائل كثيرة شرح فيها عقائد أهل السنة، من هذه الرسائل، الرسالة التي بعث بها إلى خانجهان، يقول في رسالته: «... اعلم أن الله تعالى موجود بذاته القديمة، وسائر الأشياء صارت موجودة بإيجاده سبحانه، وخرجت من العدم إلى الوجود بتخليقه، وهو تعالى قديم أزلي والأشياء كلها حادثة وموجودة بعد أن لم تكن، وكل ما هو قديم أزلي فهو باق وأبدي، وكل ما هو حادث ومسبوق بالعدم فهو فان ومستهلك، يعني في شرف الزوال، وهو سبحانه واحد لا شريك له، لا في وجوب الوجود، ولا في استحقاق العبادة لا يليق وجوب الوجود لغيره تعالى، ولا يستحق العبادة سواء سبحانه، وله تعالى صفات كاملة، فمنها الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والتكوين، كلها متصفة بالقدم والأزلية وقائمة بحضرة الذات تعالت وتقدست، والتعلقات الحادثة لا تورث خلافاً في قدم الصفات، وحديث المتعلق لا يصير مانعاً لأزليتها، واستدلت الفلاسفة من نقصان عقولهم، والمعتزلة من عمايتهم وغوايتهم، بحديث المتعلق على حديث المتعلق، ونفوا الصفات الكاملة وعلمه تعالى بالجزئيات لاستلزامه التغير الذي هو من أمارات الحديث، ولم يعلموا أن الصفات تكون أزلية، وتكون تعلقاتها بالمتعلقات الحادثة حادثة، ونفائص الصفات مسلوقة عن جناب قدسه تعالى، وهو تعالى منزّه عن صفات الجواهر والأجسام والأعراض ولوازمها لا مجال للزمان والمكان والجهة في حضرته تعالى وهذه كلها مخلوقاته...»⁽²⁾.

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 114.

(2) المكتوبات: مكتوب رقم 67، المجموعة الثانية، ص 159، 160.

ومن الداءات العقدية والفكرية التي أنكرها الشيخ على أصحابها ودحضاها :

1- نهى المسلمين عن تقليد غير المسلمين في العبادات والاعتقادات، ففي رسالة طويلة بعث بها إلى واحدة من النساء الصالحات، أوضح فيها أن الاستعانة بالأصنام والطاغوت في دفع الأمراض هو عين الشرك، وخاصة وقت ظهور مرض الجدري، يقول في رسالته: «... والاستمداد من الأصنام والطاغوت في دفع الأمراض والأسقام، كما هو شائع فيما بين جهلة أهل الإسلام عين الشرك والضلالة، وطلب الحوائج من الأحجار المنحوتة نفس الكفر، وإنكار على واجب الوجود تعالى وتقدس، قال الله تبارك وتعالى شكاية عن حال بعض أهل الضلال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽¹⁾، وأكثر النساء مبتليات بهذا الاستمداد الممنوع عنه بواسطة كمال الجهل فيهن يطلبن دفع البلية من هذه الأسماء الخالية عن المسميات ومفتونات بأداء مراسم الشرك وأهل الشرك، خصوصا وقت عروض مرض الجدري المعروف فيما بين نساء الهنود «بالستيلة»⁽²⁾؛ فإن ذلك الفعل مشهود ومحسوس من خيارهن وشرارهن في ذلك الوقت، بحيث لا تكاد توجد امرأة خالية من دقائق هذا الشرك وتاركة للإقدام عليه، برسم من رسومه إلا من عصمها الله تعالى»⁽³⁾.

(1) سورة النساء من الآية 60.

(2) اسم آلهة من الإلهات المفروضة المتخيلة عند وثني الهند، يعتقدون أنها تسبب الجدري، ولا يرتفع هذا الوباء، ولا يشفي المريض إلا إذا أَرْضِيَتْ هذه الآلهة بالنذور والقرابين.

ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي هامش 56/3.

(3) المكتوبات: مكتوب رقم 41، المجموعة الثالثة، ص 289.

2- كما أوضح أيضاً أن تعظيم ما لم يعظمه الله من التقليد لغير المسلمين منهى عنه، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وتعظيم الأيام المعظمة عند الهنود، وأداء رسوم الأيام المتعارفة عند اليهود مستلزم للشرك ومستوجب للكفر، كما أن جهلة أهل الإسلام خصوصاً طائفة نسائهم يؤدون رسوم أهل الكفر في أيام دوالى الكفار ويجعلونها عيدهم ويرسلون إلى بيوت بناتهم وإخوانهم هدايا كهدايا أهل الشرك، ويطبخون في ذلك الموسم ظروفهم مثل الكفار، ويملأونها بالأرز الأحمر⁽¹⁾، ثم يرسلونها هدايا ويعتنون بهذا الموسم كمال الاعتناء، وكل ذلك شرك وكفر بدين الإسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾، وما يفعلونه من ذبح الحيوانات المنذورة للمشائخ عند قبور المشائخ المنذورة لهم جعله الفقهاء أيضاً في الروايات الفقهية داخلاً في الشرك وبالغوا في هذا الباب، وألحقوه بجنس ذبائح الجن الممنوع عنها شرعاً، والداخل في دائرة الشرك، فينبغي الاجتناب عن هذا العمل أيضاً؛ لكون شائبة الشرك فيه، فإن وجوه النذر غير ذلك كثيرة، فلا شيء يرتكب ذبح الحيوان ويجعل ملحقاً بذبائح الجن وينتسبه به بعبدة الجن»⁽³⁾.

3- كما حذر من نذر الصيام للأولياء والمشايخ، وبين أن هذا الفعل هو شرك لله تعالى في العبادة، يقول رحمه الله: «ومثل ذلك صيام النساء بنية المشايخ وبلا بيان وينحتن أكثر أساميهم من عند أنفسهن ويصمن بنيتهم، ويعين لكل إفطار يوم وضعاً مخصوصاً، ويعين الأيام أيضاً للصيام، ويجعلن مطالبهن ومقاصدهن مربوطة بتلك الصيام، ويطلب حوائجهن منهم بواسطة تلك

(1) طيبخ الأرز واللبن، وهو مثل المهلبية.

(2) سورة يوسف الآية 106.

(3) المكتوبات: مكتوب رقم 41، المجموعة الثالثة، ص 259، 260.

الصيام، ويزعم قضاء حوائجهم منهم، وذلك الفعل إشراك للغير في عبادة الله تعالى وطلب لقضاء الحوائج عن الغير بواسطة العبادة إليه، ينبغي أن يعلم شناعة هذا الفعل، وقد ورد في الحديث القدسي قال الله تعالى: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»⁽¹⁾ يعني أن الصوم مخصوص بي لا شركة للغير لي في الصوم، وإن لم يجز إشراك أحد به تعالى في جميع العبادات، ولكن تخصيص الصوم للاهتمام به والتأكيد في نفي الشركة عنه، وقول بعض النساء وقت إظهار شناعة هذا الفعل نحن نصوم هذا الصيام لله تعالى، وإنما نهدي ثوابها لأرواح المشايخ منهن، فإن كن صادقات في ذلك فلا شيء يحتاج إلى تعيين الأيام للصيام وتخصيص الطعام، وتعيين أوضاع شنيعة مختلفة في الإفطار، وكثيراً ما يرتكبن المحرمات وقت الإفطار، ويفطرن بشيء حرام، ويسألن شيئاً من غير حاجة، ويفطرن به ويزعمن قضاء حوائجهم مخصوصاً بارتكاب هذا المحرم، وهذا عين الضلالة وتسويل الشيطان للعين، والله العاصم»⁽²⁾.

4- كذلك من البلايا التي حاربها الإمام السرهندي، وسجن بسببها نهيه عن «سجدة التحية»، يقول العلامة مسعود الندوي في كتابه «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند» عن هذه البلية: «ومن أكبر المنكرات التي فشلت في عصر هذا الملك - يعني أكبر - المعتوه، وعمت فأضلت كثيراً من الناس، سجدة التحية للملك؛ فكان العلماء والمشايخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم يخرجون للملك سجداً، كلما دخلوا عليه الباب، ومن البلية أن علماء السوء أولئك جعلوا يؤولونها، وأرادوا أن يستتروا وراء كلمات (سجدة التحية)

(1) جزء من حديث، أخرجه البخاري في صحيحه ك التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ 9/143، ح رقم 7492، ومسلم في صحيحه ك الصيام، باب فضل الصيام 2/807، ح رقم 1151.

(2) المكتوبات: مكتوب رقم 41، المجموعة الثالثة، ص 289، 290.

وزمين بوسي (تقبيل الأرض)، وبئس ما فعلوا أن حرفوا الكلم عن مواضعه وسموا هذا الشرك الفطيع سجدة التحية، وتقبيل الأرض أو ما شاءوا وشاءت أهواؤهم»⁽¹⁾.

فقال الإمام السرهندي في رسالة بعث بها إلى المير «محمد نعمان»: «... إن السجدة التي هي عبارة عن وضع الجبين على الأرض متضمنة لنهاية التذلل والانكسار، ومشملة على كمال التواضع والافتقار، ولهذا جعلوا هذا القسم من التواضع مخصوصاً بعبادة واجب الوجوب جل سلطانه، ولم يجزوه لغيره تعالى، «نقل أن رسول الله ﷺ كان يوماً يمشي على طريق، فجاء أعرابي فطلب منه معجزة حتى يؤمن، فقال له ﷺ: قل لهذه الشجرة أن رسول الله يطلبك، فتحركت وانقلعت عن محلها، وجاءت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فلما شاهد الأعرابي هذا الحال أسلم، وقال ائذن لي أسجد لك يا رسول الله، قال: لا تجوز السجدة لغير الله تعالى، لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها»⁽²⁾، وبعض الفقهاء وإن جوزوا سجدة التحية للسلطين، ولكن اللائق بحال السلطين العظام أن يتواضعوا في هذا الأمر لحضرة الحق ﷺ، وأن لا يجوزوا نهاية التذلل والانكسار هذه لغيره تعالى، وقد سخر لهم الله سبحانه العالم وأحوجهم إليهم؛ فينبغي أداء شكر هذه النعمة العظمى، وأن يخصصوا مثل هذا التواضع المبني على كمال العجز والانكسار بجناب قدسه تعالى، وأن لا يجوزوا الشركة معه تعالى في هذا الأمر، وإن جوز جمع هذا المعنى، ولكن ينبغي لحسن تواضعهم أن لا يجزوه، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾.

(1) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص75.

(2) أخرجه: أحمد في مسنده 64/20، ح رقم 12614.

(3) سورة الرحمن الآية 60.

(4) المكتوبات: مكتوب رقم 92، المجموعة الثانية، ص199، 200.

وهكذا حارب الإمام السرهندي كل المظاهر للفكر الإسلامي التي انتشرت في المجتمع الهندي المسلم، وبين صحيح العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة، سداً لباب الفتن.

خامساً: إنكاره على بعض شطحات الصوفية في عصره:

أثار بعض المتصوفة أقوالاً تتعلق بصلة الله تعالى بخلقه، والمعروف بين علماء المسلمين أنها صلة الخالق بال مخلوق، والله واجب الوجود الذي ليس كمثل شيء، والمخلوق ممكن الوجود، عرض له الوجود بعد أن لم يكن، لكن بعض المتصوفة أثاروا أموراً تجعل الصلة ليست كذلك فقط⁽¹⁾، فقد صدرت من لسان بعض المتقدمين منهم، أقوال هي شبه نظرية الاتحاد، وتدل على «وحدة الوجود»⁽²⁾، وقد اشتهر من بين هذه الأقوال قول العارف الشهير الشيخ أبي يزيد البسطامي - الذي هو من كبار المشايخ الذي تنتمي إليهم معظم السلاسل والطرق الصوفية: «سبحاني ما أعظم شأنني»، وقوله: «ليس في جُبتِي إلا الله»، وما اشتهر عن الحسين بن منصور الحلاج من هتافه: «أنا الحق»⁽³⁾.

وقبل الحديث عن رد الإمام السرهندي ورأيه في «وحدة الوجود» لا بُد من

تقرير أمرين:

(1) ينظر: ابن تيمية حياته وعصره، آراؤه وفقهه: الشيخ محمد أبو زهرة ص 266، القاهرة: دار الفكر العربي، 1429هـ/2008م.

(2) وحدة الوجود: أنه ليس ثمة وجود غير وجود واحد فقط هو: وجود الله تعالى، أما ما نشاهده من الموجودات الأخرى، فهو وهم لا حقيقة له فالوجود واحد لا كثرة فيه ولا تعدد، فالله هو الوجود الحق والوجود كله، ولا موجود في الحقيقة سواه، ونحن إن كنا موجودين فإن وجودنا به وليس ثمة فرق بين الحق والخلق إلا بالاعتبار والجهة، فالله تعالى حق في ذاته وخلق من حيث صفاته وصفاته عين ذاته.

ينظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت 1407هـ) ص 318 وما بعدها، ط 1، القاهرة: دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 271/3.

أولهما: أن بلاد الهند لم تنزل حتى بعد الفتوح الإسلامية - باستمرار ومن غير انقطاع - حاملة لواء هذه العقيدة والتمسكة بها، وطبيعة النسل الآري تتجه دائماً إلى حب الإطلاق والتهرب من القيود والتعينات، بعكس الديانات الناشئة في مواطن الشعوب السامية، ومسقط رأس الأنبياء والمرسلين، فكانت سمة هذه البلاد - الخاضعة لتأثير السلالة الآرية حكماً وعقلية وثقافة - التمسك بعقيدة وحدة الوجود، ووحدة الديانات من آلاف السنوات؛ لذلك كله كان لعقيدة وحدة الوجود في الهند من التأثير والقوة والقبول ما لم يكن لها في بلد آخر⁽¹⁾.

ثانيهما: أن الإمام السرهندي كان أجدر من غيره بخوض هذه المعركة⁽²⁾؛ لأنه كان من رجال الطريقة المعدودين، وكان في بدء عهده قد مارس فنون الرياضة والأشغال الشاقة التي يمارسها الصوفية؛ للتركية بزعمهم، فما كان ليخفي عليه شيء من أمورهم، ومن ثم ترى أنه لما أعلن في رسائله أن ابن عربي الحاتمي الأندلسي (ت 638هـ) - وهو رأس من قال بوحدة الوجود - قد زلقت رجله في أثناء الطريق، وانخدع بما يعتري السالك من الأحوال في (سفره)، ويتراءى له من وحدة هذا الوجود، ولو تقدم خطوة أخرى لشاهد أن لا وحدة بين وجودي العبد والمعبود وأن الله هو الوراء، ثم وراء الوراء ثم وراء الوراء، لما أعلن ذلك لم ينكر عليه أحد، وأنى لهم التجاسر على ذلك، وهم يعلمون أن السيد المجدد من كبار رجال الطريقة، المطلعين على أسرارها ودقائقها، وإنما يفارقهم في أنه مستمسك بعروة التوحيد التنزيهي - حسب تعبيره - ومتشبث بأذيال السنة النبوية الطاهرة⁽³⁾.

(1) المرجع السابق 280/3.

(2) أعني هنا: الرد على المتصوفة الذين قالوا بوحدة الوجود.

(3) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص 112، 113.

ويمكن تلخيص انتقاداته على الصوفية في عصره في النقاط التالية:

أ- إنكاره على بعض الصوفية في عصره الذين تمسكوا بذيل التوحيد الوجودي وأرادوا بذلك الخروج من ربقة الإسلام وتكاليف الشريعة، والتفريق بين الطريقة والشريعة، فرد عليهم: «... إن سبب تحرير هذه العلوم الغامضة هو أن أكثر أبناء هذا الزمان قد تمسك بذيل التوحيد الوجودي بعضهم بالتقليد، وبعضهم بمجرد العلم، وبعضهم بالعلم الممزوج بالذوق، ولو في الجملة، وبعضهم بالإلحاد والزندقة، وصاروا يرون الكل من الحق، بل يرون الكل حقاً، وطفقوا يخرجون رقابهم بهذه الحيلة من ربقة الإسلام وتكاليف الشريعة، ويخترعون أنواع المداهنات في الأحكام الشرعية، ويفرحون بهذه المعاملات الغير المرعية، ولئن اعترفوا بإتيان الأوامر الشرعية، إنما يعترفون به بالتبعية، ويتخللون المقصود الأصلي وراء الشريعة العلية، حاشا وكلا، ثم حاشا وكلا، نعوذ بالله سبحانه من هذا الاعتقاد السوء، فإن الطريقة والشريعة كل منهما عين الآخر، لا مخالفة بينهما بمقدار شعرة، وإنما الفرق بينهما بالإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف، وكل ما هو مخالف للشريعة فهو مردود، وكل حقيقة ردت الشريعة فهو زندقة، وطلب الحقيقة مع الاستقامة في الشريعة حال أهل الكمال من الرجال، رزقنا الله وإياكم الاستقامة والثبات على متابعة سيد البشر (عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات والتحيات)»⁽¹⁾.

ب- كما أنكر على بعض الصوفية في عصره قولهم: إن الله ليس بعلام الغيوب، فقال في رسالة بعث بها إلى الملا حسن الكشميري بخصوص ذلك الأمر: «... لا طاقة للفقير باستماع أمثال هذه الكلمات أصلاً، ويتحرك عرقي الفاروقي من استماعها بلا اختيار، بحيث لا يبقى مجال التأمل وفرصة

(1) المكتوبات: مکتوب رقم 43، المجموعة الأولى، ص 83.

التأويل والتوجيه، سواء كان قائلها الشيخ «عبد الكريم اليميني» أو «الشيخ الأكبر الشامي»، وإنما اللازم لنا اتباع كلام محمد العربي (عليه الصلاة والسلام)، دون كلام «محيي الدين بن العربي»، و«صدر الدين القنوي»، و«عبد الرازق الكاشي»، نحن نتمسك بالنصوص لا بالفصوص⁽¹⁾ وقد أغنانا الفتوحات المدنية⁽²⁾ عن الفتوحات المكية⁽³⁾، وقد وصف الله سبحانه نفسه في كلامه المجيد بعالم الغيب، وأطلقه على نفسه، فنفي علم الغيب عنه تعالى مستقبح ومستكره جداً، بل هو تكذيب للحق سبحانه في الحقيقة، وإرادة معنى آخر من الغيب لا يخرج هذا الكلام من الشناعة، كبرت كلمة تخرج من أفواههم⁽⁴⁾.

ج- وفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود: فيقول رَحْمَةُ اللَّهِ: «واعلم أن التوحيد الذي يظهر في أثناء طريق هذه الطائفة العلية على قسمين: توحيد شهودي، وتوحيد وجودي؛ فالتوحيد الشهودي: هو مشاهدة الواحد، يعني لا يكون مشهود السالك غير واحد، والتوحيد الوجودي: هو أن يعلم السالك، ويعتقد الموجود واحداً، وأن يعتقد أو يظن غيره معدوماً... مثلاً: إذا حصل لشخص يقين بوجود الشمس، فاستيلاء هذا اليقين غير مستلزم للعلم بأن النجوم منتفية ومعدومة في ذلك الوقت، ولكن حين رؤيته الشمس لا يرى النجوم البتة، ولا يكون مشهوده غير الشمس، وفي هذا الوقت الذي لا يرى فيه النجوم يعلم أن النجوم ليست بمعدومة، بل يعلم أنها موجودة ولكنها

(1) المراد بالنصوص: نصوص الكتاب والسنة. والمراد بالفصوص: كتاب فصوص الحكم لابن عربي.

(2) يريد الأحاديث النبوية.

(3) يشير إلى كتاب الفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي. ينظر: هامش: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 187.

(4) المكتوبات: مكتوب رقم 100، المجموعة الأولى، ص 148، 149.

مستورة، وفي تشعشع نور الشمس مغلوبة، وهذا الشخص في مقام الإنكار لجماعة ينفون وجود النجوم في ذلك الوقت، ويرى أن تلك المعرفة غير واقعية؛ فالتوحيد الوجودي الذي هو نفي ما سوى ذات واحدة تعالت وتقدست، مخالف للعقل والشرع، بخلاف التوحيد الشهودي فإنه لا مخالفة في مشاهدة الواحد ونفي النجوم وقت طلوع الشمس مثلاً، والقول بأنها معدومة مخالف للواقع، وأما عدم رؤية النجوم في ذلك الوقت فلا مخالفة فيه أصلاً، بل هذا إنما هو بواسطة غلبة ظهور نور الشمس وضعف بصر الرائي، فإن اكتحل بصر الرائي بنور الشمس، تحصل له قوة يرى بها أن النجوم ممتازة من الشمس، وهذه الرؤية يعني رؤية النجوم ممتازة من الشمس في مرتبة حق اليقين⁽¹⁾. وبهذا أثبت مقاماً آخر هو: مقام وحدة الشهود، مع نقضه لمقام وحدة الوجود وأنه مخالف للعقل والشرع.

د- ورد على القائلين بحجة الكشف والإلهام واعتبارهما دليلاً شرعياً يعمل بمقتضاهما، فبين في رسالة له أن المعتبر في إثبات الأحكام هما الكتاب والسنة: «المعتبر في إثبات الأحكام الشرعية هو الكتاب والسنة وقياس المجتهدين وإجماع الأمة أيضاً مثبتان للأحكام، وبعد هذه الأدلة الأربعة الشرعية لا يكون شيء من الدليل مثبتاً للأحكام أصلاً، لا يكون الإلهام مثبتاً للحل والحرمة، ولا كشف أرباب الباطن للفرض والسنة»⁽²⁾.

وبين في رسالة أخرى أن الرياضات والمجاهدات إنما هي بإتيان الأحكام الشرعية والتزام متابعة السنة المحمدية. فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «... والرياضات والمجاهدات في هذا الطريق إنما هي بإتيان الأحكام الشرعية، والتزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، فإن المقصود

(1) المكتوبات: مكتوب رقم 43، المجموعة الأولى، ص 81.

(2) المكتوبات: مكتوب رقم 55، المجموعة الثانية، ص 139.

من إرسال الرسل وإنزال الكتب، رفع أهواء النفس الأمارة التي انتصبت لمعاداة مولاها جل سلطانه، فصار رفع أهواء النفس مربوطاً بإتيان الأحكام الشرعية، وكل من كان أرسخ في إتيان الأحكام الشرعية، يكون أبعد عن هواء النفس الشقية، فإذا لا يكون شيء أشق على النفس الأمارة من امتثال الأوامر الشرعية واجتناب مناهيها، ولا يتصور انكسار دون تقليد صاحب الشريعة، وما يختارون من الرياضات والمجاهدات وراء تقليد السنة فليست هي معتبرة، فإن جوكية الهنود وبراهم وفلاسفة اليونان شركاء في ذلك الأمر، ولا تزيد الرياضات في حقهم شيئاً غير الضلالة والخسارة»⁽¹⁾.

هـ- كما رد على بعض السلوكيات التي كانت تحدث في زمانه، فقال: «والآيات والأحاديث والروايات الفقهية في حرمة الغناء كثيرة جداً على حد يتعذر إحصائها، ومع هذه كلها لو أورد شخص حديثاً منسوخاً أو رواية شاذة في إباحة الغناء لا ينبغي اعتباره منه؛ فإنه لم يفت فقيه في وقت من الأوقات بإباحة الغناء، ولم يجوز الرقص والضرب بالأرجل»⁽²⁾.

سادساً: حملته على منكري الغيبيات:

ومن المقولات التي راجت ورددتها بعض الناس: «إن سيادة الإنسان تعتمد على جوهره العقل»، وقولهم: «إن مدار الدين عندنا على العقل لا على النقل، وهذه الأشياء لا يقبلها عقل ولا فكر». وأدى ذلك إلى إنكار كل ما يخالف العقل من شرائع الدين الحنيف، بل تعدى الأمر إلى الاستهزاء والسخرية منها، فيحكي «البدايوني» في كتابه «منتخب التواريخ» أن السلطان قال مرة: كيف يتصور أن يقبل العقل أن شخصاً يحمل جسماً ضخماً يبلغ - بغته - عنان السماء، ويتحدث مع الله تسعين ألف حديث، ذي شجون ويبقى فراشه دافئاً، ثم يقبل الناس هذه الدعوى، كما أنهم

(1) المکتوبات: مکتوب رقم 221، المجموعة الأولى، ص 265.

(2) المکتوبات: مکتوب رقم 266، المجموعة الأولى، ص 362.

يؤمنون بشق القمر وأمثاله من الأمور المستبعدة. ثم وجه سؤالاً إلى الحاضرين - وقد رفع رجله - قائلاً: «لا يمكن أن أقوم إلا بأن تكون الرجل الثانية مستتدة على الأرض، فأين هذه الخرافات؟»⁽¹⁾.

هكذا وصل الأمر بالسلطان وحاشيته من إنكار للدين واستهزاء وسخرية، وإزاء ذلك كله لم يقف الإمام السرهندي مكتوف الأيدي، بل رد عليهم رداً قوياً، ولا بُد من القول إن «للمعارف المحترمة مصادر معينة لا يعول على ما ورائها، فإذا كان مصدرها إنسانياً فيجب أن تتبع من ثايا المنطق التجريبي أو الرياضي، كما هو حاصل الآن في علوم الكون والحياة، وفيما يتصل بأحوال المادة وشؤون الناس. أما إذا كانت هذه المعارف متصلة بما وراء المادة - أي بما يقصر المنطق التجريبي والرياضي عن مناله - فإن الوحي الصادق هو سبيلها الفذة، ولا يقبل غيره فيها. ومن ثم فالكلام عن الله وعن صفاته وعن حقوقه لا يعتمد فيه إلا ما جاء على ألسنة الأنبياء وحدهم، وإذا تظاهرت الدلائل على صدق نبي ما، فإن ما جاء به من عند الله يأخذ وصف اليقين، وينقطع دونه الجدل»⁽²⁾.

ومن هذا الكلام يتضح أن للعقل حدود، وهذا أمر لا يختلف عليه أحد، وكذلك «ينبغي - قبل كل شيء - ألا ننسى أن العقل ليس حراً طليقاً في أداء مسؤوليته الطبيعية، من الاكتشاف والتحقيق والاستدلال، وأنه في حاجة إلى أشياء أقل منه شأنًا، وأنفه منه قيمة، وأن دوره الأصيل هو التوصل من المحسوسات والمعلومات والتجارب السابقة، إلى أمور غير محسوسة ومعلومة، وأن يصل بترتيبها علمياً بالاستعانة بذخيرة هذه المعلومات والمبادئ والمقدمات، إلى نتائج لم تكن حاصلة له من قبل، وما كان يمكنه الحصول عليها، بالاعتماد على الحواس والتجارب؛ فإننا

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 130/3، نقلاً عن: منتخب التواريخ 2/ص307.

(2) عقيدة المسلم: الشيخ محمد الغزالي ص183، ط1، القاهرة: نهضة مصر، 2003م.

إذا نقدنا جميع المعقولات وحللناها تحليلاً علمياً، يتضح لنا أن العقل لم يصل إلى هذه الحقائق الدقيقة والمعارف العالية إلا عن طريق هذه المحسوسات التافهة، والمعلومات البدائية البسيطة، التي لم تكن تؤدي بنفسها - من غير مساعدة الترتيب العقلي والعلمي - إلى هذه النتائج الخطيرة ذات القيمة العظيمة. فمن الظاهر البديهي أن المجالات التي لا تستطيع الحواس البشرية أن تعمل فيها، ولا تملك أي ركيزة لمعلوماتها الأساسية، ولا تعرف مبادئها وأوليائها، ولا يمكن أن يكون لديها أي تقدير وتجربة لحقيقتها، ولا دخل للقياس فيها، فأنى للعقل والذكاء والقياس والتخمين أن يصلوا فيها ويجول؟»⁽¹⁾.

من هذا المنطلق رد الإمام السرهندي على موجات الإلحاد التي سادت في بداية القرن الحادي عشر الهجري في الهند، فبين في رسالة له أن الأنبياء رحمة للعالمين، وبواسطتهم أخبرنا الله تعالى عن ذاته وصفاته، وعما يرضيه وعما لا يرضيه، وأنه لولا وجود الأنبياء لكانت العقول عاجزة في إثبات وجوده ﷻ. فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى الإسلام، وجعلنا من أمة محمد ﷺ، إن الأنبياء رحمت للعالمين، أخبرنا الحق ﷻ بواسطة بعثة هؤلاء الأكابر عن ذاته وصفاته، لأمثالنا ناقصي العقول وقاصري الإدراك، وأطلعنا على كمالاته الذاتية والصفاتية بمقياس أفهامنا، وفرق مرضيه عن غير مرضيه وميز منافعها الدنيوية والأخروية عن مضارنا، فلو لم يكن توسط وجودهم الشريف لكانت العقول البشرية عاجزة في إثبات الصانع تعالى، وقاصرة في إدراك كمالاته تعالى، وكانت قداماء الفلاسفة الذين يزعمون أنفسهم أكابر أرباب العقول منكرين للصانع ﷻ وكانوا ينسبون الأشياء إلى الدهر من نقصان عقولهم، ومجادلة النمرود الذي كان سلطان جميع أهل الأرض مع الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام في إثبات خالق السماوات والأرض مشهورة وفي القرآن المجيد مذكورة، وقال فرعون المخذول:

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 202/3.

﴿يَتَأْتِيهَا أَمَلًا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَيْكَ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁽¹⁾، وقال أيضاً خطاباً لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾⁽²⁾، وقال أيضاً لهامان: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۖ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَلِكَ نُمِيزُ الْفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾⁽³⁾، وبالجمله إن العقل قاصر في إثبات هذه الدولة العظمى لا يكاد يهتدي إليها دون هداية هؤلاء الأكابر»⁽⁴⁾.

ثم يبين الإمام السرهندي في رسالة أخرى منزلة ومكانة كلاً من النبوة والعقل، فيقول رحمه الله: «... إن طور النبوة وراء طور العقل والفكر والأمور التي العقل قاصر في إدراكها تثبت بطور النبوة، فإن كان العقل كافياً فلأي شيء يكون بعثة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ولأي شيء يكون العذاب الأخروي مربوطاً ببعثتهم، قال الله ﷻ: ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَأَتَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁽⁵⁾. العقل وإن كان حجة، ولكنه ليس بحجة بالغة كاملة، والحجة البالغة إنما تحققت ببعثة الأنبياء (عليهم السلام) وبها انقطعت السنة أعمار المكلفين، قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁽⁶⁾؛ فإذا ثبت للعقل قصور في إدراك بعض الأمور، فوزن جميع الأحكام الشرعية بميزان العقل لا يكون

(1) سورة القصص من الآية 38.

(2) سورة الشعراء الآية 29.

(3) سورة غافر الآيتان 36، 37.

(4) المكتوبات: مكتوب رقم 23، المجموعة الثالثة، ص 258، 259.

(5) سورة الإسراء من الآية 15.

(6) سورة النساء الآية 165.

مستحسنًا والتزام تطبيقها على العقل حكم في الحقيقة باستقلال العقل وإنكار بطور النبوة أعاذنا الله ﷻ من ذلك»⁽¹⁾.

ويؤكد الإمام السرهندي هذا المعنى في رسالة أخرى، فيقول: «... والصراط حق، والميزان حق، والحساب حق، قد أخبر بكل منها المخبر الصادق - عليه وعلى آله الصلاة والسلام -، واستبعاد بعض الجاهلين بطور النبوة وجود هذه الأمور ساقط عن حيز الاعتبار، فإن طور النبوة وراء طور العقل، وتطبيق جميع أخبار الأنبياء الصادقة على نظر العقل والتوفيق بينهما إنكار في الحقيقة على طور النبوة، والمعاملة هناك إنما هي بالتقليد، ألم يعلموا أن طور النبوة مخالف لطور العقل، بل لا يقدر العقل أن يهتدي إلى تلك المطالب العالية دون تأييد تقليد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -»⁽²⁾.

وهكذا أكد السرهندي في رسائله أن العقل عاجز عن إدراك الأمور الغيبية، وأنه لا سبيل إلى معرفة هذه الأمور إلا عن طريق النبوة، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق بعثة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، ولذلك كانت بعثتهم رحمة للعالمين؛ فيجب علينا الاتباع الكامل والإيمان بهم (عليهم الصلاة والسلام).

وهكذا استطاع الإمام السرهندي تغيير الواقع في بلاد الهند، ويمكن تلخيص ما قام به في النقاط التالية:

- 1- تصحيح أمور العقيدة، وذلك من خلال رسائله التي كان يبعث بها إلى ولاية الأمر في الدولة المغولية، وإلى مريديه من الرجال الصالحين والنساء الصالحات.
- 2- الرد على الشيعة في عصره، الذين صاروا قوة لا يستهان بها في أوائل القرن الحادي عشر الهجري.

(1) المکتوبات: مکتوب رقم 36، المجموعة الثالثة، ص 285.

(2) المکتوبات: مکتوب رقم 266، المجموعة الأولى، ص 351، 352.

- 3- معالجة بعض شطحات الصوفية في عصره، والتي كان لها أثرها في تصحيح مفهوم التصوف في القرن الحادي عشر الهجري.
- 4- عالج كل ما نتج عن الدين الإلهي من إنكار بعض الأمور الغيبية وتقديم العقل على النقل.
- 5- استطاع من خلال تواصله مع بعض ولادة الأمر في الدولة المغولية إحداث تغيير في اتجاه الدولة والعودة بها إلى تعاليم الإسلام الحقّة من جديد.

* * *

الفصل الثاني

الإمام عبد الحق الدهلوي وجهوده في الدعوة

ويشتمل على مبحثين:

- ◆ المبحث الأول : التعريف بالإمام عبد الحق الدهلوي.
- ◆ المبحث الثاني : جهود الإمام عبد الحق الدهلوي الدعوية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري.

المبحث الأول

التعريف بالإمام عبد الحق الدهلوي

أولاً : اسمه ونسبه :

هو عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي⁽¹⁾، وكان أول من دخل الهند من أبنائه، هو أغا محمد ترك، وكان من سكان بخارى، فلما أحدث المغول الخراب والدمار والتقتيل والإحراق، في آسية الوسطى في القرن السابع الهجري ساعته أوضاع بلاده، وهاجر في جماعة كبيرة من الأتراك إلى الهند⁽²⁾.

ثانياً : مولده وأسرته ونشأته العلمية :

ولد الشيخ عبد الحق الدهلوي في شهر المحرم سنة ثمان وخمسين وتسع مئة (958هـ) بمدينة دهلي في عهد الملك «إسلام شاه السوري»⁽³⁾.

أما والده: سيف الدين بن سعد الله بن فيروز البخاري الدهلوي، أحد رجال العلم والطريقة، ولد ونشأ بدهلي في بيت علم وصلاح، وأخذ عن الشيخ عبد الملك بن عبد الغفور الباني بتي، وعن غيره من العلماء والمشايخ وصحبهم واستفاض منهم، وله رسالة تسمى بالمكاشفات في الحقائق والتوحيد، وله سلسلة «الوصال» منظومة بالفارسية، وكان شاعراً مجيداً الشعر صاحب أذواق ومواجيد⁽⁴⁾.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/553، 554، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البكرامي ص115، أبجد العلوم: القنوجي 3/228.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص63.

(3) ينظر: المرجع السابق ص81، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/554.

(4) المرجع السابق 4/364.

يقول عنه ابنه الإمام عبد الحق الدهلوي: «كان وحيد عصره وحديث بلاده في الشعر والفضل، والذوق والشوق، والمحبة والظرافة واللطافة، والانقطاع، وطيب القلب، والحضور، وذكر اللطائف، والنكات، وفهم الدقائق والإشارات، مات رَحِمَهُ اللهُ لثلاث بقين من شعبان سنة تسعين وتسعمائة»⁽¹⁾.

أما والدته: فكانت بنتاً للشيخ زين العابدين المعروف بالشيخ «أدهن الدهلوي»، والذي قال عنه الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي، كان عالماً كاملاً، ورعاً متعبداً في غاية من الخشوع والإخبات، والتأدب والوقار⁽²⁾.

فجمع الشيخ المحدث في عراقة النسب وأصله من ناحية الأب والأم، مما كان له انعكاساً على تربيته ونشأته الدينية والعلمية.

نشأته العلمية:

نشأ الإمام عبد الحق الدهلوي، محباً للعلم، وكان لو والده إسهام خاص في تعليمه البدائي وتربيته، وتطور أفكاره، فقد عُنِيَ بتربية ابنه منذ صغره، يقول الشيخ المحدث عبد الحق: «نشأت ليلاً ونهاراً في حضن رحمته وجوار عنايته»⁽³⁾. وقد بدأ والده بتعليمه القرآن فقرأ الإمام «عبد الحق» القرآن على والده في شهرين أو ثلاثة أشهر⁽⁴⁾.

يقول الشيخ المحدث عن هذه التنشئة: «علمني أولاً جزأين أو ثلاثة أجزاء أو أقل من القرآن الكريم من دون تعلم قواعد الهجاء، كما يفعل الأطفال، كان يكتب درساً درساً، فكنت أتابع قراءته، تعلمت من القرآن الكريم هذا القدر وحده، وبعد

(1) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص73، نقلاً عن: أخبار الأخيار ص292.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص70.

(3) المرجع السابق ص84.

(4) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/554.

ذلك استطعت بفضل تربيته وعطفه أن أقرأ كل يوم شيئاً من القرآن الكريم، وكل ما قرأته عرضته عليه، فختمتُ القرآن في شهرين أو ثلاثة»⁽¹⁾.

ثم تعلم الكتابة والإنشاء في شهر واحد⁽²⁾، يقول الشيخ: «وخلال وقت قليل - لا أكذب إذا حددته بشهر - نشأت في مهارة الكتابة وسليقة الإنشاء»⁽³⁾.

ثم قرأ أجزاء من «كلستان» و«بوستان» و«ديوان الحافظ» وقرأ «ميزان الصرف» إلى «المصباح» و«الكافية» في الصرف والنحو على والده، وقرأ أجزاء من «اللب والإرشاد» و«شرح الشمسية» و«شرح العقائد» وله اثنا عشر عامًا، وقرأ «المختصر» و«المطلوب» وله خمس عشرة سنة، وقرأ سائر الكتب الدراسية على هذا الأسلوب البديع، وأخذ كل ذلك في سبع سنوات أو ثماني عن الأستاذ «محمد مقيم» تلميذ الأمير «محمد مرتضى الشريفي» وعن غيره من العلماء بمدرسة دهلي، وكانت على مسافة ميلين من منزلة، يروح ويغتدي إليها كل يوم في حر وبرد، وكان دائم الاشتغال مكبًا على المطالعة في دياجير الليالي، حتى أنه قد احترقت عمامته غير مرة بالسراج الذي كان يجلس أمامه للمطالعة، فما كان ينتبه له حتى تتصل النار ببعض شعره⁽⁴⁾.

يقول رَحِمَهُ اللهُ عن نفسه: «كنت أختلف كل يوم مرتين إلى مدرسة دهلي، رغم برد الشتاء القارس، وشدة حر الصيف، لعلها كانت على مسافة ميلين من منزلنا، وكنت أرجع إلى البيت خلال النهار آكل لقيمات أنقوى بها...، وكان أبوي يرغباني دائماً أن ألعب مع أطفال حارتي، وأن أنام في وقت محدد، فكنت أقول: الغرض من

(1) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص84، نقلًا عن: أخبار الأخيار ص300.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 554/5.

(3) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص86، 87، نقلًا عن: أخبار الأخيار ص301.

(4) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 554/5.

اللعب إدخال السرور في القلب، وأنا أسرُّ إذا قرأت شيئاً أو كتبت شيئاً، العادة أن الآباء والأمهات يوبخون أولادهم لحثهم على القراءة والاختلاف إلى الكتاتيب، وعلى العكس من ذلك كان أمري، فقد كانوا يرغبونني في اللعب، وقد كان نصف الليل يمضي في المطالعة، فكان أبي يناديني: ماذا تفعل يا بني؟ فكنت أضطجع فوراً على الفراش، حتى لا أكذب، وأقول له: أنام، ماذا تأمرون؟ فإذا اطمأن نهضت وأقبلتُ على المطالعة»⁽¹⁾.

ثالثاً: التصوف في حياة الشيخ المحدث ورحلته إلى الحجاز:

اعتنى الشيخ المحدث إلى جانب طهارة العقل والفهم بعفة القلب والنظر، وكان له منذ طفولته اهتمام بالعبادة والرياضة، وكان أبوه قد أوصاه «لا تكن عالماً مُجذباً عقيماً»، فقضى حياته جامعاً بين الشريعة والطريقة، وكان الشيخ سيف الدين قد نفخ فيه تلك الروح من الحب الحقيقي الذي أشعل الشوق في قلبه وكبده إلى آخر أيام حياته. فكان في بداية عهده يقوم في الليل، ويقبل على العبادة، يقول: «ومع الشوق والاشتغال باكتساب العلم والمذاكرة، كنتُ أعني في الطفولة بكثرة الصلوات، والأوراد، وقيام الليل، والمناجاة»، فالشوق والذوق اللذان كانا يغلبانه في ذلك العهد في الدعاء يتمتع بذكرهما في كبره، يقول: «لا أزال أستمتع باللذة التي كنت أنعم بها في الأسحار وأوقات العبادة».

وكان للشيخ المحدث في ذلك العهد حرصٌ كبير على صحبة المشايخ والاستفادة منهم، وكان مركزاً لعنايتهم وأطافهم من أجل عواطفه الدينية وإخلاصه، كان الشيخ إسحاق (ت 989هـ) شيخاً كبيراً في الطريقة السهروردية، وكان قد هاجر من ملتان إلى دهلي، وأقام بها، وكان يديم السكوت، وقلما يكلم أحداً، ولما حضره الشيخ المحدث اعتنى به، وأفضل عليه «وتحدث مع الفقير طويلاً»⁽²⁾.

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 91،

نقلاً عن: أخبار الأخبار ص 302، 303.

(2) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 93.

فمن سيرة هؤلاء العلماء الكبار يظهر أن العلم وحده لا ينفع، بل لابد للعالم من التقوى، كي يحفظ العلم ولا ينسى، والتقوى أيضاً تعطى الإنسان علماً لا يناله إلا بها، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، والتصوف الصحيح بابه الأول هو تقوى الله تعالى.

الشيخ المحدث في الحجاز:

عزم الشيخ المحدث السفر إلى مكة المكرمة للحج والزيارة، وذلك سنة خمس وتسعين وتسع مئة، فلما وصل إلى «أجین» أقام بها زماناً، وهياً له «مرزا عزيز الدين ابن شمس الدين الدهلوي» أمير تلك الناحية الزاد والراحلة، فسافر إلى «أحمد آباد» وأقام بها زماناً...، ثم سافر إلى مكة المكرمة سنة ست وتسعين وتسع مئة...، وأقام بها عشرة أشهر⁽²⁾، التقى خلالها بالشيخ «عبد الوهاب المتقي»، وقرأ عليه «مشكاة المصابيح»، واعتكف معه في العشر الأواخر من شهر رمضان، وأدى فريضة الحج معه، واستفاد منه في عرفات والمزدلفة، ثم اشتغل بالدرس، وخرج إلى المدينة المنورة في 23 من شهر ربيع الثاني سنة 997هـ، بإذن الشيخ عبد الوهاب، وأقام بها إلى آخر شهر رجب سنة 998هـ، وبالمدينة المنورة استكمل رحلة العلم فأخذ علم الحديث بها عن الشيخ أحمد بن محمد بن محمد أبي الحزم المدني، والشيخ حميد الدين ابن عبد الله السندي المهاجر، وأجازوه إجازة عامة وأثنوا عليه⁽³⁾، ثم رجع إلى مكة المكرمة، وأتم على الشيخ عبد الوهاب (مشكاة المصابيح). فلما انتهى قال له الشيخ: «الحمد لله، فقد حصلت لكم نسبة بهذا العلم الشريف في وجه أتم، وهذا القدر يكفيكم لأداء خدمة هذا العلم، ينبغي الآن أن تشتغلوا أياماً في أمور أخرى، وتحصلوا على لذات الخلوة، وذكر الله أيضاً»⁽⁴⁾.

(1) سورة البقرة من الآية 282.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/554.

(3) المرجع السابق 5/554.

(4) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خلیق أحمد نظامي ص108.

وقد تم له ذلك فعلمه شيخه آداب الذكر وأوضاعه وتقليل الطعام وآداب الخلوة⁽¹⁾ ثم أجلسه في حجره من الحرم الشريف مقابل باب أجساد بين الحجر الأسود والركن اليماني للمجاهدة والرياضة، وعُني به الشيخ «عبد الوهاب المتقي» في ذلك الوقت عناية خاصة، كانت عاداته زيارة الحرم الشريف كل جمعة، كلما دخله قابل الشيخ عبد الحق، وأشرف على عبادته ورياضته...، فلما أذن له في الخروج من هذه الخلوة سألته أن يقرأ عليه (صحيح مسلم)، فلما انتهى منه قال له الشيخ: «ارجعوا إلى الهند الآن»⁽²⁾.

نظرة إلى منهج الشيخ عبد الوهاب المتقي في تعليم الشيخ عبد الحق الدهلوي:

إن الناظر إلى المنهج الذي سار عليه الشيخ عبد الوهاب في تعليمه للشيخ عبد الحق، يرى أنه منهج فريد جمع فيه بين علم الظاهر والعلوم الشرعية، وعلم الباطن وهو التصوف.

وقد لخص صاحب كتاب «الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي» ذلك المنهج

فقال:

- 1- منحه الشيخ عبد الوهاب المنفي ذلك الحظ الغالي من علم الحديث الذي ردّد صيته في الدوائر العلمية في مصر وسائر بلاد العرب.
- 2- درّسه علم الباطن بعد تدريس علم الظاهر، وعرفه بطرق السلوك والمعرفة الوعرة، وعلمه كتب التصوف، وكلفه بالعبادة والرياضة في الحرم الشريف تحت إشرافه.
- 3- أنشأ فيه الروح الصحيح والرؤية الصحيحة لحقوق العباد.
- 4- كانت أفكار الشيخ المحدث قد تغيرت تجاه الفقه الحنفي خلال إقامته في الحجاز، وأراد أن يتحول إلى مذهب الإمام الشافعي، فلما علم الشيخ

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 554/5.

(2) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص109.

عبد الوهاب بذلك أملى عليه مناقب الإمام الأعظم، مع بيان له شافٍ وأخاذاً غير أفكار الشيخ المحدث، وتثبت في نفسه الفقه الحنفي⁽¹⁾. ولعل الشيخ عبد الوهاب المتقي أراد من تلميذه أن يظل على مذهبه الفقهي السائد في بلاد الهند؛ حتى لا تحدث فتنة بسبب الاختلاف المذهبي.

رابعاً: وفاته:

توفي الإمام عبد الحق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وألف (1052هـ) بدار الملك بدلهي ودفن بها⁽²⁾.



(1) المرجع السابق ص 109، 110.

(2) ينظر: المرجع السابق 5/557، الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليق أحمد نظامي ص 36، سبحة المرجان في آثار هندستان: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي ص 116.

المبحث الثاني

جهود الإمام عبد الحق الدهلوي الدعوية في الهند

في القرن الحادي عشر الهجري

كان الإمام الدهلوي معاصراً للمجدد السرهندي، وكانت بينهما محبة صادقة، ومودة كبيرة، وكانا من المستقيضين من الشيخ الكبير محمد الباقي بالله، وكان هدفهما في الحياة إحياء الدين، ونشر السنة والشرعية⁽¹⁾.

أولاً: جهوده في نشر علوم السنة المشرفة:

اقتصرت معظم جهود الشيخ الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى علوم السنة المشرفة، على أساس أن الهند بما كانت تموج به من ديانات وتيارات مختلفة، فكانت تعيش في مشاكل عقدية وفكرية، فاحتاجت إلى إيضاح في هذين الجانبين باللغة التي يتعامل بها أبناء هذه البلاد.

وإذا تم استعراض ما آل إليه علم الحديث في الهند في القرن العاشر الهجري، يتضح أنه كان عزيزاً، وذلك بسبب انشغال أكثرية العلماء بالفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم والمعارف، مهملين علم الحديث إلا ما ندر من العلماء.

ويصور العلامة عبد الحي الحسني في كتابه «الثقافة الإسلامية في الهند ما آل إليه علم الحديث في القرن العاشر»، فيقول: «ولما انقرضت دولة العرب من بلاد السند، وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية، وتتابع الناس من خراسان وما وراء النهر، صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر، وعديماً كعنفاء المغرب، وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول، ومضت على ذلك قرون متطاولة، حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان، والإضراب عن علوم السنة والقرآن، إلا ما يُذكر في الفقه على القلة، وكان

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص203.

قصارى نظرهم في الحديث في «مشارك الأنوار» للصغاني، فإن ترفع أحد إلى «مصاييح السنة» للبغوي أو إلى «مشكاة المصابيح» ظن أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث، ولذلك تراهم لا يذكرون هذا العلم، ولا يقرؤونه ولا يحثون عليه، ولا يجذبون إليه، ولا يعرفون كتبه، ولا يعلمون أهله، والقليل منهم كانوا يقرؤون «المشكاة» لا غير، وهذا على طريقة البركة لا للعمل به، والفهم له، وعمدة بضاعته من الفقه على طريقة التقليد دون التحقيق إلا ما شاء الله تعالى في أفراد منهم، ولذلك كثرت فيهم الفتاوى والروايات وتركت النصوص المحكمات، ورفض عرض الفقه على الحديث، وتطبيق المجتهديات بالسنن المأثورة عن النبي المعصوم المأمون ﷺ⁽¹⁾.

ففي القرن العاشر الهجري لا يرى في ولايات أتراباديش، ودهلي، والبنجاب بأسرها إلا محدثين اثنين: الحاج إبراهيم القادري (ت 1001هـ)، والشيخ إسماعيل اللاهوري (ت 980هـ).

أما أولهما: فقد ولد في مانكفور، وأقام في بغداد سنتين أو ثلاثاً، وأخذ بها علم الحديث، ثم وصل إلى مصر، وصحح بها علم الحديث على الشيخ شمس الدين العلقمي، ثم أسند عن الشيخ محمد البكري الشافعي، واستجازه، ورحل إلى مكة المكرمة، وسمع الحديث بها من عبد الرحمن بن فهد المغربي، والشيخ مسعود المغربي، وعلى المتقي الهندي، ثم عاد إلى مصر، ودرس بها العلوم أربعاً وعشرين سنة، وغلبته محبة الوطن في آخر حياته، فخرج إلى الهند، وممر بآكره، فخطر على باله أن يعقد بها مجالس التدريس للتفسير والحديث، وظل عاكفاً على التدريس إلى أن وافاه الأجل وهو في السادسة والثمانين من عمره.

وثانيهما: فقد جاء في (كلزار أبرار) عن إسماعيل اللاهوري: من كبار المسندين في الحديث الشريف، صحح كتب الحديث والفقه وسمعها في إيران

(1) ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص 135، 136.

على شيخ الإسلام سيف الدين أحمد الشهيد الهروي، والأمير المحدث جمال الدين عطاء الله.

ولا يقاس على ذلك وضع مناطق الهند الساحلية والولايات الحدودية، فقد كان علم الحديث قد انتشر بها انتشاراً كبيراً⁽¹⁾؛ حيث قام جهابذة العلماء بخدمة هذا العلم الشريف تدريسياً وتأليفاً وشرحاً وقراءةً، ولعل أجدرهم ذكراً هو الإمام الكبير المحدث محمد بن طاهر الفتني الذي فاق أقرانه واعترف بفضل علماء الآفاق والأقطار ومحدثو البلاد والأمصار، ولد بكجرات في سنة 913هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحلم، وبعد أن تلمذ على كبار علماء كجرات، وبرع في عدة فنون شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة 944هـ، وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن البكري والشيخ الكبير أحمد بن حجر المكي والإمام المحدث على المتقي الهندي الذي لازمه وأخذ عنه كثيراً كما ذكره في مقدمة كتابه «مجمع بحار الأنوار». ورجع إلى الهند واشتغل بخدمة الحديث النبوي تدريسياً وتأليفاً، وكان ممتازاً لصلاحه وورعه وعلمه، ولم يبلغ أحد من أقرانه مبلغه، لا في علم الحديث ولا في خدمة الحديث، وكان قد ورث من أبيه مالا كثيراً أنفقه على طلبة العلم، وكان من عادته أن يختار للعلم صبياناً من الكتاتيب، ويعلمهم وينفق عليهم من ماله، ثم يدرّبهم في علم الحديث، حتى لما فرغوا أتى بفوج جديد من الصبيان. وقد ترك مؤلفات عديدة في علم الحديث، لعل أهمها وأكبرها: مجمع بحار الأنوار، ومنها لطائف الأخبار في غريب الحديث، وتذكرة الموضوعات، والمغني في أسماء الرجال، توفي رحمه الله تعالى في سنة 986هـ، ودفن في موطنه ومسقط رأسه فتن، وقد كان من أشد المنتقدين للحركة المهدوية، فهجم عليه جمع منهم يوماً وقتلوه⁽²⁾.

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 54، 55.

(2) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 54.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كسدت دراسة علم الحديث في تلك الفترة في قلب الهند (شمالي الهند) بينما كان ساحل الهند نشيطاً في دراسة هذا العلم الشريف؟

ويجيب عن هذا السؤال أ/خليفة أحمد نظامي، فيقول: «لما أرسل محمد بن تغلق⁽¹⁾ العلماء والمشايخ من دهلي إلى أقصى أنحاء البلاد، كسدت سوق العلم والعلماء في شمالي الهند، وحاول فيروز تغلق أن يلمّ هذا الشعث، لكن الفوضى التي حدثت بعده، دفعت العلماء إلى الهجرة إلى الولايات والأقاليم المختلفة في الهند، وفرغت هذه المنطقة من العلماء، وختمت حملات تيمور على هذا الدمار والخراب. وعزم إسكندر اللودي على أن يزيّن هذا المجلس من جديد، لكن مساعيه لم تكن بنجاح كبير من أجل الفوضى السياسية والوضع غير المحتوم. ثم إن ضلال الملك «أكبر» أثر في العلماء والمشايخ حتى نأوا عن هذه المنطقة، فهاجروا إلى الحرمين الشريفين، أو أقاموا في المناطق الساحلية بعيدين عن العاصمة. فلما جلس الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي للتحديث، كان علم الحديث قد انعدم من شمالي الهند، فأضاء في هذا المناخ المظلم الحالك شمعة للعلوم الدينية، استهوت القلوب، واجتذبت الناس من أقاصي البلاد، وبدأت سلسلة جديدة لدراسة الحديث في شمالي الهند، وانتقلت مركزية علوم الدين لا سيما الحديث النبوي الشريف من كجرات إلى دهلي، فكتب الحديث التي تم تأليفها في الهند من بداية القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر في الهند كان معظمها قد عمل في شمالي الهند، والفضل في ذلك يرجع إلى الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي»⁽²⁾.

جهود الإمام عبد الحق الدهلوي في نشر علم الحديث الشريف:

كان منهج الشيخ في مواجهة الفتن التي حلت ببلاد الهند أوائل القرن الحادي عشر الهجري على يد إمبراطور ذلك العصر «جلال الدين محمد أكبر» أن يقوم

(1) سبق الحديث عن الدولة التغلقية في التمهيد.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 56،

بنشر علوم الدين الصحيح، وخاصة علم الحديث الشريف؛ ليكون ذلك سبباً في رجوع المسلمين في الهند إلى دينهم، والتمسك بأهدابه وشريعته الغراء، ولقد قام بذلك من ناحيتين أولهما: التربية والتدريس، وثانيهما: التصنيف.

أولاً: التربية والتدريس:

اعتمد الإمام الدهلوي على نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفاً وتدريباً. أما التدريس فقد رجع الشيخ عبد الحق من الحجاز؛ فجلس للتدريس، وكانت هذه هي المدرسة الأولى في شمالي الهند في ذلك العهد، ارتفع منها صوت الشرع والسنة، وكان منهجها التعليمي مختلفاً عن المدارس الأخرى اختلافاً تاماً؛ فكان القرآن والحديث في هذه المدرسة قطب الرchy، الذي تدور حوله سائر العلوم الدينية، وكان ينشد البيت الفارسي الشهير الذي معناه: «أنا عبد للشمس، فلا أتحدث إلا عن الشمس، لست بدليل، ولا عابد ليل حتى أتحدث عن المنام والرؤيا»⁽¹⁾.

وهذه المدرسة العظيمة وقف عليها «جهانكير» مزارع من الأرض، وظل الشيخ المحدث يدرس بها مدة من الدهر، ثم أولاده: المفتي نور الحق، والشيخ علي محمد، والشيخ محمد هاشم، وسبطه أبو رضا بن إسماعيل، وخلق آخرون، تخرج عليهم جماعات من الفضلاء في كل عصر إلى مدة طويلة⁽²⁾. فكانت دار علوم الشيخ المحدث هذه أكبر حصن للشرعية الإسلامية والسنة النبوية في ذلك العهد. ولا شك أن هذه المدرسة التي قام بها الشيخ معلماً ومربياً قد تخرج منها الكثير والكثير من طلبة العلم الذين جابوا بلاد الهند نشرًا للدين الإسلامي وتعليمًا لدعائمه وأركانها.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/554، الشيخ

المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص119.

ومقصود الشيخ أنه لا يعتبر الرؤيا والمنام أصلاً في الأحكام، وإنما يعتبر ما ورد في الكتاب والسنة وهما كالشمس لا يحتاجان إلى مزيد بيان، بل هما واضحا بينان للناس.

(2) ينظر: الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي الحسني ص360.

ثانياً: التصنيف:

ومن أجل الخدمات التي قدمها الإمام الدهلوي للمسلمين في الهند، وامتد ذلك إلى غيرها من البلدان مجموعة المؤلفات التي قام بتأليفها في علم الحديث الشريف، والتي تدل على غزارة علمه، وسعة فكره، وبراعته في التأليف، كما كان لها دور عظيم في نشر علم الحديث الشريف، مما كان له انعكاس مباشر على الدعوة في الهند، وذلك بالأخذ بأيدي المسلمين هناك من الضلال والظلمة إلى الهدى والنور.

ومن أهم هذه المؤلفات:

1- لمعات التتقيح في شرح مشكاة المصابيح: شرح «مشكاة المصابيح» باللغة العربية، وهو أجل وأعظم وأطول وأكبر تصنيفاته، قال في تأليف القلب الأليف في حق ذلك الكتاب: وقد جاء بتوفيق الله وتأييده كتاباً حافلاً شاملاً مفيداً نافعاً في شرح الأحاديث النبوية، على مصدرها الصلاة والتحية، مشتملة على تحقيقات مفيدة وتدقيقات بديعة، وفوائد شريفة ونكات لطيفة⁽¹⁾. ولما كان الشيخ المحدث معنياً بـ(أشعة اللمعات) عرضت له معانٍ لم يستحسن بيانها في اللغة الفارسية، فقد كانت اللغة الفارسية لغة الشعب، ولم يكن من المصلحة إشراك عامة الناس في بعض البحوث، فما تغاضى عنه في شرحه الفارسي سجله في الشرح العربي، يقول: «خلال المطالعة ظهرت أمور لا يستحسن شرحها باللغة الفارسية، ولم يسعني إغفالها، فشرعت في شرحها باللغة العربية، فتم تسويد الشرحين الفارسي والعربي معاً، ولكن الشرح العربي سبقه كالحصان العربي، وتم، ولما أعدت النظر فيه وبيضته، مر عليه زمان طويل، وصارت مسودة الشرح الفارسي نسياً منسياً، ثم أمرت

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 555/5.

فأتممتُ الشرح الفارسي كذلك. انتهى الشيخ المحدث من تأليفه في (24) من شهر رجب سنة 1025هـ⁽¹⁾.

2- أشعة اللمعات في شرح المشكاة: شرح فارسي لـ«مشكاة المصابيح» في أربع مجلدات، قال في «تأليف القلب الأليف»: «إنه تلو لأخته لمعات التفتيح في شرح المشكاة وأرجح منها في التفتيح والتهذيب والضبط والربط وأكبر منها في الحجم والضخامة⁽²⁾. ويحتوي المجلد الأول من هذا الكتاب على مقدمة في (39) صفحة في علم الحديث والمحدثين: تتناول بدراسة علمية عميقة علم الحديث وأقسامه، وتراجم وجيزة للأئمة: البخاري، ومسلم، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي داود السجستاني، وأبي عيسى الترمذي، وأبي عبد الرحمن النسائي، وابن ماجه القزويني، والدرامي، والدارقطني، والبيهقي، ورزين، والنووي، وابن الجوزي، وقد أفردت طباعة المقدمة نظرًا لقيمتها وأهميتها. وإلى جانب المقدمة: يحتوي المجلد الأول على ترجمة وشرح الكتب التالية: يحتوي المجلد الأول على: كتاب الإيمان، وكتاب العلم، وكتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الجنائز. ويحتوي المجلد الثاني على: كتاب الزكاة، وكتاب الصوم، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب الدعوات، وكتاب أسماء الله تعالى، وكتاب المناسك. ويحتوي المجلد الثالث على: كتاب البيوع، وكتاب العتق، وكتاب الحدود، وكتاب الإمارة والقضاء، وكتاب الجهاد، وكتاب الصيد والذبائح، وكتاب الأطعمة، وكتاب اللباس، وكتاب الطب والرقى. ويحتوي المجلد الرابع

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص157، 158.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي حسني 5/555، الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي حسني ص155.

على: كتاب الآداب، كتاب الفتن. تحتوي هذه المجلدات الأربعة على (2655) صفحة، أدّى فيها الشيخ المحدث حق شرح «مشكاة المصابيح» أداءً كاملاً⁽¹⁾.

- 3- جامع البركات منتخب شرح المشكاة: تلخيص لشرح «المشكاة» في مجلدين⁽²⁾، والكتاب يشتمل على فوائد كثيرة وعوائد غزيرة⁽³⁾.
- 4- أسماء الرجال والرواة المذكورين في كتاب المشكاة: جمع فيه الإمام عبد الحق الدهلوي جميع رواة «المشكاة»، بدأه بتراجم طويلة للخلفاء الراشدين، ثم أهل بيت النبي ﷺ، ثم ترجم لسائر الرواة على حروف المعجم⁽⁴⁾.
- 5- الإكمال في أسماء الرجال⁽⁵⁾.
- 6- ما ثبت بالسنة في أيام السنة: باللغة العربية يتحدث بتفصيل عن جميع المناسك الدينية في شهور السنة من المحرم إلى ذي الحجة مما ثبت بالأحاديث.
- 7- أقسام الحديث.
- 8- رسالة في ليلة البراءة⁽⁶⁾.
- 9- جمع الأحاديث الأربعين في أبواب علوم الدين: جمع في هذه الرسالة أربعين حديثاً في مختلف أبواب علوم الدين.

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص155، 156.

(2) المرجع السابق ص159.

(3) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 555/5.

(4) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص160.

(5) ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند: عبد الحي الحسني ص160.

(6) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 555/5.

10- ترجمة الأحاديث الأربعين في نصيحة الملوك والسلاطين: ترجمة للأحاديث الأربعين باللغة الفارسية، عملها للملك المغولي الكبير شاه جهان بن جهانكير بن أكبر⁽¹⁾.

11- تحقيق الإشارة إلى تعميم البشارة في إثبات البشارة بالجنة لغير الأصحاب المشتهرين بالعشرة المبشرة وعدم اختصاصهم وبيان سبب اشتغالهم بذلك⁽²⁾.

12- شرح سفر السعادة: «سفر السعادة» من تأليف الإمام مجد الدين الفيروز آبادي صاحب «القاموس» جمع فيه أحاديث النبي ﷺ عن العبادات، والمعاملات، والمعيشة. فقد أدرك الشيخ المحدث قيمة هذا الكتاب، فبدأ بكتابة شرح له، مع زيادة تنبيهات عليه، كان الشيخ الفيروز آبادي قد تجاوز حد الاعتدال وجادة الإنصاف في بعض الأمكنة من الكتاب، فرأى الشيخ المحدث من اللازم أن ينبه القراء على سقطاته، يقول: «ولما ذهب في هذا الكتاب مذهب المحدثين الأقحاح من أصحاب الظواهر، واختار في كثير من الأمكنة أقوالا مخالفة لمذاهب المجتهدين رحمهم الله تعالى، وزعم تفنيد آرائهم وإبطالها.. وخرج في مبالغة وإفراط عن حد الاعتدال وجادة الإنصاف.. أحببتُ شرحه، والكشف عن الواقع، مع ملازمة طريق الإنصاف والنصح»⁽³⁾.

13- مدارج النبوة: كتاب في حياة النبي ﷺ، يحتوي أكثر من مئتين وألف صفحة، قسمها إلى خمسة أقسام: القسم الأول: في ذكر الفضائل والمحاسن والأخلاق والصفات. القسم الثاني: في النسب والمولد. القسم الثالث: في

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص158.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 555/5.

(3) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص161.

ذكر أخبار حياته وحوادثه من بداية الهجرة إلى الوفاة. القسم الرابع: في ذكر مرضه ووفاته، والتكفين. القسم الخامس: في ذكر الأولاد الطاهرين، والأزواج المطهرات⁽¹⁾.

ملخص جهود الشيخ المحدث في خدمة السنة النبوية وأثر ذلك على الدعوة:

وعلى الجملة يرى المتابع لسيرة هذا الشيخ المجدد أنه رحمه الله قد وضع لبنة في إحياء علم الحديث في الهند، وما أروع ما وصفه به الأستاذ مسعود الندوي حين قال: «وهو الذي أحيا علم الحديث في شمالي الهند وجعل خزائنه في متناول الناس ليأخذوا منها ما شاءوا، وصنف كتباً كثيرة أجاد في تأليفها حتى أثنى عليه الفقهاء والصوفية معاً، واتفقوا على جلالته شأنه وعلو قدره»⁽²⁾.

ولقد لخص أ/خليفة أحمد نظامي خدمات الشيخ في نشر علم الحديث، فقال:
«وأثبت فيما يلي خدمات الشيخ عبد الحق بإيجاز:

- 1- جدد علم الحديث بجهوده المخلصة المستمرة في عهد كان قد قضى فيه على هذا العلم الجليل في شمالي الهند.
- 2- جعل كتب الحديث جزءاً لازماً من مناهج عصره التعليمية، وبدأ في مدرسته بالتعليم النظامي لكتب الحديث النبوي الشريف، وحافظ ابنه وأحفاده على هذه الميزة للمدرسة.
- 3- حاول نقل كتب الحديث إلى اللغة الفارسية، ففتح كنوز العلوم الدينية لعامة الناس، ولم تكن بمتناولهم من قبل، فكان للشيخ المحدث براعة كبيرة، وحقق تام في الترجمة من العربية إلى الفارسية.
- 4- ركز الشيخ المحدث عنايته الخاصة على «مشكاة المصابيح»، واهتم بـ«المشكاة» اهتمام ولي الله الدهلوي بـ«موطأ الإمام مالك»، وألف

(1) المرجع السابق ص186.

(2) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص117، 118.

شرحين لـ«المشكاة» باللغتين العربية والفارسية للعلماء وعامة الناس، كما أن وليّ الله الدهلوي شرح «الموطأ» باللغتين العربية والفارسية باسم «المصفي» و«المسوّى».

5- وكان من أسباب اختياره للمشكاة: أنها تتضمن «المشكاة» الأحاديث الصحاح والحسان في الغالب، وتمتاز بحسن الترتيب، وتتصف بالشمول، وتقتصر على أسماء الصحابة من بين سائر رجال الأسانيد، فيسهل أخذها على المبتدئين، ويتركز اهتمامه على معنى الحديث، وينطلق من مباحث الإسناد، وعمل الشيخ بإيراد حجج الحنفية خلال شرحه الأحاديث.

6- كان من اللازم لتطوير علم الحديث توطيد اتصال مباشر بالحجاز والمحدثين بها، اكتسب الشيخ علم الحديث في الحجاز، وصار ذلك سنة في الهند أن من أراد النبوغ في الحديث يجب أن يقضي فترة في الحجاز.

7- إن تقاليد علم الحديث في الهند قد قام الشيخ المحدث عبد الحق بتأسيس معظمها، وجاء الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي فطبقها، وأوصلها إلى درجة الإتمام⁽¹⁾.

لقد كان مردود هذا كله على الدعوة الإسلامية خيراً كثيراً، إذ وفق الله تعالى الشيخ بأن نشر علوم الدين وخاصة علم الحديث الشريف هدفاً أسمى، «لأن ذبوع علم الحديث وانتشار السنة الصحيحة مما يقرب الناس بنفسه إلى الدين الصحيح ويدني الطالب من عيونه الثرثرة، ويحث المسلم المتعطش على أن يرتوي منه ما شاء أن يرتوي»⁽²⁾.

وقد نجح الإمام الدهلوي في ذلك إلى حد كبير، والدليل على ذلك تغير الوضع تدريجياً في حياة المسلمين في الهند، مما أثر إيجاباً في الدعوة، حتى إن السلطان

(1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص254-256.

(2) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي ص118.

«أورنك زيب عالمكير» كان يصنف في علم الحديث قبل وبعد توليه العرش، وهذا يدل على تبدل الحال في الهند، وذلك بفضل جهود الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي في نشر علوم الحديث الشريف.

ثانياً : جهوده في محاربة الفرق المخالفة في عصره :

تتلخص جهوده في أمرين :

الأول: الرد على المذهب الأكبري. الثاني: الرد على عقائد المهدوية.

أولاً : الرد على المذهب الأكبري :

وبتلخص ذلك الدور فيما يلي :

1- الاتصال برجال الدولة وحثهم على نصرته الإسلام ورفعته شأن المسلمين :

سلك الدهلوي مسلك السرهندي في إرسال الرسائل لأصحاب النفوذ في بلاط سلاطين الدولة، يرشدهم فيها إلى طريق الحق، ويحثهم على بذل الجهد لإنقاذ الدولة، مما وقعت فيه جراء الدين الإلهي الذي اخترعه «أكبر»، ولقد وقع اختيار الإمام عبد الحق على بعض الشخصيات المهمة في بلاط السلطان منهم :

أ- الأمير مرتضى خان «الشيخ فريد» :

كان الأمير «مرتضى خان» أحد أجواد الدنيا، لم يكن له نظير في زمانه في السياسة والتدبير والسخاء والكرم والمحبة لأهل الفضائل والميل إلى معالي الأمور، أدرك أكبر شاه بن همايون التيموري في صغر سنه فتقرب إليه، وتدرج إلى الإمارة حتى نال المير بخشيكري⁽¹⁾ سنة أربعين من حكم «أكبر»، ثم لما ولي المملكة ولده جهانكير بن أكبر شاه، أضاف في منصبه ولقبه بصاحب السيف والقلم، ثم لقبه

(1) كان من مسؤوليات بخشى: تعبئة الجيش، وتسجيل الموظفين، والتقييد بدفع الرواتب. ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي هامش ص211.

بـ«مرتضى خان» وولاه على كجرات، فاستقل بها أربع سنين، ثم ولي على بنجاب فأقام بها مدة حياته⁽¹⁾.

كانت للشيخ فريد أوامر وطيدة مع الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي، وكان الشيخ المحدث يحله إجلالاً كبيراً، توجد في كتاب «المكاتيب والرسائل» تسع رسائل تالية إلى الشيخ فريد: (تحصيل المطلوب بانتظار المحبوب)، و(رعاية الاعتدال في العلم والحال)، و(تقسيم الأنام على أربعة أقسام)، و(تنبيه الغافلين بفناء الدنيا وأربابها، واغترار الجاهلين بزخارفها وأسبابها)، و(تحديد الذكر في بيان حقيقة الشكر)، و(تسبيب الخير لدفع الغير)، و(دوام اللجوء بالخوف والرجاء)، و(كشف أستار الظلم عن لسان الحال والقال والقلم)، و(التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله). وكل كلمة من هذه الرسائل ذات مغزى، وهي تلقي الضوء على علاقاتها والأوضاع الدينية والاجتماعية لذلك العهد⁽²⁾.

ومن الرسائل التي وجهها - أيضاً - إلى الشيخ فريد رسالة بعنوان «تنبيه الغافلين بفناء الدنيا وأربابها واغترار الجاهلين بزخارفها وأسبابها»، وقد كتبها الشيخ المحدث عن موت الملك «أكبر»، وأوصى الشيخ فريد أن يقدمها إلى الملك «جهانكير بن أكبر»، وقد افتتح الرسالة بقوله: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، سبحان الملك الحي الذي لا يموت ولا يفوت، لقد أدهش الناس وقوع هذا الحادث المفاجئ، ولقد خلف وحشة في النفوس لا يمكن وصفها في كتاب ولا خطاب، ولكن ماذا يفعل؟! هذه هي السنة الإلهية، لا فرق فيها بين الغني والفقير.

وبعد ذلك يدعو للملك الجديد، ويدعو أن يجعله الله خيراً وبركةً على الإسلام وأهله، ويقول: «اللهم أصلح الإمام والأمة، والراعي والرعية، وألف قلوبهم في الخيرات، اللهم أصلح أمة محمد ﷺ، اللهم ارحم أمة محمد ﷺ، اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ».

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 647/5.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص212، 213.

ثم يذكر بحقيقة الحياة الدنيا، وأن نعيمها زائل، مستشهدًا بقول بعض الحكماء: «الدنيا أشبه شيء بظل الغمام، ونوم الأحلام»، ويستعجب من غفلة الناس عن الموت وهو مدرّكهم، ويقول: «لو كانت الدنيا دائمة، ونعيمها متواصلًا، لكان الصبر عنها حبًّا للمولى جل وعلا أمرًا عظيمًا، ولكنها لما كانت فانية، ومليئة بالمصاعب والآلام، فلماذا يتحسر المرء على فواتها؟ ولكن الناس يغترون بها حتى يصل الأمر ببعضهم إلى دعوى النبوة والألوهية».

ثم يتحدث الشيخ عن مكانة النبي ﷺ وزهده في الدنيا، وقوله: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»⁽¹⁾.

وختم الرسالة ببيان أن النبي ﷺ جاء لينظم حياة الناس، ويشغلهم بالله تعالى ربهم وخالقهم، إنه لم يدع قط إلى أن يترك الناس مهنتهم ووظائفهم وكسبهم، بل حدد لكل طائفة مسؤولياتهم وواجباتهم في نطاق أشغالهم وأعمالهم، وإنما دعاهم إلى ترك المعاصي، وبين لهم أن سر السعادات كلها في الانقياد للشرعية، واتباع سبيل المؤمنين، وأن لكل عمل أجرًا، وأن جزاء العمل الصالح صالح، وجزاء العمل السيئ سيئ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽²⁾، ومن الناس من يريد ثواب الدنيا ويتغافل عن ثواب الآخرة، اللهم اختتم لنا بالخير⁽³⁾.

ب- الأمير عبد الرحيم بن بيرم خان:

ومن الشخصيات المهمة - أيضاً - والتي راسلها الإمام الدهلوي هو الأمير عبد الرحيم بن بيرم خان، فقد كان من أهل التفنن في الفضائل واللغات مقدماً في المعارف متكلماً في أنواعها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك

(1) جزء من حديث، أخرجه: البخاري في صحيحه ك الكسوف، باب الصدقة في الكسوف

34/2، ح رقم 1044.

(2) سورة الزلزلة الآيتان 7، 8.

(3) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص282،

283.

كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف والحلم والتواضع والشجاعة والكرم...، وكان له من النقاوة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة والكرم ما لا يمكن وصفه مع المعرفة للأدب ومطالعة كتبه، والإشراف على كتب التاريخ، ومحبة أهل الفضائل، وكراهة أرباب الرذائل، والنزاهة والصيانة والميل إلى معالي الأمور⁽¹⁾.

وقد كانت للشيخ المحدث كذلك علاقات وطيدة مع الأمير عبد الرحيم خان، وكان من بين الأمراء الذين حافظوا على وعيهم الديني، وحسب هذا الأمر الواحد تكريماً له وتجيلاً في عين الشيخ المحدث، وفي «كتاب المكاتيب» ست رسائل تالية موجهة إليه: (اختيار التخلي لانتظار التجلي)، و(تذكير أولي الأحلام بأن لذات الدنيا كلها آلام)، و(رفع التعب والعنا بالجمع بين الفقر والغنى)، و(سلوك أقرب السبل بالتوجه إلى سيد الرسل ﷺ)، و(صدق التعطش والدوام في طلب المقصد والمرام)، و(إتحاف الأحبة ببيان حديث المحبة).

يظهر من هذه الرسائل أن خان خانان لم يهتم بصحبة المشايخ وحدها، بل كانت له رغبة في قطع منازل السلوك والمعرفة، ومن ثم كان يكتتب المشايخ ويراسلهم، كتب الشيخ المحدث في رسائله أشياء لتربيته الروحية، وأشياء لبعث حميته لإحياء الشريعة والسنة، وتمتلى كل كلمة من هذه الرسائل تأثيراً ونفوذاً⁽²⁾.

2- الرد على المنكرات التي ظهرت في الهند جراء المذهب الأكبري ومن ذلك

رده على:

أ- العقيدة الألفية:

من المنكرات التي انتشرت في العهد الأكبري الاعتقاد «بأن دين الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ قد انتهى أجله بعد مضي ألف عام على وفاته عليه السلام،

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/560، 561.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليل أحمد نظامي ص216.

والآن قد أصبح الجو خاليًا من وجود دين إلهي، فيجب سد هذا الفراغ بدين إلهي جديد؛ لئلا يختل نظام الكون ولا يفسد أمر الناس ولا يصبحوا فوضى لا سراً لهم ولا دين، فالناس في حاجة شديدة إلى هذا الدين الجديد، ولا يمكن كما - زعموا - إنشاء دين يستجيب للناس إلى حوائجهم وفي مقاصدهم، ويتمشى مع روح العصر وتطور العلم والعقل إلا على يدي السلطان «العادل العالم العاقل الحكيم» جلال الدين محمد الأكبر، واشتهرت هذه النظرية بالنظرية الألفية، أي نظرية مرور ألف عام على نبوة سيدنا محمد ﷺ وانتهاء نبوته وشريعته وضرورة دين جديد وشرعية جديدة»⁽¹⁾.

وقد رد الشيخ المحدث هذه النظرية الخاطئة بكل قوة، وبين أن أحكام الإسلام لكل عهد ولكل شعب، وأن تحديدها بزمان أو مكان مهمل، يقول: «من الخصائص الكاملة لخير الأمم أن الشريعة أكمل من جميع ما تقدم من الشرائع، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى بيان، وواضح لا خفاء فيه، ولما بعث النبي ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال، فلا جرم أن يكون دينه وشريعته أتم الأديان، وأكمل الشرائع». ثم يقارن بين الشريعة الإسلامية وغيرها من الشرائع، ويقول: «من مزاياها أنها راعت الفطرة البشرية، وانتهجت الوسطية والاعتدال، وهذا هو الدليل على أبدية هذه الشريعة»⁽²⁾.

وهكذا رد الإمام الدهلوي على من قال بالعقيدة الألفية، فبين أن الشريعة المحمدية صالحة لكل زمان ومكان.

ب- الرد على وحدة الأديان:

من الأمور التي انتشرت في بداية القرن الحادي عشر الهجري فكرة جمع الأديان كلها في دين واحد، أي: وحدة الأديان؛ ولأن الأديان كلها مجتمعة على

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص 67.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وأثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 267.

وجود الله تعالى، فأصبحت كلمة التوحيد عنصراً أساسياً في الدين الإلهي الجديد، ولأن الإيمان بمحمد ﷺ كان غير متفق عليه بين الأديان، فكان ذلك داعياً إلى إنكار نبوته ورسالته، ومن أجل ذلك «كان على كل من أراد أن يدخل في الدين الإلهي رسمياً أن يؤمن أولاً بكلمة لا إله إلا الله، أكبر خليفة الله»⁽¹⁾.

وقد رد الإمام الدهلوي على ذلك فأفرد في كتاب «مدارج النبوة» باباً باسم (حقوق النبي ﷺ) يقول فيه: «فالإيمان بمحمد ﷺ واجب ومتعين، ولا تتم حقيقة الإيمان، ولا يصح الإسلام، ولا يحصل إلا بالإيمان بمحمد ﷺ والشهادة برسالته»⁽²⁾.

وهكذا رد الإمام الدهلوي صراحة وبقوة على أن الإيمان بالنبي ﷺ جزء أصيل من الإيمان الكامل، ولا يصح الإسلام إلا بالاعتراف برسالته ونبوته.

ت- إنكاره على بعض المسلمين في تقليدهم للوثنيين:

كذلك من الأمور التي انتشرت مع الدين الإلهي تقليد الوثنيين في عاداتهم كالسجود لأصنامهم وشد الزنار وغيرها من الأمور. وقد رد الإمام الدهلوي على ذلك فتناول ذلك الموضوع في كتابته «أشعة اللمعات» وهو يناقش موضوع الإيمان: «وهنا نوع آخر من الناس، يصدقون ويقروّن، ومع ذلك يقتربون ما جعله الشارع أمارة للكفر كالسجود للصنم وشد الزنار وأمثال ذلك، فمرتكب هذه الأمور كذلك كافر في الشرع، وإن كان صدق وأقر»⁽³⁾.

(1) ينظر: تاريخ الحركة المجددية: محمود أحمد غازي ص73.

(2) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي ص267، نقلاً عن: منتخب التواريخ 326/1.

(3) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص269، نقلاً عن: أشعة اللمعات 40/1.

ويقول في «تكميل الإيمان»: «لا يمكن أن يدعى الله باسم لم يأت به الشرع...، وينبغي أن يعلم أن المنع من التسمية وليس من الوصف...، فما اختص بالأسنة الكفار لا ينبغي تسميته به، فإنه يخاف منه الكفر»⁽¹⁾.

ثانياً: الرد على عقائد المهدوية:

من الفرق التي ظهرت في القرن التاسع الهجري بالهند، واستمر تأثيرها في المجتمع الهندي إلى القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر «فرقة المهدوية» ومؤسس هذه الفرقة هو محمد بن يوسف الحسيني الجونبوري المتمهدي، ولد سنة سبع وأربعين وثمان مئة بمدينة «جونبور» وحفظ القرآن واشتغل بالعلم على الشيخ دانيال بن الحسن العمري البلخي، وبرز في الفضائل وله خمس عشرة سنة، وكان ذا جرأة ونجدة في البحث والتدقيق، ولذلك لقبوه بأسد العلماء، اشتغل بالدرس والإفادة مدة، وأخذ الطريقة عن شيخه دانيال، واجتهد في الرياضة والمجاهدة مدة من الزمان، ثم ترك الأهل والوطن وسافر مع عياله وأصحابه إلى أودية الجبال⁽²⁾، وقضى بها أعواماً معتزلاً عن الناس، وذلك ما يؤدي في الغالب - لا سيما إذا لم تكن هذه التدريبات الروحية تحت إشراف مرشد خبير، وإرشاداته وتعاليمه - إلى وقوع الإرشادات الغيبية، والواردات القلبية التي يخاف منها زلة الأقدام، والخطأ في الفهم والتفسير، ويحمل مثل هذا الإنسان - الذي لم ترسخ قدمه في العلم، ولم يبلغ درجة البحث والتحقيق - الكلمات على غير محاملها، ويفهم الإرشادات الغيبية في غير معانيها، فكان منه أن ادعى في رحلة من رحلاته أنه «المهدي»، وأعلن بعد ذلك - عدة مرات في أمكنة مختلفة - أنه المهدي الموعود، ودعا الناس إلى الإيمان به⁽³⁾.

(1) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص 269، نقلاً عن: تكميل الإيمان ص 11.

(2) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 4/418، 419.

(3) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 3/58، 59.

وقد اختلف الناس في شأنه فقال بعضهم: إنه كان صاحب المقامات العالية ذا كشوف وكرامات، وقال بعضهم: إنه كان كذلك ولكنه أخطأ في دعواه؛ لوقوع الخطأ في كشفه، وقال بعضهم: إنه كان مبتدعاً لمذهب جديد، وقال البدايوني في تاريخه: إنه كان صاحب مقامات عالية ذا صدق وإخلاص في الطريقة رفيعة المنزلة في الفقر، اخترع أصحابه طريقاً جديداً، وقال عبد الرحمن الدنيتي في «مرآة الأسرار»: إنه كان عارفاً أخطأ في كشفه، وقال ابن المبارك: إنه ادعى المهدي في غلبة الحال، وصدر منه الخوارق الكثيرة، فهجم عليه الناس وصدقوه في ادعائه، وقال اللاهوري في «خزينة الأصفياء»: إنه قال: أنا مهدي في غلبة الحال والسكر، كما قال بعضهم: أنا الله، وسبحاني ما أعظم شأنني، وأمثال ذلك من الأقوال، ولكنه تاب عن ذلك القول في حالة الصحو والإفاقة، وأما أصحابه الجهلة فإنهم لم يعتبروا إقالاته فأصروا على أنه مهدي موعود، وضلوا عن الطريق وأضلوا كثيراً من الناس، واخترعوا مذهباً جديداً، وانتسبوا إلى الفرقة المهدوية⁽¹⁾.

والواقع أن حركة السيد محمد المهدي ظهرت لإحياء السنة وإماتة البدع، ولكنها لم تستمر طويلاً في لونها الأصيل، مما جعلها تصطدم مع عقيدة الإسلام الأساسية بختم النبوة⁽²⁾، بل بالغ أتباعه في تعظيمه وتقديسه، حتى ساووه بالأنبياء والمرسلين، بل فضلوه عليهم أحياناً، وبلغ به بعض المتطرفين الغلاة إلى مرتبة النبي الخاتم ﷺ، وإن كان السيد محمد في زعمهم واعتقادهم تابعاً لسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، ومتقيداً بالشرعية المحمدية - على صاحبها الصلاة والسلام - وبلغ ببعضهم الغلو المفرط، والتطرف الجانح إلى أن الكتاب والسنة إذا خالفا قولاً من أقواله أو فعلاً من أفعاله، فكتاب الله وسنة رسوله تبع لأقواله وأفعاله.

(1) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 419/4.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص245.

وغلوا غلواً عجبياً في عقيدة مشاهدة الله تعالى، فمن لم يشاهد «الأنوار الإلهية» بعين الرأس أو عن طريق القلب أو في حال اليقظة أو المنام، فليس بمؤمن، وبدأ الخطر بين عامة المسلمين وبين هذه الفرقة - بعد ظهور هذه العقائد - يتسع ويعمق على مر الزمان حتى شذت هذه الفرقة المدعوة بـ«المهدية» عن أهل السنة والجماعة، وانقطعت صلتها بهم بصورة كاملة، وضاعت تلك الأهداف التي أنشئت لها هذه الحركة، وكان يستهدفها مؤسسها ويرمي إليها⁽¹⁾.

رد الإمام عبد الحق الدهلوي على فرقة المهدوية :

ظهر في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين الدينية أخطر قضية واجهها المسلمون وهي تحديد مكانة رسول الله ﷺ، وإدراك منزلته، فكانت فكرة الإمامة، وعقيدة المهدوية، والنظرية الألفية، والدين الإلهي، وما والاها من الحركات تصطدم بعقيدة ختم النبوة، وأهم مآثر الشيخ عبد الحق أنه بين مكانة النبي ﷺ الرفيعة العالية بياناً كاملاً⁽²⁾.

وقد سلك في سبيل ذلك مسلكين :

المسلك الأول: أنه بين منزلة النبي ﷺ، وذلك من خلال مؤلفاته، وأهم هذه المؤلفات كتاب «مدارج النبوة»، والذي ذكر فيه سيرة النبي ﷺ وفضائله، وهو كتاب كامل في حياة النبي ﷺ، ليست ثمة ناحية من نواحي النبوة الطيبة والشمال النبوية إلا وهذا الكتاب ألقى الضوء عليها، فهي معلمة علمية وأدبية رائعة للشيخ المحدث. وله مكانة خاصة من بين الكتابات الدينية التي أنشأها المسلمون في الهند، لم يسبق لمسلم هندي تأليف كتاب في حياة النبي ﷺ يماثله في الجمع والتفصيل والشمول. ويحتوي أكثر من مئتين وألف صفحة، تناول فيه ذكر الفضائل والمحاسن

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 61/3، 62.

(2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص246.

و الأخلاق والصفات للنبي ﷺ، ونسب ومولده ﷺ، ثم ذكر أخبار حياته وحوادثه من بداية الهجرة إلى الوفاة، ثم ذكر مرضه ووفاته، والتكفين، وختمه بذكر الأولاد الطاهرين، والأزواج المطهرات⁽¹⁾.

ومن المؤلفات التي تناولت مكانة النبي ﷺ وشمائله: «مطالع الأنوار البهية في الحلية النبوية»⁽²⁾.

ومؤلفات كتبها في فضل الصلاة على النبي ﷺ والترغيب فيها كتاب: «ترغيب أهل السعادات على تكثير الصلاة على سيد الكائنات ﷺ»، وكتاب: «الأجوبة الاثنا عشر في توجيه الصلاة على سيد البشر»⁽³⁾.

فلم يدع الإمام عبد الحق الدهلوي باباً فيه نصرة للنبي ﷺ وبيان لمكانته إلا طرقة وأدلى فيه بدلوه، وذلك ردّاً على الدعوات الضالة التي قللت من شأن النبوة، وشأن النبي ﷺ.

المسلك الثاني: أنه ردّ على زعم بعض المتطرفين الغلاة من أتباع «محمد المهدي» الذي رفعوه إلى مرتبة النبي الخاتم ﷺ، وإن كان في زعمهم أن «السيد محمد» تابعاً لسيدنا محمد ﷺ، ومتقيداً بالشرعية المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام⁽⁴⁾. فبين الإمام عبد الحق الدهلوي أن اعتقاد السيد محمد الجونفوري أنه كان يتمتع بكل أمر من أمور الكمال التي كان يتمتع بها النبي ﷺ، إلا أن هناك فارقاً وهو أن هذه الأمور كانت في النبي ﷺ بالأصالة، وفي السيد محمد الجونفوري بالتبع.

- (1) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص186.
- (2) ينظر: الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص191.
- (3) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي الحسني 5/555.
- (4) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي 61/3.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «يعتقد السيد محمد الجونفوري بأنه كان يتصف بكل أمر من أمور الكمال التي تحلى بها محمد رسول الله ﷺ بفارق أنها كانت هناك أصالة وها هنا تبعية، وكانت التبعية قد تطورت إلى حد أنه صار مثله»⁽¹⁾. وفي نهاية الحديث عن جهود الإمام عبد الحق الدهلوي الدعوية يتضح أن تركيزه كان منصباً على الدعوة بالقول متمثلة في رسائله التي بعث بها إلى الأمراء الذين كانوا في زمانه هادفاً من ذلك تغيير الوضع القائم في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وأيضاً كانت دعوته قائمة على الكتابة متمثلة في كتاباته وخاصة نشر كل ما هو متعلق بسنة النبي ﷺ، وكان يهدف من ذلك تعزيز مكانة النبي ﷺ ونشر سنته الشريفة في مجتمع كثرت فيه الفتن وقد نجح في تحقيق ذلك إلى حد كبير.



(1) الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي ص245، 246.

الخاتمة

الخاتمة

لقد عرف العرب الهند قبل الإسلام وكانت لهم معها تجارات واسعة، وتوثقت هذه العلاقة بعد الإسلام مع توسع الفتوحات الإسلامية في تلك البلاد، وحكم سلاطين المغول مساحات شاسعة من الأراضي الهندية، وهي مناطق كبيرة انفصل الكثير منها الآن إلى عدة دول، وانتظمت الدولة المغولية في القرن الحادي عشر الهجري في نظام إداري دقيق، يحكمه الوظائف النوعية التي تحفظ النظام، ووضعوا الدواوين المتعددة الضابطة لسير نظام الحكم بشكل دقيق. كما أقام السلاطين المغول علاقات وسياسات مع من جاورهم من الدول الإسلامية وغير الإسلامية، اتسمت خلالها بين المودة حيناً وبالعداوة حيناً آخر، واتسمت العلاقات بين سلاطين المغول والخلافة العثمانية بنوع الود لم يرق إلى المستوى المطلوب بين الدولتين، بينما حافظ سلاطين المغول على العلاقات المتينة والقوية مع أشرف مكة والمدينة لما لهما من مكانة وقداصة في نفوس المسلمين، مما كان لهذه العلاقة من أثر في نشاط حركة التجارة والرحلات العلمية وغيرها من الآثار الطيبة على الدعوة الإسلامية، وساد الحذر والحيطة تعاملات سلاطين المغول في القرن الحادي عشر الهجري مع كل من البرتغاليين والإنجليز، فوقفوا موقف الحذر ضد توسعاتهم وتطلعاتهم في البلاد الهندية. وقد تنوعت الأعراق والجنسيات التي تكون منها المجتمع الهندي، وعلى الرغم من ذلك لم يكن هذا التنوع إلا نوعاً من أنواع التعاون الذي دعا إليه الإسلام، وحظي العلماء والدعاة والمصلحون بمكانة مرموقة وتقدير بالغ من سلاطين المغول والأمراء وغيرهم من أصحاب السلطة والقيادة، فكان لتلك المكانة أثرها في بيان تعاليم الإسلام وشرح أصوله وقواعده وقيمه، كما تنوعت المؤسسات الدعوية في القرن الحادي عشر الهجري وتعددت على تنوع اختصاصاتها ومجالاتها وقامت بواجباتها خير قيام. إذ اهتم سلاطين المغول ببناء المساجد والمدارس وتشبيدها وتعميرها

وصيانتها تعظيماً لحق الله تعالى وحق العلم، حتى أصبح لتلك المؤسسات الدعوية المكانة المرموقة والأثر النافع، وحفلات المساجد والمدارس بالأنشطة التعليمية التي عقدت فيها، وكانت تعج بطلاب العلم الذين كانوا يأتون من شتى البقاع للتعلم في الحلقات العلمية المختلفة التي تعقد في أروقتهما، وتخرج عدد كبير من الدعاة والعلماء الذين صار لهم دور بارز في مجال الدعوة إلى الله في بلاد الهند، وعمل العلماء والدعاة الذين تخرجوا من المدارس والمساجد التي انتشرت في ربوع الهند على محاربة البدع والخرافات، كل هذا بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. وقد ظهر في القرن الحادي عشر الهجري رجالات عدة حملوا مشعل الدعوة، منهم الإمام السرهندي والمحدث عبد الحق الدهلوي، واللذين كان لهما أكبر الأثر في مواجهة الاتجاهات المخالفة والفهم الصحيح للدين، فحمل الإمام السرهندي على عاتقه مواجهة علماء السوء وأصحاب الأهواء بكل السبل الممكنة، وقام المحدث عبد الحق الدهلوي على نشر علوم الحديث النبوي بعد اندثارها، وأحيا الكثير من الكتب التي درس ذكرها بالشرح والتحليل والحواشي.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

- 1- الآداب العربية في شبه القارة الهندية: أحمد زبيد، ترجمة: عبد المقصود محمد شلقامي، بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1978م.
- 2- أبجد العلوم: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (ت 1307هـ)، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ/2002م.
- 3- الأحكام السلطانية: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت 450هـ)، القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- 4- أديان الهند الكبرى «الهندوسية - الجينية - البوذية»: د/أحمد شلبي، ط11، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2000م.
- 5- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة: د/حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، ط3، الرياض: دار إشبيليا، 1418هـ/1998م.
- 6- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م.
- 7- أصول البحث ومناهجه: د/أحمد بدر، الكويت: وكالة المطبوعات، د.ت، د.ط.
- 8- الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»: أ/خير الدين بن محمود ابن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت 1393هـ)، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.

- 9- الإجماع: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 319هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، بيروت: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1425هـ/2004م.
- 10- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- 11- الإسلام في قفص الاتهام: د/شوقي أبو خليل، ط4، دمشق: دار الفكر، 1400هـ/1980م.
- 12- الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي: د/حسن أحمد محمود، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998م.
- 13- الإسلام والدستور: توفيق بن عبد العزيز السديري، ط1، السعودية: وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1425هـ.
- 14- الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام المسمى «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»: العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ)، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1420هـ/1999م.
- 15- ابن تيمية حياته وعصره، آراؤه وفقهه: الشيخ محمد أبو زهرة، القاهرة: دار الفكر العربي، 1429هـ/2008م.
- 16- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: علي شيري، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1988م.
- 17- البعثات الدبلوماسية إلى بلاط المغول المسلمين في الهند إبان عهد السلطان أورنگ زيب: د/أحمد الجوارنة، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، 2004م.

- 18- بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم (92-1366هـ/711-1947م) «صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية»: د/عصام الدين عبد الرؤوف، ط2، القاهرة: دار الفكر العربي، 1432هـ/2011م.
- 19- تاريخ ابن خلدون «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس أ/خليل شحادة، مراجعة: د/سهيل زكار، ط1، بيروت: دار الفكر، 1401هـ/1981م.
- 20- تاريخ الإسلام في الهند: د/عبد المنعم النمر، ط1، القاهرة: دار العهد الجديد، 1378هـ/1909م.
- 21- تاريخ الحركة المجددية «دراسة تاريخية تحليلية لحياة الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني وعمله الإصلاحية التجديدي الذي قام به في شبه القارة مع ترجمة لبعض رسائله وكتاباتاته المختارة»: محمود أحمد غازي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م.
- 22- تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم: آدم عبد الله الآلوري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م.
- 23- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: مسعود الندوي، القاهرة: دار العربية، 1366هـ/1947م.
- 24- تاريخ الدولة الصفوية في إيران (907-1148هـ/1501-1736م): د/محمد سهيل طقوش، ط2، بيروت: دار النفائس، 1433هـ/2012م.
- 25- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: أحمد محمود الساداتي، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت.

- 26- تاريخ بابر «بابر نامه» وقائع «فرغانة - كابل - الهند»: ظهير الدين محمد بابر، ترجمة وتعليق: ماجدة مخلوف، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2014م.
- 27- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق: د/بشار عواد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ/2002م.
- 28- تاريخ دولة سلاطين المغول الإسلامية في الهند: د/جمال الدين الشيال، ط1، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ/2001م.
- 29- تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن: حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، تقديم: د/محمد زينهم محمد عزب، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1415هـ/1995م.
- 30- تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند: د/محمد سهيل طقوش، ط1، بيروت: دار النفائس، 1428هـ/2007م.
- 31- التبر المسبوك في نصيحة الملوك: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ/1988م.
- 32- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ.
- 33- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت 440هـ)، ط2، بيروت: عالم الكتب، 1403هـ.
- 34- تذكرة الدعاة: البهي الخولي، ط9، القاهرة: مكتبة التراث، 1424هـ/2004م.

- 35- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/1999م.
- 36- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م.
- 37- الثقافة الإسلامية في الهند «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»: عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ)، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت.
- 38- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط 2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م.
- 39- جهود الشيخ العلامة بكر أبو زيد في الدعوة إلى الله تعالى دراسة تحليلية وصفية: د/عمر بن عامر الخرماني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1431هـ.
- 40- حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: د/جميل عبد الله محمد المصري، السعودية: الجامعة الإسلامية، 1406هـ/1986م.
- 41- الحاوي الكبير: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1999م.
- 42- الحقائق الوردية.

- 43- حضارات الهند: غوستاف لوبون، تعريب: عادل زعيتر، ط1، القاهرة: دار العالم العربي، 2009م.
- 44- حكام الولايات (السباهدار) في جنوب آسيا إبان عهد الإمبراطور أورنجزيب وفق المصدر التاريخي (مأثر عالمكيري): د/أحمد محمد الجوارنة، الأردن: جامعة اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، د.ت.
- 45- خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، إعداد: قطب عبد الحميد قطب، مراجعة د/ محمد عاشور، دار الاعتصام، د.ت.
- 46- خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالي، ط12، القاهرة: نهضة مصر، 2007م.
- 47- دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت 1407هـ)، ط1، القاهرة: دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م.
- 48- الدعوة إلى الله «الرسالة - الوسيلة - الهدف»: د/توفيق يوسف الواعي، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1406هـ/1986م.
- 49- الدعوة إلى سبيل الله أصولها ومبادئها: د/عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، الزقازيق: مؤسسة النجوم الهاشمية، 1417هـ/1997م.
- 50- الدعوة الإسلامية «أصولها - وسائلها - أساليبها في القرآن الكريم»: د/أحمد غلوش، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م.
- 51- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: د/محمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، د.ت.
- 52- الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها: أبو الحسن الندوي، ط3، الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، 1406هـ/1986م.
- 53- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها: د/رؤوف شلبي، القاهرة: مطبعة الفجر الجديد، د.ت.

- 54- الدعوة والإنسان: د/عبد الله الشاذلي، طنطا: المكتبة القومية الحديثة، د.ت.
- 55- دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي: د/محمد علي الصلابي، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1428هـ/2007م.
- 56- ديوان محمد إقبال في الديوان الثاني المعنون بـ«الأسرار والرموز»، ط: دار ابن كثير بدمشق 1422هـ.
- 57- رجال الفكر والدعوة في الإسلام: العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، تعريب: أ/سلمان الحسني الندوي، ط4، سوريا: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م.
- 58- سبحة المرجان في آثار هندستان «صفحات مجهولة من تاريخ الثقافة العربية في الهند وتجربة رائدة في الموازنات الشعرية والمفارقات البلاغية بين الأدبين العربي والسنسكريتي»: غلام علي آزاد الحسني الواسطي البكرامي، تقديم وتحقيق: محمد سعيد الطريحي، ط1، بيروت: الرافدين للنشر والتوزيع، 2015م.
- 59- السلطان أورنگ زيب حياته وعصره (1069-1118هـ/1659-1707م): صاحب عالم الأعظمي الندوي، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2014م.
- 60- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م.
- 61- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد ابن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت1089هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ/1986م.

- 62- شمس العرب تسطع على الغرب: سيجريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط8، بيروت: دار الجيل، 1413هـ/1993م.
- 63- الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي حياته وآثاره: أ/خليفة أحمد نظامي، نقله إلى العربية: د/محمد أكرم الندوي، تقديم: أ/محمد عوامة، ط1، دمشق: دار القلم، 1434هـ/2013م.
- 64- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م.
- 65- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.
- 66- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: د/عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ط3، دمشق: دار القلم، 1408هـ.
- 67- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر، 1968م.
- 68- العبر في خبر من غبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- 69- عقيدة المسلم: الشيخ محمد الغزالي، ط1، القاهرة: نهضة مصر، 2003م.
- 70- العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية: محمد بن يوسف الجزامي، ط1، بيروت: دار الفكر، 1399م.
- 71- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

- 72- فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988م.
- 73- فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة، رسالة دكتوراة: إعداد/ محمد كبير أحمد شودري (عقيدة).
- 74- الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي (ت 429هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1416هـ/1996م.
- 75- فصول في أديان الهند (الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية) وعلاقة التصوف بها: د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط1، المدينة المنورة: دار البخاري للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م.
- 76- في المنهجية والحوار (سلسلة إسلاميات): د/رشدي فكار، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، 1983م.
- 77- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ/1997م.
- 78- كفاح المسلمين في تحرير الهند: د/عبد المنعم النمر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، يناير 1995م.
- 79- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1419هـ/1999م.
- 80- المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت 483هـ)، بيروت: دار المعرفة، 1414هـ/993م.

- 81- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (ت 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ/1994م.
- 82- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.
- 83- مختار الصحاح: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، القاهرة: دار الحديث، 1425هـ/2004م.
- 84- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية: د/صالح العساف، ط4، الرياض: مكتبة العبيكان، 1327هـ/2006م.
- 85- المدخل إلى علم الدعوة: د/محمد أبو الفتح البيانوني، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415هـ/1995م.
- 86- مديني دلهي وأكره كما شاهدها الرحالة الفرنسي بيرنير دراسة تاريخية في طبيعة المدينة الإسلامية في الهند (القرن السابع عشر الميلادي): اعداد د/أحمد محمد الجوارنة، قسم التاريخ جامعة اليرموك.
- 87- المسالك والممالك: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت نحو 280هـ)، بيروت: دار صادر أفست ليدن، 1889م.
- 88- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- 89- المسند: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م.

- 90- مع الله «دراسات في الدعوة والدعاة»: الشيخ/محمد الغزالي، ط3، دمشق: دار القلم، 1419هـ/1998م.
- 91- معجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م.
- 92- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.
- 93- المعجم الفلسفي: د/جميل صليبا، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م.
- 94- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: مصطفى عبد الكريم الخطيب، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م.
- 95- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تحقيق: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الإسكندرية: دار الدعوة، د.ت.
- 96- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- 97- المغني: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، القاهرة: مكتبة القاهرة، د.ت.
- 98- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، ط 3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
- 99- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1412هـ.

- 100- المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت808هـ)، تحقيق: د/على عبد الواحد وافي، ط3، القاهرة: دار نهضة مصر.
- 101- المكتوبات: الإمام الرباني المجدد للألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي، تحقيق: عبد الله أحمد الحنفي المصري، القاهرة: توزيع مكتبة النيل.
- 102- ملامح الهند والباكستان: د/محمد عبد المنعم الشرقاوي بك، د/محمد محمود الصياد، القاهرة: دار المعارف، 1371هـ/1952م.
- 103- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت 548هـ)، تحقيق: أمير على مهنا، على حسن فاعور، ط5، بيروت: دار المعرفة، 1416هـ/1996م.
- 104- الممالك والإمارات الإسلامية في شبه القارة الهندية «عشرة قرون»: السفير/عبد الله محمد العبيد النملة، ط1، السعودية: مكتبة التوبة، 1435هـ/2014م.
- 105- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ/1992م.
- 106- المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين، ط29، بيروت: دار المشرق، 2008م.
- 107- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب المالكي (ت 954هـ)، ط3، بيروت: دار الفكر، 1412هـ/1992م.
- 108- موسوعة 1000 مدينة إسلامية: عبد الحكيم عفيفي، ط1، بيروت: دار أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م.

- 109- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: د/أحمد شلبي، ط12، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1987م.
- 110- الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، من 1- 23: ط2: الكويت: دار السلاسل، من 24 - 38: ط1، القاهرة: دار الصفوة، من 39 - 45: ط2، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1404 - 1427هـ.
- 111- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي: إعداد/فريق البحوث والدراسات الإسلامية، إشراف ومراجعة: قاسم عبد الله إبراهيم، محمد عبد الله صالح، القاهرة: مؤسسة اقرأ.
- 112- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت 874هـ)، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت.
- 113- النظم الإسلامية في عصر صدر الإسلام: د/محمد مصطفى حلاوي، ط1، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.
- 114- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة: الشيخ/علي محفوظ، ط5، القاهرة: دار الاعتصام، 1371هـ/1952م.
- 115- الهند في العهد الإسلامي: عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ)، مراجعة وتقديم: أبو الحسن علي الحسني الندوي، الهند: دار عرفات، 1422هـ/2001م.
- 116- الهند في ظل السيادة الإسلامية «دراسات تاريخية»: د/أحمد محمد الجوارنة، اليرموك بالأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، د.ت.
- 117- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، حققه د/إحسان عباس، بيروت: دار صادر 1414هـ/1994م.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
5	مقدمة
8	أولاً: التعريف بمصطلحات الكتاب
19	ثانياً: نبذة عن تاريخ الإسلام في الهند قبل قيام الدولة المغولية
19	1- زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين
23	2- زمن الدولة الأموية
29	3- زمن الخلافة العباسية
32	4- الغزنويون والهند
33	5- الأحوال بعد الغزنويين
36	ثالثاً: نشأة الدولة المغولية في القرن العاشر الهجري
	الباب الأول
	الأحوال العامة المؤثرة على الدعوة في الهند
39	في القرن الحادي عشر الهجري
	الفصل الأول
	الأحوال السياسية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
41	وتأثيرها في الدعوة
	المبحث الأول: الأحوال السياسية الداخلية في الهند في القرن الحادي
43	عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة
43	أولاً: نظام الحكم في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
76	ثانياً: أقاليم الهند في القرن الحادي عشر الهجري
83	ثالثاً: أثر السياسة الداخلية في الدعوة الإسلامية

الصفحة	الموضوع
	المبحث الثاني: الأحوال السياسية الخارجية في الهند في القرن
88	الحادي عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة.....
88	أولاً: علاقة الدولة الإسلامية في الهند بأبرز الدول المسلمة.....
88	علاقة دولة المغول في الهند بالعثمانيين.....
92	علاقة دولة المغول في الهند مع أشراف مكة والمدينة.....
	العلاقات المغولية الصفوية في القرن الحادي عشر الهجري وأثرها
95	في الدعوة.....
100	علاقة الدولة الإسلامية في الهند بأبرز الدول غير المسلمة.....
101	العلاقات مع البرتغاليين.....
107	العلاقات مع الإنجليز.....
110	العلاقات مع الهولنديين.....
111	ثالثاً: أثر السياسة الخارجية في الدعوة الإسلامية.....
	الفصل الثاني
	الأحوال الاجتماعية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
	وتأثيرها في الدعوة
117	
	المبحث الأول: التصنيف السكاني للمجتمع الهندي في القرن الحادي
119	عشر الهجري وتأثيره في الدعوة.....
119	أولاً: التصنيف على أساس العنصر البشري للمجتمع الهندي.....
123	ثانياً: التصنيف على أساس الدين للمجتمع الهندي.....
	المبحث الثاني: المظاهر الاجتماعية في الهند في القرن الحادي
138	عشر الهجري وتأثيرها في الدعوة.....

الصفحة	الموضوع
138	أولاً: كفالة المحتاجين وأبناء السبيل.....
141	ثانياً: الرعاية الصحية.....
142	ثالثاً: مناسبات الاحتفال بالأعياد.....
146	رابعاً: الازدهار العمراني في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
	المبحث الثالث: أثر الحالة الاجتماعية في الهند في القرن الحادي
151	عشر الهجري على الدعوة الإسلامية.....
151	أولاً: أثر التصنيف السكاني العرقي والديني على الدعوة الإسلامية...
	أثر الوجود النصراني في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
155	على الدعوة الإسلامية.....
	ثانياً: أثر مظاهر الحياة الاجتماعية في القرن الحادي عشر
155	الهجري على الدعوة الإسلامية.....
	الباب الثاني
	وسائل الدعوة الإسلامية في الهند في القرن الحادي عشر
159	الهجري وأثرها في الدعوة الإسلامية
	الفصل الأول
	الفتوحات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
161	وأثرها في خدمة الدعوة
	المبحث الأول: تكوين النظام العسكري في الهند في القرن الحادي
163	عشر الهجري.....
163	أولاً: القيادة العامة في الجيش المغولي.....

الصفحة	الموضوع
164	ثانياً: المناصب في الجيش المغولي.....
165	ثالثاً: عدد الجيش المغولي.....
166	رابعاً: الأسطول البحري.....
167	أثر القوة العسكرية على الدعوة الإسلامية.....
171	المبحث الثاني: فتوحات المسلمين في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
172	1- الفتوحات في عهد السلطان أكبر.....
174	2- الفتوحات في عهد السلطان جهانكير (1014هـ-1037هـ).....
175	3- الفتوحات في عهد السلطان شاه جهان (1037هـ-1068هـ).....
176	سياسة شاه جهان في أواسط آسيا.....
177	4- الفتوحات في عهد السلطان أورنگ زيب عالمكير (1069هـ-1100هـ).....
183	المبحث الثالث: أثر فتوحات المسلمين وأهدافها الدعوية في الهند
183	في القرن الحادي عشر الهجري.....
184	أولاً : توحيد الهند تحت راية واحدة.....
184	ثانياً: إزالة العوائق أمام الدعوة الإسلامية.....
	الفصل الثاني
	المساجد في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
187	وأثرها في خدمة الدعوة
189	المبحث الأول: مكانة المساجد في الإسلام وجهود سلاطين المغول
	في تشييدها.....

الصفحة	الموضوع
190	1- مكة مسجد.....
191	2- مسجد اللؤلؤة.....
191	3- مسجد «جهان نها».....
192	4- المسجد الجامع أو جامع مسجد.....
193	5- موتى مسجد ببلدة أكبر آباد.....
193	6- جامع كبير بلاهور.....
193	7- الجامع الكبير بأجمير.....
194	8- المسجد الكبير بأكره.....
194	9- الجامع الكبير بلاهور.....
194	10- الجامع الكبير بنمارس.....
	البحث الثاني: الدور التعليمي للمساجد في الهند في القرن الحادي
195	عشر الهجري.....
198	الأثر الدعوي للمساجد في القرن الحادي عشر الهجري.....
	الفصل الثالث
	المدارس والمكتبات في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
	وأثرها في الدعوة الإسلامية
203	
205	البحث الأول: المدارس في القرن الحادي عشر الهجري
	أشهر المدارس التي أنشئت في الهند في القرن الحادي عشر
210	الهجري.....
	أشهر من تولى التدريس بمدارس الهند في القرن الحادي عشر
214	الهجري.....

الصفحة	الموضوع
218	المبحث الثاني: المكتبات في القرن الحادي عشر الهجري
	أهم العلوم التي احتوت عليها المكتبات في الهند في القرن الحادي
221	عشر الهجري.....
222	1- التفسير وعلوم القرآن.....
224	2- الحديث الشريف وعلومه.....
226	3- الفقه وأصوله.....
229	4- علم اللغة والأدب.....
232	5- الشعر.....
233	6- التاريخ.....
237	7- علم الكلام والفلسفة والمنطق والمناظرة.....
239	8- الطب.....
241	9- العلوم الرياضية.....
	المبحث الثالث: الأثر الدعوي للمدارس والمكتبات في القرن الحادي
244	عشر الهجري.....
244	1- نشر الإسلام وتعاليمه بين الهنود.....
246	2- تنشئة الدعاة والعلماء وإعدادهم.....
246	3- نشر الوعي الإسلامي في المجتمع الهندي.....
	4- تقويم الأخلاق وتهذيب السلوك وغرس القيم الأخلاقية
248	الرفيعة.....
250	5- القضاء على المعتقدات المنحرفة.....
251	6- تخريج أجيال قدموا خدمات جليلة للأمة.....

الصفحة	الموضوع
	الباب الثالث
255	أبرز رجال الدعوة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري
	الفصل الأول
257	الإمام السرهندي وجهوده في الدعوة
259	المبحث الأول: التعريف بالإمام السرهندي
	المبحث الثاني: جهود الإمام السرهندي لإصلاح الدولة والعودة بها
269	إلى تعاليم الإسلام الحقّة من جديد
	جهود الإمام السرهندي لإصلاح الدولة والعودة بها إلى الإسلام من
270	جديد
275	عهد السلطان شاهجهان والتحول الكبير نحو تطبيق شعائر الإسلام ...
276	السلطان أورنگ زيب من غرس الإمام السرهندي
	المبحث الثالث: حملة الإمام السرهندي على الاتجاهات المخالفة
278	السائدة في عصره
278	أولاً: حملته على علماء السوء
284	ثانياً: حملته على مروجي فكرة وحدة الأديان
286	ثالثاً: حملته على الشيعة في عصره
288	رابعاً: حملته لتصحيح العقيدة والأفكار الغربية على الإسلام
295	خامساً: إنكاره على بعض شطحات الصوفية في عصره
300	سادساً: حملته على منكري الغيبيات

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني
307	الإمام عبد الحق الدهلوي وجهوده في الدعوة
309	المبحث الأول: التعريف بالإمام عبد الحق الدهلوي
	المبحث الثاني: جهود الإمام عبد الحق الدهلوي الدعوية في الهند
316	في القرن الحادي عشر الهجري
316	أولاً: جهوده في نشر علوم السنة المشرفة
327	ثانياً: جهوده في محاربة الفرق المخالفة في عصره
341	الخاتمة
345	فهرس المصادر والمراجع
359	فهرس المحتويات

تم بحمد الله تعالى